من قضايا متون اللغة

مبحث

فى قضية الرمزية الصوتية

طبيعة العلاقة بين الكلمة وما ترمز إليه

تأليف

الدكتور البدراوى زهران

أستاذ اللغويات بجامعة أسيوط

ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب بقنا

الطبعة الثالثة

١٩٩٣



دار المعارف

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيــــد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ـ سيدنا محمـد و وعلى آله وصحبه أجمعين ٠ وبعـــد

ما كان ينبغى أن يكون عنوان هذا الكتاب هكذا ، ولكن لأن الذى فجـر موضوعه هو « قضية الرمزية الصوتية » لذا آثرت أن أجعلهـا عنوانه ، غـير أن الكتاب فى الواقع يكشف عن نظريات لغوية فى التراث ، وضع أسسهـــا وحدد أبعادها السلف من علمائنا ، ويبين أصالة هذه النظريات ، ومراحل التفكير فيها ، وكيفية الاستفادة منها ، فهو يقدم فكر السلف بما هو عليه من عمق فى مقارنة وتحليل وفق نماذج تطبيقية من خلال أعمال هؤلاء العلماء تؤكد ماتراه بالدليل العملى ٠٠

وتبدأ قصته عندما قمت بتدريس مادة متن اللغة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ٠

وكان من موضوعات تلك المادة نصوص من كتــاب الخصــائص لابن جنى ، ونصوص أخرى من كتاب الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس ، ونصوص غير هذه وتلك من كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبى ٠٠،٠٠ وغير ذلك ٠ الخ ٠ ٠

وكان من نصوص كتاب الخصائص لابن جنى ٠٠

باب فى الاشتقاق الأكبر ٠٠

وباب فى امساس الألفاظ أشباه المعانى ٠٠

وباب فى قوة اللفظ لقوة المعنى ٠٠

وباب فى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى ..
وباب فى السلب .. ،.. الى آخره ..

وكانت المراجع وهى بين أيدى الطلاب : كتاب من أسرار اللغة للدكتور ابراهيم أنيس ، وكتاب دراسات فى فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح ..

وكان الدكتور ابراهيم أنيس قد نظر الى أعمال ابن جنى فى هذه الأبواب وغيرها على أنها تمثل الرمزية الصوتية ، والى ابن جنى على أنه من المؤمنين ايمانا قويا بمبدأ الرمزية الصوتية وعاب عليه ذلك ، وبين أن قضية الرمزية الصوتية مرفوضة من وجهة نظر الدراسة اللغوية الحديثة وقدم على ذلك أدلته وبين مايرى فى ذلك من رأى ..

وجاء الدكتور صبحى الصالح ووقف فى الجانب المضاد واتخذ موقف المدافع عن الرمزية الصوتية من منطلق أنه يدافع عن السلف من علماء الأمة الاسلامية متصورا أن الرمزية من ابتكار هؤلاء العلماء ، فاخذ ينسب لهما الفضل ، وذهب الى أن الرمزية الصوتية فتح مبين فى عالم اللغات ..،..
وجاء آخرون وقد استثيرت فيهم تلك الحمية ، وكتبوا على نحو ما كتب الدكتور صبحى الصالح واسرفوا .... وراج الأمر .. وصرت تقرأ العجب .. ، ..

وتحولت القضية الى وقوف مع الرمزية الصوتية وعلماء السلف من هذه الأمة ودفاع عن التراث والمقدسات أو الى الوقوف ضد الرمزية وعلم اللغة الحديث ذلك الوافد الغريب علينا من بلاد الغرب ..،..

ولما وضعت النصوص أمامى موضع الدراسة والبحث ..،.. تكشف الأمر عن غريب ..،.. النصوص فى ضوء أفكار أصحابها بعيدة عما أثير بخصوصها ..،.. وأن الأمر غير هذا وذاك .. وأن كل نص من تلك النصوص الذى نسبت اليه الرمزية الصوتية يحمل نظرية لغوية أو يسهم فى بيان ابعادها ومستوياتها فى تكامل وتمثل الريادة والأصالة .. وأن استفادة اللغويين الغربيين منها غير خافية .. وأن نظريات علم اللغة الحديث مستهدية أعمال سلفنا ، ..،..

وأن بذور التقدم اللغوي تكون وراءها ...... وأن التمعن في دراسة تراثنا أمر تحتمه الأمانة ويفرضه حيالنا .. وفيه مفتاح شموخنا ..

وعلماؤنا بريئون من تلك التهمة .. .. ومن اتهمهم بهـا ظلمهم .. ومن دافع عنهم والصقها بهم كان ظلمه لهم أكبر .. وأن من السلف من رفضوا هذه النظرية وأن الغربيين في رفضهم لها أو في تأييدهم لايخرجون عما هو موجود عندنا ...... وفي تراث علمائنا ......

لذا كان لزاما أن أعرض قضية الرمزية الصوتية ...، .. وأن أبين جذور التفكير فيها ...... ومراحل تسلسلها عبر التاريخ منذ اليونان والرومان ومرورا بعلماء المسلمين .. وموقف علماء المسلمين في القديم وفي الحـديث منها ...... وموقف الفكر الغربي الأوروبي منها .. ، .. واستقل القسم الأول من الكتاب بهذا ..

كما كان لزاما أيضا وهو ما اقتضته طبيعة البحث أن أعرض النصـوص في ضوء فكر أصحابها وأن أوضح ما اشتملت عليه الأبواب من نظريات علمية وأن أقارنها في منبعها الأصلي بما يقدمه المحدثون مبرزا جـانب الأصـالة وأبعاد السبق وسره .. ، .. مبينا لماذا توقفت أعمال المحدثين عند هذا الحد من هذه النظريات على حين تقدم علماء المسلمين في مجال هذه النظريات...... وماذا يؤخذ على علماء المسلمين في مجال هذه النظريات ... وكيف يمكن تداركه ومسئوليتنا ازاءه ...... وبيان ما توصل اليه السلف من خصائص للعربية لاتوجد في غيرها ، وكيف مكنهم ذلك من اعطاء مستويات من الدراسة ومراحـل فيها لم يصل لها الغربيون حتى اليوم ...... وجاء هذا في قالب تطبيقي يعتمد على التحليل .. وقد استقل به القسم الثاني من الكتاب ......

واقتضت أمانة العلم ومسئوليته أن أقدم هذه الأعمال وتلك في كتاب خاص بها لأن الأمر يتصل بالتراث .. ، .. ومسئوليته امـام الله كبيرة ، كما ان مسئولية العلم ، وأمانة تبصير أجيال الأمة بالحقائق العلمية وماضي أسلافهم دين نتوارثه ..

وسوف تتكشف الحقائق في المستقبل وساعتها تعظم البليـة ولا ينفع السـكوت ..

والأعمال مطبوعة ومتداولة ولن يفيد أن تنتكت عن بيان الحق ·· فسوف يعزيه المستقبل الى التقصير أو الى الجهل وهو الأرجح ··

وأمر آخر فرض على المسارعة فى اخراج هذا العمل وهو أن المادة تدرس فى كثير من جامعات العالم العربى ومن أسف أنها تدرس على هيئة نصوص جامدة · وقد تجدها مجموعة فى كتاب خاليـة حتى من أى شرح اللهم الا من بعض هوامش لقليل من الصعب من مفرداتها ·· أما القضية الكبرى ·· وما اشتملت عليه النصوص من فكر ونظريات أصحابها العلمية ·· فلا مكان ولا مجال ·· وكل ما قد يثار بخصوصها أمور تتصل بالرمزية الصوتية ·· وما أعوننا من قضية فى نظر بعضهم حتى الطلاب منهم ··

وهى تدرس تحت عنوان « متن اللغة » ومقصودهم أن تعرض على الطلاب متون لغوية قديمة حتى يكونـوا عـلى صلة بتراثهم ·· فهى مـادة متحفية ·· تختص بالنصوص أو المتون الصعبة الغريبة على الطلاب ··،·· فقد تباعد عصر أصحابها وفكرهم ·· بل ولغتها ·· ولذا فالطلاب منفضون عنهـا ··

واكتفى بعض الأسـاتذة بجمعها فى كتاب ، وجعلها بين أيدى الطلاب ، وبدل أن يحمل الطالب كتبا تراثية متعددة يصعب العثور عليها فى معظم الحالات ·· صار يحمل كتابا واحدا به النصوص المقررة مطبوعة وجاءت على هيئة جيدة ·· وفى هذا الكفاية ··،·· وأحسن مايكون بخصوصها فى بعض الحالات أن يردد بعض الطلاب بعض عبارات منها ··،·· وقد يكون ذلك فى ضوء موضوع الرمزية الصوتية ·· أو المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلولـه ·· ، ··

وهكذا اكتفينا من أعمال سلفنا بالشكل والقشر وضاع الجوهر مرتين :

* مرة عندما ضيعنا ما اشتمل عليه جهد علمائنا من فكر خلاق وعمل مبدع ودرسنا القضية بعيدة عن جوهرها ·

* ومرة ثانية عندما قدمناها نصوصا مفردة دون الاشـارة الى مـا

ما اشتملت عليه من مضمون علمى أو حتى دون التوضيح العام لأفكارها • •
بله بيان أبعاد نظرياتها ••

واكتفينا بقشورها وتركنا جوهر ما فيها لغيرنا يردده نظريات علمية يتيه بها وفرضنا على عقول أبنائنا الضحالة والاضطراب والقلق •• ، •• وما أقسى أن يكون مصدر ذلك الجامعة حصن العلم ، وقلعة الحق والمعرفة •

وحسبى الله ونعم الوكيل •• عليه توكلت واليه أنيب •

الدكتور البدراوى عبد الوهاب زهران

رأس البر ـ فى أغسطس سنة ١٩٨٦ م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يتناول هذا الكتاب موضوعا بالغ الأهمية ـ ألا وهو قضية العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها بصفة عامة ويعرض بالدرس والتحليل لما نسب لعلماء المسلمين ولابن جنى بصفة خاصة ، لا سيما وأن لغويين محدثين أثاروا القضية على نحو أساء الى فكر هذا العالم حيث فهموه فهما مخالفا لما أراد .. ، .. وحملوه هو تبعة فهمهم هم على حين أن ما أراده ابن جنى اليوم عند الغربيين نظريات ذات أبعاد مستقلة تسهم فى خدمة معارف لغوية وعلوم مختلفة ، وبدل أن تنبت النظرية فى تربيتها وتؤتى أكلها فى بيئتها تناولها اللغويون العرب المحدثون على نحو بدد معالمها ..،.. وقد جاء هذا التناول من خلال فهم جلال الدين السيوطى على نحو لم يرده ابن جنى وأسرف جلال الدين السيوطى على نفسه فيما تراءى له من فهم وتطرف فيه ، وجاء محدثون بنوا على ما فهمه جلال الدين السيوطى ونسبوه لابن جنى دون بحث أو تحقيق فى أعمال ابن جنى .. وهكذا جاءت آراؤهم ظالمة لفكر هذا العالم مضيعة لسبقه العلمى وراجت هذه الآراء وكثر تداولها وضاع الحق وبقى الباطل ، وبات من الواجب أن تجلى هذه الحقيقة من خلال دراسة مستقصية متانية ، ويكفى أن يكون هذا فى حد ذاته حافزا لهذا البحث وهدفا من أهدافه .

فالذى حدث أن عالما من رواد الدراسة اللغوية الحديثة فى اللغة العربية « وهو الدكتور ابراهيم أنيس رحمه الله » وجه فكر ابن جنى فى هذه القضية على نحو ما فهم جلال الدين السيوطى وأراد لاسيما وأن فهم السيوطى صادف هوى فى نفس الدكتور حيث طبق فى مجال العربية الرحب ما صنعه بعض علماء اللغة الغربيين مثل « بلومفيلد «Bloomfield» وغيره على بعض أمثلة خاصة باللغة الانجليزية .

فقد اتخـــذ بلومفيلد من محاورة قراطيلس «Cratylus» لافلاطون «Plato» منطلقا لما اراده فقد وجد فيها ما يوضح بعـدا من ابعـــاد مدرسته « مدرسة الوصافين التجريبيين » .. فجاء رأى بومفيلد متفقـــا مع منهجه فى دراسة اللغة متوائما مع مدرسته فيها ..

ووجد الدكتور ابراهيم أنيس فى كلام جلال الدين السيوطى عن ابن جنى فيما يشبه ما يتصل بهذه القضية منطلقه هو الآخر ليطبق من خلال اقتناعه بوجهة نظر الدراسة اللغوية الحديثة على نحو ما تمثلهـــا مدرسة بلومفيلد وغيره آراءه فى مجال أوسع .. لذلك لم يكن غريبـــا أن يأتى حكم الدكتور أنيس على أعمال ابى جنى وغيره من علماء العربية ممن أشار اليهم جلال الدين السيوطى على هذا النحو الذى جاء عليه ..،.. ولم يكن غريبا كذلك أن يأتى فى المقابل دفاع مندفع عن علماء العربية القـــدماء ضد ما قيل فى حقهم . فانبرى عالم وهو الدكتور صبحى الصالح وأخذ يدافع ويشيد بما عابه العالم الأول وأخذ يؤكد فى دفـــاع قـــوى صحة ما نسبـــه الأول دون تحقيق أو تدقيق فى أعمال ابن جنى ..

وهكذا راجت التهمة بين مهاجم ومدافع وتأكدت نسبتها وتداولتها الكتب وتلقفها الدارسون بين مؤيد ومعارض وأصبحت حقيقة مســتقرة فى قاعات الدرس بالجامعات حيث تعرض بعض متون لابن جنى أو غيره ممـــا هـــو خاص بهذه القضية فى ضوء ما استقر ، وتدرس على هيئة نصوص جامدة يكتفى فيها كما هو حادث (١) بشرح بعض المفردات ـ وفهم بعض المعـــانى الكلية لنصوص قديمة « متحفية » دون أن تعرض من خلال فكر صاحبها عرضـــا متكاملا يتلاءم مع حقيقة ما عليه الفكر اللغوى العربى من ســبق وريـــاده فى ضوء ما توصل اليه الفكر اللغوى المحدث من تقدم علمى وبذلك يرســم طريقا للتناول وأبعاد منهج للدراسة .

لاسيما وأن فهم ابن جنى جـــاء هنا مبنيا على عبقريته اللغـــوية

---

(١) على سبيل التمثيل مادة متن اللغة تدرس فى جامعة أم القرى على نحو ما سبقت الاشارة الى ذلك وبها أبواب من خصائص ابن جنى ومن فقه اللغة للثعالبى وغيرهما .

مؤسسا على حسه فيها ، واستلهامه روح اللغة وفهمه لها وقد دفعه ذلك كله الى أن يتهيب الطريق ثقة منه فيما توصل اليه وقد كانت ثقته فيما انتهى اليه قوية ،، ودقته فيما حلله متناهية ٠٠ ، ٠٠ ولكن هذا وحده في نظره لم يكن كافيا ٠٠ ، ٠٠ من هنا فقد كان حرصه على أن يتخذ من أعلام علماء العربية السابقين عليه سندا لما يقول وشاهد صدق على ما يرى ٠٠ ، ٠٠٠ فجاء مثلا بأقوال للخليل وسيبويه (٢) وبشهادة لابن على الفارسي ٠٠٠ وآخرين غيرهم ٠٠،٠٠

وفوق ذلك فقد كان ينص على أنه يتبع منهج السابقين ويحذو حذوهم في هذا ٠٠ ، ٠٠ وأكثر من ذلك كله تطالعك في بعض المواضع أقواله بأن : « الجماعة تلقت مباحث هؤلاء بالاعتراف والقبول » ٠٠٠

وما ذلك عندي ــ الا لأن لابن جني فكرة هي أبعد ببعيد من فكر معاصريه وقد اتخذ من أقوال هؤلاء وأعمالهم منطلقة نحو تحقيقها ٠٠ فراح يضع معالمها ويثبت دعائمها ٠٠ وينطلق فيها من بعد الى بعد ٠٠

وأراها عنده مستقلة رائدة غير مسبوقة ٠٠ وهي عنده ذات أوجه متنوعة ، وآفاق وأبعاد كل بعد منها هو نظرية مستقلة ٠٠ على نحو ماهي عليه اليوم في علوم الغرب ٠٠ ولايجب أن تتقدم الا في هذا الضوء ليظل للمتقدم سبق تقدمه ويتراءى أمام الدارس استفادة اللاحق منه لاسيما اذا كانت هناك أدلة ناطقة على ذلك ٠٠

ويكفي أن يكون هذا أيضا في حد ذاته حافزا وهدفا آخر من أهداف هذا العمل تقدم في ضوئه متون اللغة العربية لا سيما وأنها ضمن مقررات دراسية على طلاب الجامعة ٠

وقد جاء عرض ابن جني لما توصل اليه في براعة وحيطة منهجية جديرة بأن يبصر بأبعادها الدارسون من خلف هذا السلف وقد كان هذا أيضا هدفا

---

(٢) قال الخليل : كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومد فقالوا : صر ــ وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صرصر ــ الخصائص جـ ٢ ص ١٥٢ ﻫ

غير ما سبق من أهداف هذا العمل ....

كما كان الرأى ان يفرد القسم الثانى بتمامه لعرض بعض أعمال هؤلاء السلف عرضا تحليليا تطبيقيا يظهر من خلاله دقتهم العلمية وحيطتهم فى المنهج وعمقهم فى الدرس والفهم ـ ومن هنا فقد استقر الرأى على أن يقع هذا الكتاب فى قسمين كبيرين :

أولهما يعرض القضية عرضا عاما فى الفكر النظرى القديم والحديث وعند علماء الغرب وعلماء المسلمين على السواء .

ويعرض القسم الثانى القضية من خلال متون اللغة المتنوعة عرضا تحليليا تطبيقيا يربط القارىء بالتراث ويطلع من خلاله على عبقرية العربية وعبقرية السلف من علماء هذه الأمة فى ضوء الدرس المحدث ....

ومن هنا فقد قسم الكتاب قسمين لكل قسم فصوله وأبوابه ومباحثه ، وقدم له بهذه المقدمة وأعقبا بالخاتمة التى أجملت النتائج العامة ـ وحددت ما تراى أمام البحث من توصيات ومقترحات وجاءت بعدها فهارس الكتاب .

واشتمل القسم الأول من الكتاب على ثلاثة فصول :

عرض الفصل الأول لقضية العلاقة بين الدال والمدلول ..

وعرض الثانى القضية من خلال الفكر الغربى المحدث ـ واتخذ فى ذلك مسارين :

أولهما مسار الفكر اللغوى الفلسفى ..

وثانيهما مسار الفكر اللغوى الخالص ..

أما الفصل الثالث من قسم الكتاب الأول فقد درس القضية فى الفكر العربى الاسلامى وعرضها من جانبين :

الجانب الأول : جانب الفكر الاسلامى فى القديم .. واتخذ لذلك مباحثه الخاصة بـه .

والجانب الثانى : جانب الفكر العربى الاسلامى فى الحديث .. واتخذ فى ذلك مباحثه الخاصة به كذلك .

وجاء القسم الثانى من الكتاب بمثابة عرض تحليلى تطبيقى لبعض المتون اللغوية من التراث التى يتبين من خلالها عن طريق التحليل والدرس النظريات التى توصل اليها علماؤنا القدماء ودورها الريادى فى الدراسات المحدثة وعرض الأبواب التى دار من حولها الجدل والتى تدرس ضمن مادة متن اللغة • ومنها من الخصائص : باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى — بالاضافة لنصوص المزهر الخاصة بالقضية — وعرض كذلك باب فى امساس الألفاظ أشباه المعانى — وباب فى قوة اللفظ لقوة المعنى ، وباب فى السلب ، وباب فى تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى •

ثم عرضت فصول مختلفة من كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبى — وكذلك بعض الفصول من كتابه سحر البلاغة وسر البراعة •• وكل ذلك فى ضوء ما يتصل به من دراسات محدثة •

فالى القسم الأول من أقسام الكتاب : —



القســـم الأول

عرض عــام للقضــــية



الفصل الأول

طبيعة العلاقة بين الكلمة وما ترمز اليه

تثار بين الحين والحين بعض القضايا على صعيد البحث اللغوى عبر عصور التاريخ ..،.. وقد تكتسب أهميتها مما تتضمنه من قيم ، وما يثريها به المفكرون من معان ، ويضفون حولها من أفكار تظل محتفظة بأهميتها ، ولا تنطفىء جذوتها ...

ومن بين هذه القضايا تلك القضية التى نحن بصددها ..،.. وقد أفاد الدرس اللغوى العربى التقليدى من هذه القضية بشكل أو بآخر كما أفادت المباحث العربية التقليدية الاخرى منها كذلك على نحو ما سيأتى مفصلا وكذلك أفادت الدراسات العربية المحدثة منها سواء فى المجال اللغوى أو الفلسفى أو غيرهما ..

ومن تمام القول فى هذه القضية أن نتناولها فى عرض عام نشير فيه الى ما أثير بخصوصها من أفكار ، وما دار حولها من مناقشات ... مما هو خاص بما نحن بصدده .

وكيف وصلت الى الفكر اللغوى الغربى التقليدى أو المحدث .. وكيف نستفيد منها . وعلى أى وجه جاء التفكير فيها ..،..

ومن تمام القول أن نشير الى ما أثير بخصوصها من قبل ابن جنى على ساحة الفكر وليكن منذ عصر اليونان .



القضـــــية منذ عصر اليـــونان

أثيرت هـذه القضية منذ اليونان وما قبلهم (١)

فمنذ القرن الخامس قبل الميلاد أثار علماء اليونان هـذه القضية ، حيث كان قد شاع فى بلاد اليونان من قبل افلاطون نظريتان :

- الأولى : تبناها هيرقليطس «Héraclites» (٢)
- والثانية تولاها ديمقريطس «Dèmocrites» (٣)

وقد كان هرقليطس مغرما بتحليل الأسماء والمسميات غـراما شديدا ايمانا منه بما كان قد اسـتقر فى يقينه من أن الاســماء تعطى من لـدن الاله (سبحانه وتعـالى) لذا فهى عنده جـاءت وقفـا على المسـميات ـ (النظـرية التوفيقية وما هو خاص بهـا بنشــأة اللغة) ـ (٤)

اما ديمقريطس فكانت نظريته على العكس من نظرية هيرقليطس ٠٠ حيث كان يرى أن عـلاقة الاســماء بالمسـميات علاقة تواطئية اصطلاحية ٠٠ (٤) ٠٠ لأن الشيء الواحد عنده يقبل أسماء متعـــددة كما أن الشخص الواحــــد نفســه يظل هو هو على الرغم من تطوره ٠٠ أو تــغيره ٠٠ أو حتى تنــازله عن اسمه ٠٠ ـ (ولذا فنشــأة اللغة عنده نشــأة تواطئية اصطلاحية) ٠

---

(١) اشار بلومفيلد Bloamfield فى كتابه اللغة (Language) الى ماذكره « هيروديت » المؤرخ اليونانى ـ عما صنعه فرعون مصر أو ملكها « أبسماتيك » مما له صلة بهذه القضية ـ كما أشار غيره الى مثل ذلك ٠ ومن المفيد قـراءة كتاب اللغة لبلومفيلد الفصل الأول :

Language By Leonard Bloomfield - Chapter 1 The Study of language P.P. 3-20

(٢) ٥٧٦ ـ ٤٨٠ ـ ق ٠ م ٠

(٣) القرن الخامس قبل الميلاد ٠

(٤) معنى ذلك أن القضية هنا ذات شقين يجب أن تناقش فى ضوئهمـــا شق فيما نحن بصدده ـ وآخر خاص بنشاة اللغة ـ ووجود نظريتين ازاء تلك النشاة : النظرية التوفيقية ـ والنظرية الاصطلاحية ٠

وحاول أفلاطون (Plato) أن يعالج هذه القضية علاجاً شاملا يضع فى اعتباره النظر لها من كلا جانبيها .. فانشأ محاورته المعروفه « قراطيلس » (Cratylus)

ـ : محاورة قراطيلس (Cratylus) لأفلاطون

ناقش أفلاطون فى محاورته هذه القضية مناقشة أحاطت باطرافها وذلك على النحو التالى : ـ

أجرى أفلاطون حوارا بين قراطيلس ـ وهرموجينيس (Harmogenece) ـ وهما من تلامذة سقراط . وجعل قراطيلس (Cratylus) يعبر عن وجهة نظر الهرطقليين .

أما هرموجينيس فقد جعله يعبر عن وجهة نظار الديمقريطيسيين .

وكان رأى قراطليس (Cratylus) (٥) أنه يوجد فى الطبيعة اسم صحيح لكل كائن فى الحياة ../.. وأن التسمية ليست كلمة يطلقها بعض الناس على شىء ما .. بعد التواطىء .. لكن ثمة فى الطبيعة عند اليونانيين وعند غيرهم سواء من البرابرة أو الآخرين أو حتى الناس كلهم طريقة صحيحة للتدليل على الأشياء ..

ومفاد ان عالم الأسماء يقودنا الى عالم الأشياء ../..
واننا متى عرفنا حقيقة الاسم عرفنا جبرا حقيقة المسمى ../..
وهكذا ينقلنا عالم الكلمات الى عالم الماهيات ../..

أما هرمو جينيس فقد عبر عن وجهة نظره بأن الاسم الذى نطلقه على الشىء هو الاسم الصحيح ../.. فنحن نغير أسماء عبيدنا دون أن يكون الاسم الجديد أقل حظا فى الدقة من السابق .. ، .. والطبيعة لاتاخذ على عاتقها أن تطلق أسماء خاصة على أشياء خاصة ../.. وانما الاسماء وليدة التكرار والعادة عند الذين يزاولونها ..

---

(٥) سميت المحاورة باسم قراطيل (Cratylus) ولهذا دلالة سوف تتضح فيما بعد .. ، ..

ومعناه أن الكلمات لا تظهر باطن المادة..،..

وان عالم الأسماء لايقودنا الى عالم الأشياء ..،.. ولا يسوقنا الى عالم الماهيـــات ..،..

ويجعل أفلاطون سقراط يقبل على تلميذيه وهما يتحاوران .

وحينئذ يطلب هرموجين منه أن يفصل بينهما فيما هما فيه متحاوران ومختلفـــان ../..

ولكن سقراط فى تواضعه المعهود يعتذر بقوله : انه غير كفء لأن يكون حـــكما ../.. ولكنه على استعداد لأن يشارك فى الحديث ../..

../.. ومن ثم يأخذ فى التحليل والتدليل مخاطبا هرموجين أولا ..،.. ثم قراطيل ثانيا .. ، ..

.. ، .. ويرفض سقراط أن تكون الاسماء وليـدة الاتفاق العابث ..،.. ويرى أنه يجب ان يكون بين الاسم والمسمى محاكاة ....

- غير أنه ليس معنى هذا أنه يقف فى صف قراطيل -

- انه لا يستمر طويلا على موقفه هذا .. -

.. وانما يعود فيتساءل .. : أليست فى اللغة متناقضات ؟ !

وأليست فى اللغة أخطاء ؟!

ألا تشير بعض الاسماء الى الضدين ؟!

فاذا كانت الأسماء من لدن الله .. فان القوة الالهيـة لا تخطىء . .

فمن أين يأتى الخطأ ؟ !

أليست الألفاظ هى جالبة الفساد ؟ ! .. وهى جالبة الخطأ ؟ !

لذا ينبغى أن ننطلق من الاشياء لا من الكلمات التى تشير اليها ..،..

وذلك لأن الكلمات لا تستقر انها دائمة التغير ..،.. على ان الحقيقة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ..،..

ـ ولكن ليس معنى ذلك • أيضا • أنه مع هرموجين • ـ

هو ليس مع هذا .. وليس مع ذلك .. فكل واحد منهما عنده قد جانبة الصـــواب ..

ثم هو يتابع فى تسلسل توضيح فكرته ..،..
ويبين أن علينا أن نبحث عن حقيقة الاشياء ..،..
ثم يتساءل : وماذا نعنى بحقيقة الاشياء ؟
ان الاجابة على هذا تحتمل وجهين : ـ

* الوجه الأول : هل حقيقة الاشياء تبدو فى الوجه الذى تظهر به لكل فرد وفقا لاحساسه هو بها ..،.. جريا على مذهب « بروتاجوراس » (Protagoras) (٦) الذى يرى أن المعرفة أساسها الاحساس وبناء عليه تتعدد أوجه الحقيقة تبعا لتعدد احساس الناس بها •

* الوجه الثانى : أو ان حقيقة الاشياء لها وجه واحد هو الوجه الذى يراه كل انسان على نحو ما يذهب الى ذلك أو تيديم (Etuthydeme) (٧) •

ويتابع سقراط حديثه رافضا مذهب بروتاجوراس .. وذلك لأن معنى قبوله أن يصير كل الناس حكماء .. وهذا مالا نجده ..

وكذلك يرفض مذهب أوتيديم والا فمعناه ألا فرق بين الأخيار والأشرار .. وهذ أمر لايصح أن يكون ..،..

---

(٦) من فلاسفة اليونان ٤٨٥/٤١١ ق•م •

(٧) من فلاسفة اليونان من القرن الخامس ق • م • وهو أحد أبطال أفلاطون فى محاوراته ..،..

وعليه فانه يرى أن للموجودات جوهر ثابت بصرف النظر عن الصورة التى نراها عليها الانسان أو التى تبدو بها ۰۰،۰۰ ويرى أن الذى يقتضيه العقل هو أن الأشياء تسمى بحسب ما تستلزم طبيعتها ، وأن يطلق عليها ما يناسبها من الأسماء ويشبه سقراط عملية التسمية بالحياكة وكما تستعمل آلة الحياكة أو المكوك فى فك الخيوط المتشابكة كذلك تستعمل الأسماء فى تعليم النـــاس وتوجيههم وجهة الحق ۰۰،۰۰

ومثلما أن آلة الحايكة والمكوك المستعمل فيها من صنع الانسان (النجار) فكذلك الاسم هو من وضع الواضع ۰۰،۰۰

واذا كان على صانع المكوك (أى النجار) أن يعطى المكوك الشكل المناسب لنوع العمل المرغوب فى تأديته فكذلك على واضع الاسم أن يجعله مناسبا للشىء الذى يطلقه عليه ۰۰

وهنا يتبادر سؤال :

ومن ياترى سيكون حكما ـ ليحكم بان الشكل الذى صنع عليه المكوك جاء مناسباً ؟ ۰ أو أن الاسم الذى أطلق على الشىء جاء وفق المطلوب ؟ ۰

والاجابة : أن الذى سيستخدم هذا أو ذاك سيكون هو الحكم ۰ والمتكلم هو الذى سيقبل الاسم الذى سمى به الشىء أو سيرفضه ۰

ولذلك وجب على واضع اللغة عند وضع الاسماء أن يهتدى بآراء جماعة المتكلمين ۰۰ ومعناه : أن ليس كل انسان قادرا على أن يصنع الاسماء ۰۰

وانما الامر مقصور على من يستطيع ادراك ماهية الشىء ۰۰،۰۰ وعـلى من يستطيع أن يعطى للاسماء صياغة مقبولة فى قالب مناسب من الحروف والمقاطع الصوتية ۰۰،۰۰

وخلاصة رأى أرسطو الذى هو رأى أفلاطون : ـ

نستطيع أن نتبين مما سبق أن أرسطو له موقفه الخاص : وعندنا أنه ليس هـو موقف التوفيق بين الرأيين على نحـو ما يرى ذلك بعض الباحثين (٨) ۰

---

(٨) أنظر فى فلسفة اللغة : كمال يوسف الحاج ـ فى جوهرية اللغة من ص ١٥/٩ه ومحاضرات فى علم النفس اللغـوى : د۰ حنفـى بن عيسى من ص ٢١ / ٣١ ۰

وذلك لأنه يرى أن الالفاظ من وضع واضع .. غير أن الواضـــع أوتـــى مقدرة خاصة وحسا معينا ..،.. ومقدرة يستكنه بها حقيقة الاشياء .. فياتى وضعه متفقا مع جوهرها ..

وعنده أن بين الاسم والمسمى محاكاة ..،.. غير أنها تاتى انطلاقا من عالم الاشياء ومن المسميات لا من الاسماء فجوهر الاشياء ثابت لايتبدل ، والاشياء تسمى بحسب مايستلزمه طبعها ..،..

وبعد أن تطلق الاسماء على المسميات تقوم باداء دورها فى تعليم الناس وتوجيهم وجهة الحق ..،..

ومع أن الواضع أوتى هذه المقدرة على حقيقة استكناه الاشاء المسماة ..، ومعرفة ماهيتها فهو أيضا الهم البراعة اللغوية فى اختيار القوالب المناسبـــة لها من حيث الالفاظ بل ومن حيث الاصوات الملائمـــة .. وكذلك من حيث المقاطع .. ، ..

وفوق هذا فهو قد وهب الحس الذى يستلهم به روح جماعة المتكلمين الذين يستعملون ما وضع من الفاظ اللغة .. ، ..

فهم الذين يقبلون .. وهم الذين يرفضون ..

فعلاقة الاسماء بالمسميات نتيجة اتفاق عابث .. ولكنها علاقة وطيدة بمعنى أن الأول وقف على الثانى .. ولا سيما اذا ما جاء الاسم موضوعا على شاكلة الشى معبرا عن ماهيته ..

وفى ضوء هذا نستطيع أن نفهم كيف أن حكمة وضع الاسماء هى تعليم الناس وارشادهم الى وجه الحقيقة ..،..

أما فى حالة ما اذا لم يطابق الاسم المسمى فقد يوقعنا هذا فى الخطا . . لذا لا ينبغى أن نركن دائما الى الأسماء .. لأن وضعها قـد يكون مبنيا على

خطأ فى ادراك ماهيتها .. لذا وجب أن يكون مرجعنا دائما الى الاشياء فى ذاتهـــــا (٩) ..،..

وصفوة ما نخلص بـــه من رأى هنـــا هو أن أفلاطون فى محاورته ان كان ينـكر بعض ما يراه قراطيلس (Cratylus) فى بعض نواحيه الا أن هواه معه ..،..

* وأنظر معى : المحاورة تسمى محاورة قراطيلس

* وكل ما ترتب عليها من آثار فى مجال الدرس والعلم لاسيما فى عصرنا هذا ارتبط بهذا المعنى ، العلاقة الطبيعية بين الاسم والمسمى » ففى مجال الدرس الفلسفى اللغوى تخرج نظرية مرتبطة بهذه المحاورة تعرف باســــم نظرية « الاسمية فى المعنى » (Naming theory of meaning) ويعد أفلاطون أول من صاغ هذه النظرية الاسمية فى المعنى ، ارتباط الاسم بالمسمى بطريق أو بآخـــــر » .

ـ وكذلك عندما انتقلت الى الفكر اللغوى المحـدث ناقشـــــها بلومفيلد (BloomField) تحت عنوان قراطيلس (Cratylus) ـ وبنى رأيه فيها انطلاقا من خطأ الارتباط بين الاسم والمسمى ..،.. وبين أن هذا الفهم لم يكن وقفا على اليونان وحدهم وانما امتد الى تلامذتهم من الرومان ..،..

---

(٩) يمكن قراءة موضوع محاورة (Cratyllus) لافلاطون : (Plato) فى المراجع الآتية : ـ

فى فلسفة اللغة : كمال يوسف الحاج ـ الفصل الأول : فى جوهرية اللغة من ص ١٥/٥٩ والفصل الثانى : فى أنطلوجية اللغة من ص ٦٠/١١٩
ـ وقراء محاضرات فى فلسفة اللغة . د. محمود فهمى زيدان .

ـ وقـاء محـــاضرات فى عـلم النفس اللغـــوى د. حفنى بن عيسى ـ الفصــــل الأول : لمحـــة تاريخية من ص ٢١/٢٩ ـ والفصل الثانى : اللغة ومشكلة المعرفة من ٣١/٣٩ ـ وفى كتب غير ذلك ـ أما فى المراجـــع الافرنجية فيمكن تـــــراءة :

* Louis Méridier; Platon, Cratyle - (Budé 1931) PP. 49-50-

* Leonard BloomField; Language, Dialògue Cratylus (Plato, 427 - 348) P.4

ـ وأما بخصوص الفكر اللغوى العربى فقد اتخذت بعدين : ـ

ـ أحدهما فى التراث يحدده جلال الدين السيوطى ويوضحه ويلخص أبعاده ويحاول أن يربط بين توقيفية اللغة وبين ماصدر عن علماء المسلمين ٠

ـ وأما الآخر فقد اتخذ مساره فى الدرس اللغوى الحديث ٠٠،٠٠ ويوضح أبعاده واتجاهاته موقف الدكتور ابراهيم أنيس وما ترتب عليه ٠

وسوف تناقش الفصول القادمة ماترتب على هذه المحاورة من آثار فى مجالات الدرس الغربى ـ والاسلامى ـ كلا على حدة ٠

الفصل الثانى

القضية فى الفكر الغربى المحدث

اتخذت تلك القضية فى الفكر الغربى المحدث مجالات واتجاهات وقامت عليها نظريات لها أبعادها ومساراتها وأهم هذه المجالات :

مجال خاص فيما نحن بصدد الحديث عنه •

ومجال آخر خاص بنشأة اللغة •

أما المجال الأول فقد اتخذ مسارا خاصا بالدراسات الفلسفية اللغـــوية ومسارا آخر خاصا بالدراسات اللغوية الخالصة ••،•••

المسار الأول : فى الفكر اللغوى الفلسفى :ـ

ففى المسار الأول : مسار الدراسات اللغوية الفلسفية صيغت نظريــــة الاسمية فى المعنى (Naming theory of meaning) وقد نادى بها فتجنشتين (Wittgenstein)

ثم عاد فعدل عنها ووجه اليها نقدا ، وأقام على أنقاضها نظريته الجديدة : وهى نظرية الاستعمال أو الاستخدام اللغوى ••،••

ونظرية الاسمية فى المعنى (Naming theory of meaning) هذه ترتبط ببعض الفلاسفة مثل : أوغسطين ، وهوبز ••،•• وهى نظرية أفلاطـون •• ولذا فهم يعدون أفلاطون أول من صاغ نظرية الاسمية فى المعنى ••،•• ونـجد أبعادها عندهم على النحو الذى جاءت عليه عند أفلاطون ••،•• فهى تحدد عندهم فى النقاط الآتية : ـ

لكى تكون اللغة الصحيحة دقيقة محددة يجب أن تتألف من أسماء ••

وعندما نسمى شيئا ما يجب أن نتجه اليه لنراه وندرك أن هذا هو المسمى بهذا الاسم :

كلما ارتبط الاسم بالمسمى بتكرار التسمية فى جمل مختلفة نبدأ التعرف على الاشياء

– يتضمن هذا أننا ندرك الاشياء أولا مستقلة عن استخدام اللغة ثم نربط كلا منها باسم بعد ذلك – قبل أن يتعلم الطفل كلمة ما ولتكن خبزا أو ماء أو مقعدا مثلا فانه يراه فعلا ثم يعطيه اسما – لذا فاللغة لاتؤثر على خبرتنا ، ولكن يمكن أن تؤثر فى قدرتنا على توصيل المعلومات للآخرين ، فالكلمات تسمى الاشياء – كما تذهب هذه النظرية أيضا الى : –

* أن لكل كلمة معنى واحدا محددا ثابتا ، ويظل هذا المعنى مرتبطا بالكلمة ، وحينما لايكون محددا نقول : ان المعنى غامض يلزم تحديده ·

* ان القضايا التى تؤلفها (١) تصور الواقع تصويرا دقيقا على أساس أن الوظيفة الوحيدة للغة هى تقرير وقائع أو وصف خبرات فعلية ··،··

ويصور كل جزء من الجملة جزءامقابلا لما بالعالم من أشياء ووقائع وبهذا المعنى تكتسب الجملة معناها وصدقها ·

وقد وجه المحدثون الى هذه النظرية انتقادات متعددة منها : –

أن التعبيرات التى تشير الى شىء واحد تتساوى فى المعنى لكن هذه التعبيرات ليست مترادفة ·· اذن النظرية خاطئة وقد بين فريجه أن هناك تمييزا بين معنى الاسم واشارته (٢) ·

---

(١) المقصود القضايا المنطقية ، والفلسفية – أو حتى القضايا العامة التى تأتى نتيجة لتراكيب لغوية عادية ··

(٢) أنظر : فى فلسفة اللغة · د· محمود فهمى زيدان من ص ١٠٧ وما بعدها · واقرأ : الفصل الخامس : نظريات المعنى من ص ١٣٩/٩٥ – وأنظر : –

Wittgenstein; Philosophical Investigations - Pt. I.S.1-
Borgmann, The Philosophy of Language P.19
Martinus Nijhoff the Hague 1974.

ودعم فيتجنشتين رأى فريجــة هـذا بموقف آخر هو التمييز بين معنى الاسم وحامله (٣) .

وتعد انتقادات فتجنشتين لهذه النظرية ـ جزءا من نظريته الجديدة فى المعنى ..،.. فمما وجهه الى هذه النظرية :

أننا لاننكر أننا نتعلم معانى بعض الكلمــات حين نشير بالكلمات الى أشياء بعينها .. لكن ليست كل الكلمات تؤدى هذه الوظيفة ..،..

وأننا لانتعلم دائما معانى الكلمات بالاشارة فهناك كلمات كثيرة ليست اسماء لأى شىء .. ، ..

أضف الى ذلك أن اللغة لاتسمى أشياء فقط ..،.. بل وليست وظيفتها الوحيدة هى تقرير وقائع ..،.. وانما للغة وظائف أخرى لا حصر لها ..

بالاضافة الى ما سبق فان :

هذه النظرية تخلط بين الاسم وحامله .. كما ان معنى الاسم ليس مسماه .. وانما نسمى هذا المسمى حامل الاسم ..،..،..

الكلمات فى اللغة ليست أسماء فقط . ، وكذلك باللغة كلمات لاتشير الى شىء واحد بعينه .. كما أن للكلمات وظائف أخرى كثيرة غير التسمية ..،..

بل حتى الكلمة التى نعتبرها اسما لها معنى غير ما تشير اليه ..

ومن هنا كانت عبارة فتجنشتين التى بنى عليها نظريته الجديدة :

« لا تسأل عن المعنى ، وانما اسأل عن الاستخدام » ..

---

(٣) Frege G., Sense and Nominatum, in readings in philosophical Analysis ed. by Feigl and Sellars.

(٤) فى فلسفة اللغة (السابق) ـ وأنظر

Katz, Linguistics Philosophy P86 - Allen and Unwin London 1972.

(٢) المسار الثانى : ـ فى الفكر اللغوى الخالص : ـ

أما المسار الثانى هو خاص بالدراسات اللغوية الخالصة فقد حدد أبعاده رائد الدراسات اللغوية الحديثة فردينانددى سوسير فى دراسة مفصلة لذا فقد عرضنا له فى شىء من التفصيل • كما أوضحه كذلك بجلاء موقف اللغوى الأمريكى المحدث بلومفليد على نحو ما جاء عنده بطريق مباشر عندما عرض محاورة قراطيلس (Cratylus) ••،••،•• وغير هذين العالمين على نحو ما أوضحنا : ـ

القضية من وجهة نظر رائد علم اللغة الحديث • فردينالدى سوسير :ـ

أفرد فردينناند دى سوسير فصلين بتمامهما من كتابه : محاضرات فى علم اللغة العام (٩) Cours De Linguistique général ـ لما يتصل بالموضوع الذى نحن بصدده •

جعل الفصل الاول لطبيعة العلاقة بين الاسم والمسمى : وجعل عنوانه : طبيعة العلامة اللغوية (Nature du Signe) وناقشة تحت عنوان المصطلحات الثلاثة :

١ ـ العلامة اللغوية •

٢ ـ الدال •

٣ ـ المدلول (١٠) •

وأفرد الفصل الثانى للتحدث عن تغير العلامة اللغوية واستقرارها (١١)

---

(٩)
Ferdinand De Saussure, Cours De linguistique général — Public par, Charles Bally et Albert Sechehaye — Payot, Paris — 1955 —

(١٠) اقرأ القسم الاول : اسس عامة ـ (السابق) :
Première partie — Principes généraux
Chapitre premier — Nature du signe linguistique PP 97 — 113—
1. signe, signifie, signifiant — PP 97 — 103 —

(١١)
Chapitre II — immutabilité et mutabilité De Signe—PP104-113

ويجدر بنا أن نوضح العلامة اللغوية عنده قبل أن نعرض لآرائه بالتفصيل .

ـ مصلح العلامة اللغوية Signe عنده مخالف لما هو شائع فقد يفهم بعضهم العلامة اللغوية على أنها الكلمة أو الصورة الصوتية ـ ولكنه يعنى بها غير ذلك ـ أنه يعنى بها تجميع الفكرة والصورة الصوتية .

فالمصطلح يجعل العلامة اللغوية ذات جانبين جانب الفكرة Concept) وجانب الصورة الصوتية (image acoustique) ـ على أن نفهم أن مقصوده من الصورة الصوتية ليس هو الصوت المادى الفيزيائى الخالص، ولكن الطابع النفسى للصوت أى الانطباع الذى يحدث عندنا نتيجة له ..

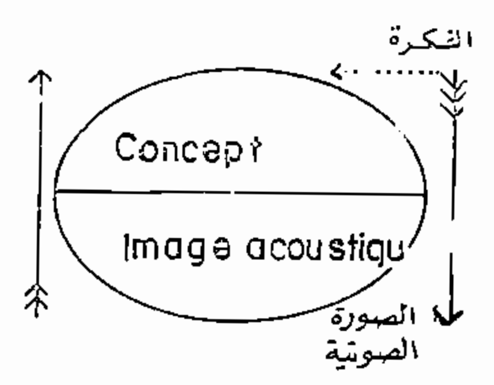
فالعلامة اللغوية كيان نفسى له جانبان نفسيان متحدان فى العقل برابط جمعى .

الجانب الاول الفكرة التى تتكون فى العقل عن الشىء نفسه ـ والجانب الثانى الصورة الصوتية التى تحدث فى العقل نتيجة للاصوات المنطوقة نفسها الخاصة بالشىء ـ ويحدث بين الفكرة والصورة الصوتية فعلا اتحاد توحدفىالعقل برابط جمعى ـ فالعلامة اللغوية هى توحد الفكرة والصورة الصوتية ثم هو يرى أن اعتبار اللغة قائمة من الكلمات يتطابق كل منها مع الاسم الذى يدل عليه فكرة مفتوحة للنقد والمناقشة من جوانب متعددة ..،.. انها تجعلنا نفترض أن الربط بين الاسم والشى عملية سهلة .. ، .. وهذا خلاف الواقع .. ، .. حقا الحدث اللغوى ثنائى الكيان .. وهو يتشكل بتجميع مصطلحين وهما عنصرا الحدث وهما نفسيان ومتحدان فى العقل برابط جمع العلامة بينهما فالذى يحدث هو توحد بين الفكرة والصورة الصوتية علىحين لا يحدث توحد بين الاسم والشىء الدال عليه . .
ثم ينطلق فى مناقشة موضوعية مستفيضة يخلص منها الى اعتباطية العلامة اللغوية (L'Arbitraire Du Signe)

وتظهر آراء دى سوسير فى صورة أوضح عندما يلقى أضواء أكثر توضح مقصوده من الصورة الصوتية ..

.. ، .. مصطلح الصورة الصوتية يتضح عن طريق مقابلته بقرينــه المصطلح الآخر (Concept) أضف الى ذلك أن الميزة النفسية للصــور الصوتية عندنا يمكن أن نلحظها فى وضوح وذلك عندما نتلوا عن ظهر قلب قطعة شعرية وأفواهنا مقفلة من غير أن يحرك الواحد منا شفتيه أو لسانه.. معنى ذلك أننا نحرك الصور الصوتية الموجودة فى العقــل والمتحدة برابط جمعى مع الفكرة التى تقابلها عنــدما استدعيها عن طريق أحــد العنصرين ـ فبين العنصرين وحده متآلفة وكل منهما يستدعى الآخر .

فالعلامة اللغوية كيان نفسى له جانبان يمكن تمثيله بالشكل الآتى :



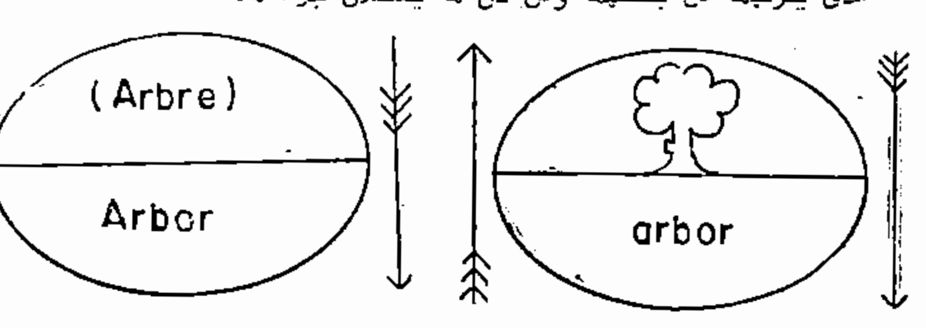
العنصران بينهما وحدة متآلفة متحدان فى العقل برابط جمعى وكــل منهما يستدعى الآخر .. ، .. على سبيل المثال (شجرة Arbor) يميل الواحد منا الى نســيان أن : (شجرة Arbor) سميت عـلامة لانها تحمل مفهوم شجرة arbre ـ بالاضافة الى حقيقة أن فــكرة الجـانب الحسى تتضمن الفكرة كلها .

ويختفى الغموض عندما نشير الى المفاهيم الثلاثة المستخدمة هنا بثلاثة أسماء كل واحد منها يحقق ويناقض الآخرين ـ كلمة Signe تعنى الكل .

والفكرة Concept ـ نضع بدلا منها Signifie المدلول .

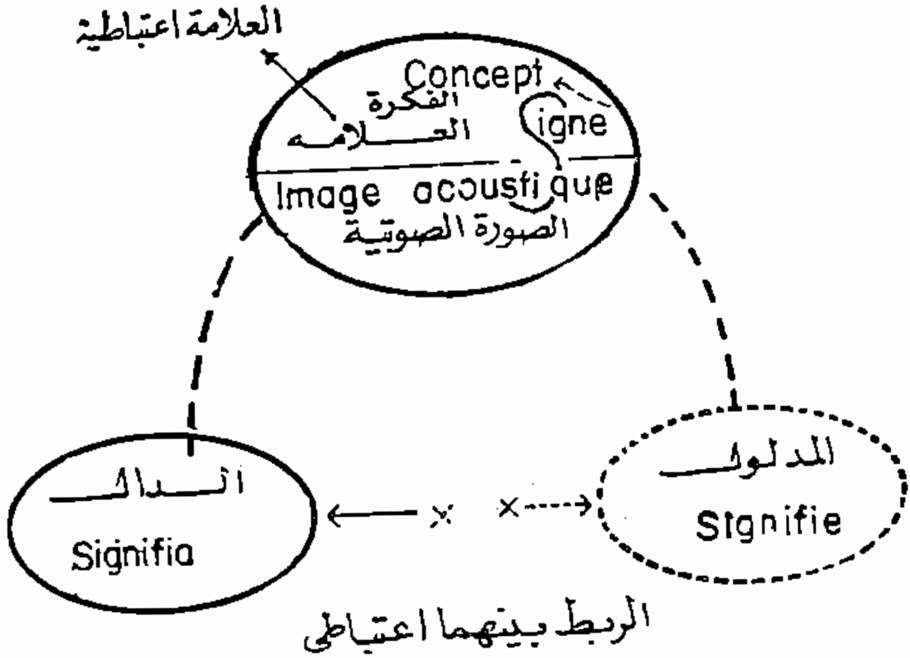
والصورة الصوتية image acoustique نضع بدلا منها Signifiant الدال .

فالمصطلحان الاخــيران لهما فائدة الدلالة على التناقض (التعارض) الذى يفرقهما عن بعضهما وعن كل ما يشكلان جزءا منه .



والعلامة اللغوية Signe لها ميزتان أساسيتان وبتوضيح هذين الاساسين توضع الاسس الرئيسية لكل دراسة من هذا النوع :ـ

ـ الاساس الاول : الطبيعة الاعتباطية للعلامة (١٢)٠



ان الربط بين الدال (Le signifiant) والمدلول (Signifie) اعتباطى (Arbitraire) ولان العلامة هى الشكل المتحقق من تجمع الدال والمدلول فالعلامة اللغوية اعتباطية ٠٠،٠٠

فمثلا فكرة أخت «Soeur» فى اللغة الفرنسية هى على سبيل المثال لا يرتبط تتابع أصواتها (S.O.R.) باية علاقة قرابة داخلية ـ وان هذا التتابع الصوتى يمكن تمثيله بشكل مساو باى تتابع آخر مشابه له فى أى لغة ٠٠ مؤكدا الاختلاف داخل اللغات ، والوجود التسوى للغات المختلفة ٠

وكذلك مدلول كلمة ثور «boeuf» يحمل كدلالة عليه b-o-f فى جانب من جانبيه و (Ochs) o — k — s من الجانب الآخر ٠

---

(١٢)
Premier principe, L'Arbitroire du signe — PP 100 — 101 — 102

ـ وهذا بدوره يجعل الترادف من عوامل تاكيد اعتباطية العلامة اللغوية ـ فاعتباطية العلامة من الوضوح الى درجة أنه لا يجادل أحد فى هذا الشأن ..

وأن كل حالات التعبيرات المستعملة فى المجتمع فى مختلف أعرافه (institutions) قائمة على اعتباطية العلامة ـ التقاليد الاجتماعية ـ قوانين أنظمة الشفرة ـ (Codes) ـ الطقوس الدينية ـ الاشارات البحرية ـ اشارات المرور وقواعده ..،.. الى آخره

ـ فالصينيون مثلا الذين يحيون امبراطورهم بانحنائهم على الارض تسع مرات ـ هذه علامة قائمة على الاعتباطية كذلك .

ان علم العلامات (Semiology) عندما يصبح علما سيكون همه الرئيسى دراسة مجموعة الانظمة القائمة على اعتباطية العلامة ـ وان كل حالات التعبير المستعملة فى المجتمع قائمة على أساس اعتباطية العلامة التقاليد الاجتماعية بمختلف انواعها وكل أعراف المجتمع المختلفة .. ، ..

واللغة ليست الا نظاما واحد سيميولوجيا (Semiology) من بين أنظمة المجتمع المتعددة لهذا كانت اللغة الاكثر تعقيدا وعالمية من كل أنظمة التعبير والاكثر تميزا .. ، .. هى التى ستمكن علم اللغة من أنيكون النموذج الممتاز لكل فروع علم العلامات .. ، ..

ولكننا عندما نستحضر كلمة رمز (Symbol) ـ ونجدها تستعمل لما يساوى ـ العلامة اللغوية ـ أو بتخصيص اكثر ما سميناه الدال (Signifiant) ـ ونعلم أن احدى مميزات الرمز Symbol ألا يكون كلى الاعتباطية ـ فاننا نسلم بهذا لان هناك بدائية الرابط الطبيعى بين الدال والمدلول ..

أن رمز العدالة الذى اختير له كنتا الميزان لا يمكن استبداله باى رمز آخر .. بسبب استقراره .

وهذا بدوره يبين أن كلمة اعتباطى تتطلب مضمونا وهو أن المصلح يجب الا يقتضى ضمنا أن اختيار الدال متروك كلية للمتكلم ـ بدليل أن الفرد لا يملك القدرة على تغيير العلامة عندما تكون قد استقرت داخل المجتمع اللغوى ـ فاعتباطية الدال لا تنفى وجود صلة ما مع المدلول ...،..

ونعرض ظاهرتين تبدوان فى ظاهرهما اعتراضين على مبدأ الاعتباطية ولكنهما فى جوهرهما ترسيخ لهذا المبدأ وهذا الاساس :

١ ـ تقليد أصوات الطبيعة (les Onomatopées) قد تؤخذ كدليل على اثبات أن اختيار الدال ليس دائما اعتباطيا ـ ولكن صيغ تقليد أصوات الطبيعة ليست عناصر عضوية فى بنية النظام اللغوى ـ أضف الى ذلك أن عددها ضئيل جدا اذا ما قيس بالشكل العام لنظام اللغة...،..

وفوق هذا وذاك فلنضع أمثلة من أصوات تقليد الطبيعة فى ضوء التحليل اللغوى ـ ولتكن أمثلة من اللغة الفرنسية مثلا كلمة «glas» قرع الناقوس .

وكلمة «Fouet» سوط .

فهذه الكلمات وما هو على شاكلتها ذات رنين متتابع تحاكى الاصوات التى تدل عليها ولكن عندما نعود بالدرس الى بعيد لنبحث عن أصلها ونجدها فى صيغها اللاتينية فنجد مثلا أن : Fouet مشتقة من Fague = شجرة الزان ونجد glas مشتقة من Classicum = صوت البوق .

فما نسب اليها من تقليد لاصوات الطبيعة جاء نتيجة لتطور صوتى تصادفى وأمثلة أخرى وثيقة الصلة بتقليد الاصوات الطبيعية على سبيل المثال : glug - glug

tick - tick

tock - tock

لو دققنا البحث لوجدناها محدودة فى عددها .
وهى فوق ذلك مختارة أيضا بطريقة اعتباطية نوعا ما ...،..

وذلك لانها أصوات تقريبية فقط ـ وتقليدات اصطلاحية لبعض الاصوات
والدليل على ذلك أنك عندما تقارن بعض التقليدات الاصطلاحية فى
الانجليزية والفرنسية على سبيل المثال نجد فى الانجليزية bow - bow
والفرنسية Oua - Oua

بالاضافة لكل ما سبق فان هذه الكلمات عندما تدخل لغة ما فانها تخضع
الى حد لنفس التطور الصوتى والصرفى .. ، .. الى آخره .. ـ الذى
خضعت له الكلمات الاخرى .

٢ ـ نوع ثان : الكلمات التى تعبر عن الدهشة أو التعجب
(Les exclomations)

كلمات هذا النوع مرتبطة تماما بتقليد الاصوات الطبيعية . ويمكن
تناولها على نفس أسسها :

ـ يجد الباحث فيها تعبيرات تلقائية ، ويجد تهجئتها صالحة للتكلم
بالقوى الطبيعية ولكن عندما نبحثها فى دقة نتبين أنه لا يوجد رابط دقيق
بين مدلولها والدال عليها .. ، .. ولو قارنا لغتين اثنتين حول هذه
النقطة لرأينا مدى اختلاف مثل هذه التعبيرات من لغة الى أخرى .. مثال
ذلك من اللغتين الانجليزية والفرنسية .

المعادل الانجليزى للصيغة الفرنسية aie
هو Ouch

أضف الى ذلك أن كثيرا من الكلمات التى تعبر عن الدهشة ـ أو كلمات
العجب أو التعجب كانت فى الاصل كلمات لها دلالات خاصة :

وهكذا انتهى دى سوسير الى أن : صيغ تقليد أصوات الطبيعة .
وصيغ الدهشة والعجب ..
- أهميتها ثانوية ..
- كما أنها من حيث الاصل الرمزى الى حد ما هى مفتوحة للنقد
وقابلة للنقاش ..

أما الفصل الخاص بتغير العلامة واستقرارها Immutabilité et Mutabilité Signë فقد عرض فيه أولا للتغير .

وشرح فيه فى تسلسل موضوعى أن التغير العام أمره مستحيل ، وأن الامكانيات النظرية للتغير أمرها مقبول .

كما أوضح أن الطبيعة الاعتباطية للعلامة هى فى الحقيقة التى تحمى اللغة من أى محاولة لتعديلها .. فلا يوجد سبب مثلا لتفضيل كلمة boeuf على Ochs ـ ولا كلمة Soeur على Sister ـ هكذا .. الخ.

وأن أى مجتمع لغوى لا يعرف أكثر من أن اللغة ميراث من الأجيال السابقة وأن على الانسان أن يتقبلها كما هى .. وأن حالة اللغة القائمة نتاج القوى التاريخية .

وأن عامل اللغة التاريخى هو الذى يسيطر على اللغة ويمنع أى تغير واسع مفاجىء فيها ..،.. فالأجيال منصهرة وتعاقبها ليس تعاقبا مركبا بعضه فوق بعض وانما هو تعاقب تداخل وانصيار ..،.. مع حقيقة أن تكيف اللغة وتعديلها ليس مرتبطا بتتابع الأجيال ..

وأننا لو بحثنا كيف تنتقل الأعراف الاجتماعية الاخرى وحددنا مدى الاتساع أو الضيق الذى تتمتع به بقية الأعراف الاجتماعية لعرفنا سر استقرار اللغة عندما يظهر فى كل نموذج وجود نسبة مختلفة ما بين التقاليد الثابتة والحدث الاجتماعى الحر .. بالاضافة الى وجوب تذكر المحاولات المبذولة فى تعلم اللغة الأم هذا فضلا عن أن تعدد العلامات اللغوية أمره ضرورى لتشكيل اللغة وأن هذا التعدد عائق مبهم للتغير اللغوى فالعلامات غير متناهية .. بل ان نظام الكتابة نفسه يتضمن مابين عشرين الى أربعين حرفا .. ، ..

وفوق هذا وذاك فان لعنصرى الوزن الاجتماعى ـ والزمن ـ أهميتهم فاللغة يستعملها الجميع يوميا فى كل لحظة على العكس من بقية الأعراف والأنظمة الأخرى التى يستعملها عدد محدد فقط من الأفراد خلال فترة محددة

من الزمن على حين أن اللغة تستعمل فى كل الأوقات بواسطة كل النـاس.
لذا فاللغة أقل عرضه للتغير لأن عنصرين معـا يقيدانهـا عنصر الزمن وعنصر الوزن الاجتماعى وهما عنصران متلازمان ..

وعندما تحدث عن الثبات Mutabilité

أوضح أن الزمن الذى يؤكد استمرارية اللغة هو الذى يعالج سرعة أو بطء تغير العلامة اللغوية .

وأن أساس التغير قائم على أساس الاستمرارية ، والعلامة عرضة للتغير لأنها تخلد نفسها بنفسها والتغير فى الزمن يأخذ أشكالا متعددة ..

هناك تغيرات صوتية تتعلق بالدال .

وتغيرات فى المعنى تتعلق بالفكرة المدلول عليها .

وهذه بعض الأمثلة : فقد أصبحت لفظة يقتل (necare) اللاتينية
يغرق (noyer) بالفرنسية

فكلاهما تغير : الصورة الصوتية والفكرة ـ ولكنه من غير المفيد الفصل بين جزءى الظاهرة انه أصبح من المقرر أن نضع فى عين الاعتبـار الـكل ـ فالربط بين الفكرة والعلامة قد ضاع ـ وأصبح هناك تغير فى العلاقة ..

مثال آخر من الألمانية :

أصبحت اللفظة الألمانية القديمة : dritteil ـ ثلث .
فى الألمانية الحديثة : drittel ـ لقد بقيت الفكرة هنا نفسها ..

وتغيرت العلاقة فى اتجاهين :

١ ـ تغير الدال فى منظوره المادى صوتيا .
٢ ـ وتغيرت صيغته النحوية أيضا .

ان فكرة الجزء Teil ـ لم تدم طويلا drittel تعد كلمة بسيطة ـ فهناك تغير دائم فى العلاقة ـ

مثال ثالث من الانجلو سكسونية : قدم (Fot) بقيت كما هى على حين أن جمعها (Foti) أصبح (Fet) ـ الانجليزية الحديثة (Feet) وان تغيرات صيغ الجمع وتعددها فى اللغة العربية دليل على ذلك كذلك ٠

بصرف النظر عن التغيرات المفهومة ضمنا ٠ هناك شىء واحد مؤكد ، هناك تغير فى علاقتها ٠ تطابقات نشأت بين المادة الصوتية والفكرة ٠

ان اللغة غير قادرة على حماية نفسها من القوى التى تغير العلاقة بين المدلول والدال ٠

وهذه نتيجة هامة من نتائج اعتباطية العلامة ٠

خلافا للاعراف الأخرى التى تقوم كلها بدرجات مختلفة على العلاقات الطبيعية بين الأشياء فكلها تملك التكيف الضرورى للمعانى المطلوبة لبلوغ الغاية ـ حتى موضة الملابس ليست كلية الاعتياطية فهى تنحرف قليلا عن الظروف المفروضة بواسطة الجسم الانسانى ٠٠

أما اللغة فهى غير محددة بشىء فى اختيار المعانى لأنه لا شىء يمنع تجمع أى فكرة مهما كانت مع أى تتابع للاصوات مناسب ٠

ثم هو يتخذ من موقف ويتنى (whitney) (١) تأكيدا لما يذهب فويتنى يرفض أن تكون العلاقة بين الصوت والمدلول طبيعية ـ Nutral

ويراها اعتباطية ـ وعنده أن الدالة ترتبط بالمفهوم الذى تدل عليه بالاصطلاح Conventional ـ والارتباط بينهما ذهنى فقط ٠

ولو كان الارتباط طبيعيا Natural أو داخليا Internal أو لازما Necessary

---

(١) وتينى (D. Whitney) ـ ١٨١٧ ـ ١٨٩٤ م ـ عالم لغوى أمريكى اثر فى دوسوسير وقد كانت لويتنى اهتمامات بالسنسكريتية ـ وله مؤلفات منها « الكلام ودراسة الكلام » ـ أبرز فيه مفهوم القانون اللغوى ـ والنظام اللغوى والبنية اللغوية ـ وأثرت هذه المفاهيم فى دوسوسير فدفعته الى التفكير فى الدراسة الوصفية وعلم اللغة الوصفى ٠٠٠ الخ ٠٠

لوجب أن يتبع كل تغيير فى المفهوم تغيير فى الدليل (٢) •

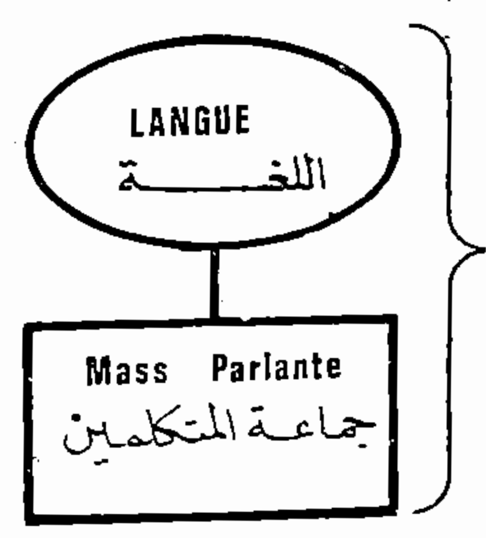
فهو يقول ان ويتنى يلح باستمرار على الطبيعة الاعتباطية للعلامات ـ وهو يضيف ان ويتنى بهذا العمل يكون قد وضع علم اللغة فى مجاله الصحيح •

وان اعتباطية العلامة تستلزم نظريا الحرية فى تأسيس أى علاقة بين المادة الصوتية والأفكار ـ والنتيجة أن كلا عنصرى العلامة يحافظ كل واحد منهما على حياته الخاصة الى درجة غير معروفة بأى وجه •• ولكن التطور حتمى ولايوجد أى مثال للغة واحدة يدفع هذا التطور أو يقاومه •

ان للاستمرارية دورها فى التغيير فالزمن يغير كل شىء ولايوجد سبب لاخراج اللغة عن هذا القانون العام •

ان لجماعة المتكلمين Masse Parlante ضرورته لتحقيق اللغة بعكس بقية الظواهر ، فان اللغة لاتوجد منعزلة عن الحقيقة الاجتماعية ان طبيعتها الاجتماعية احدى ميزاتها الداخلية (٢) •

ان تعريفها التام يجعلها فى مواجهة كيانين متلازمين •



---

(١)
The life and growth of language : Henry King & Co London (875, P. 48.

ـ الدلالة اللغوية عند العرب ص ٢٢٢ •

(٢) اللغة والكلام : اللغة كلام ينقصه التكلم ـ انها المجموعة الكلية للعادات اللغوية التى تسمح للفرد بأن يفهم وبأن يفهم • وجماعة المتكلمين ضرورية لتحقيق اللغة •

اللغة وجماعة المتكلمين . مع ادخال فعل الزمن ـ فالزمن مقرون بالقوى الاجتاعية .

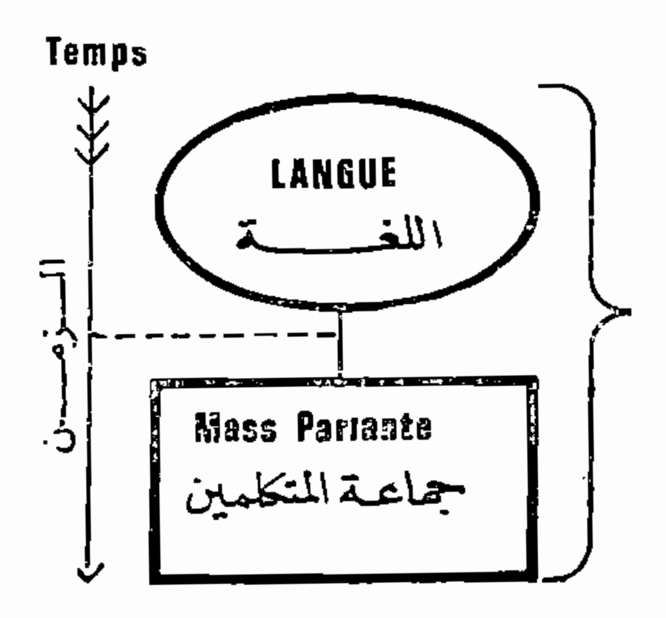
واذا أقصى الزمن فان الحقائق اللغوية ستتكوّن ناقصة .

واذا لم نضع فى عين الاعتبار جماعة المتكلمين . فلن تكون هناك لغة .

فتصور فردا معزولا يعيش قرونا متعددة ـ فمن المحتمل ألا تلاحظ تغيرا الزمن لا يؤثر فى اللغة .

كذلك اذا أخذنا جماعة المتكلمين من غير اعتبار الزمن فسوف لانرى تاثير القوى الاجتماعية التى تؤثر فى للغة .

لتمثيل الحقائق الفعلية علينا أن نضيف لرسمنا الأول علامة تدل على مرحلة الزمن .



للزمن يسمح للقوى الاجتماعية لتحدث تاثيرها ـ فالاستمرارية بالضرورة تتضمن التغير درجات متنوعة من التغيرات فى العلاقه بين المدلول والدال .



تعليق بلومفيلد على محاورة قراطيلس : ـ

يعلق بلومفيلد على محاورة قراطيلس لأفلاطون (٥) : ـ

بأن هذه المحاورة تعطينا لمحة أولية عن قضية طال الخلاف فيها بين القياسيين (Analogists) الذين يعتقدون أن اللغة طبيعية (Natural) وأن قواعدها منتظمة (There fare at bottom regular) ومنطقية (Logical) ـ وبين أصحاب التشذيذ (The Anomalists) (٢) الذين ينكرون هذه الاشياء ويشيرون الى الشواذ (Irregularities) في التركيب اللغوى (Linguistic Structure) (٦) .

ثم يضيف : غير أن القياسيين اعتقدوا أنه من الممكن تتبع أصل الكلمات ومعناها الحقيقى بالنظر فى أشكالها (Their shape) . وسموا البحث فى هذا الاشتقاق (Etymology) .

ـ ويفهم من موقف بلومفيلد هنا ـ ومن أعماله أيضاً أنه يرى أن منهجهم هذا لا يوصل الى شيء ـ دليله أنه يقول بعد هذا :

ونستطيع أن نصطنع لهذه النظرية أمثلة توضحها ..،..

مثال ذلك : كلمة بلاك بيرد طائر أسود (Black bird) : تتكون من Bird, Black ويسمى بها نوع من الطير وهذا النوع من الطير انما سمى بهذا الاسم من أجل لونه الاسود ـ وهذه حقا تسمية صادقة تصدق على هذه الطيور ، فهى طيور وهى سوداء ..،..

(الواقع أن بلومفيلد يريد أن يتخذ من تحليله لهذا المثال منطلقا ويريد أن

---

(٥) أقرأ كتابه اللغة

Language, by Leonard Bloomfied, Chapter 1. The study of language PP. 4,5 - (In his dialogue Cratylus, Plato (427. 347B.C.) discusses the origin of words ...., ... etc

(٦) يقصد مايوجد فى بنية اللغة بصفة عامة سواء فى مفرداتها (Words) أو عباراتها (Phrases)

يستطرد منه ليصل فى ضــوء تحليله الى خطــأ هذا الاتجــاه تماما ــ لذلك فهو يقول :

وعلى نفس هذا المنهج أكان من الممكن أن يستنتج علماء اليونان أن ثمة علاقة (Some deep-seated Connection) بين ثمرة من نوع الفراولة أو التوت ــ وبين الأوزة لاتحاد الاسم (A goose, A goose berry)
ثم هو يضيف : ان اشتقاقا يمكن أن يقر مثل هذه العلاقة أو يحاول أن يوجدها أو يبرر لها اشتقاق خاطىء ٠٠،٠٠ لأنه لا صلة ولا وجه شبه بين هذه وتلك الا علاقة الشبه الشكلى فى الاسم فقط ٠٠،٠٠

ويضرب بلومفيلد غــير هــذا المثل أنواعا أخرى من الامثلة تؤكــد وجهة نظره هذه على صورة أوضح ٠٠
ثم هو يضيف أن التحليل فى كل اللغــات لا يسمح بذلك ولا يجود به ٠

فيقول مثلا : ــ
وهكذا نجد فى اللغة الاغريقية (Greek) ومثلها اللغة الانجليزية امثلة كثيرة من الكلمات تستعصى على هذا النوع من التحليل الذين يتصــورنه ــ فمثلا :

كلمة (Early) أى مبكرا ــ تنتهى بمثــــل ما تنتهى به كمــــة (Manly) ــ بمعنى الرجولة ــ نسبة الى الرجـــــل ــ أو رجــولى ، ــ فاللاحقة (Ly) مضافة الى (Man) ــ فاذا جــــــردنا الكلمة من تلك اللاحقة بقيت (Man) بمعنى رجل ــ ولكن اذا جردنا الكلمة الاولى من اللاحقة (Ly) فماذا يتبقى ان الذى يتبقى (Ear) هل تعطى فائدة ــ انها بقية غامضة لا تفيد ٠٠

وكذلك كلمة أخرى مثل : Woman : بمعنى امرأة ــ انها تلتقى مــــع كلمة مثل ــ man : بمعنى رجل ــ ولكن ما دور المقطع (wo) ــ فى هذا ــ ان ذلك المقطع هو الذى يفصل بين دلالة هذه الكلمة ودلالة الكلمة الاخرى من الناحية الشكلية الصوتية ــ ولكن ما قيمة هذا المقطع الاول (Wo) فى التحليل الاشتقاقى ٠ انه لا دور له ــ ولا دلالة له كذلك ٠٠

وعلى هذا النحو تقابلنا صعوبات فى تحليل الكلمات ـ القصيرة ـ أو البسيطة ـ التى هى أقل من السابقة . فكلمات مثل : رجل Man ـ وولد Boy وحسن Good ـ ورديء Bad

وكلمة مثل يأكل : (eat) ـ وأخرى مثل يجرى (run) ـ كلمات على هذا النحو ومثلها كثير لا يعين فيها التحليل الاشتقاقى على اعطاء علاقة بين الكلمة (الرمز) : ـ وما تشير اليه .. ، .. ولكن علماء اليونان ومثلهم تلامذتهم من علماء الرومان (٧) كانوا فى مثل هذه الحالات يلجئون الى حدس وتخمين ..

ومن ذلك أنهم قالوا : ان الكلمة اليونانية (Lithos) ومعناها الحجر (Stone) مشتقة من العبارة (Lain thein phrase) الجرى الكثير (to run to much) لان هذا هو ما لا يفعله الجرى (٨) .

وفى النهاية ينتهى بلومفيلد الى أن هذه الاشتقاقات (Etymology) تطلعنا على كل حال على أن علماء اليونان كانوا قد أدركوا أن ان الصور الكلامية (Speech - Forms) تتغير بطبيعتها على مر الزمان .

ومفهوم كلام بلومفيلد أن صور الكلام تتغير ـ وأنها قابلة للتغير لانها غير ثابتة على حين أن المسميات لا تتغير ـ وكذلك المعانى ثابتة لا تتغير .. أى أنه لا توجد علاقة طبيعية ضرورية ـ أو منطقية عقلية بين الاسم والمسمى أو بين الدال والمدلول ..

---

(٧) تتلمذ الرومان على علماء اليونان فى الدراسات اللغوية ـ حيث كانت قد أخذت تسهم فى الدرس اللغوى منذ القرن الثانى قبل الميلاد ـ ر اقرأ : اللغة لبلومفيلد السابق) .

وقد وضع الرومان نحو اللغة اللاتينية على غرار النحو اليونانى ـ (السابق أيضا ، ص ص ٥/٦ وما بعدهما) .

(٨)

A Latin example of this sort has become proverbial; Lucus a non Lucendo, a grove (Luncus) is so named on account of its not being light (Luncendo).

يؤكد ذلك عنده التحليل الاشتقاقى ـ وتغير الاسماء ، وأن الاسم كما يقولون كالزئبق لا يثبت على حال ..

وخلاصة ما يراه : أن العلاقة الطبيعية بين الاسماء والمسميات أمرها مرفوض عنده ..

وأن التحليل الاشتقاقى لا يوصل الى شيء فى هذا المجال ـ وأنه لا طائل من ورائه .. ، .. وانما هو دليل على أنه لا علاقة ولا رابطة عقلية ضرورية بين الاسم والمسمى ..

●

خلاصة القضية فى الفكر الغربى المحدث :

تبين لنا من مسارها فى الفكر اللغوى الفلسفى :

* أنها مرفوضة ..

وأن انتقادات كثيرة وجهت اليها .

بل ان من بين من اعتنقوها ، ونادوا بها ، من عملوا على هدمها .. على نحو ما كان من فتجنشتين ـ حيث أنه عدل عنها بعد أن نادى بها .. ووجه اليها نقدا وأقام على انقاضها نظريته الجديدة التى خلاصتها : « معنى الكلمة هو استخدامها » ..

وذلك لأنه يرى أن معنى الكلمة ليس له ثبات أو تحديد .. ومعناه أنه يرفض أن معنى الاسم يقود الى المسمى .. أو أن عالم الكلمات ينقلنا الى عالم الماهيات .. ، وأنه ليس بين الاسم والمسمى محاكاة تأتى من عالم الاسماء الى عالم الاشياء ....

وفتجنشتين يعد رائد الفلسفة اللغوية لذلك فقد ذهب الى أن :
اللغة لعبة وليست حسابا منطقيا جامدا .. لكل كلمة معنى محدد ، ولكل جملة معنى محدد ـ ولكل الجمل وظيفة واحدة .. وانما تتعدد معانى الكلمة بتعدد استخداماتها وتتعدد حسب السياق الذى ترد فيه .. وأن بين تعدد

الاستخدامات للكلمة والجملة تشابهها أسريا (١٦) ..

وأن الكلمة مطاطة تتسـع وتضيق اسـتخداماتها حسـب الظروف والحـاجـات ..

وأن اللغة ليست كالرجل الصارم الذى يعرف دائما ماذا يريد .. ويتصرف دائما طبقا لقاعدة محددة .. وانما هى رجل فضفاض متفائل له مناحى نشاطات متعددة يتلاعب بما لديه من أدوات دون صرامة .. أو خطـة محكمـة ..

وخلاصة ما يراه هو : ألا تسأل عن المعنى .. وانما اسأل عن الاستخدام .. فمعنى الكلمة ليس غير طريقة استخدام الناس لها أو طرق استخدام الناس لها فى حياتهم اليومية ..

* * *

أما مسارها فى الفكر اللغوى الخالص فقد تبين منه :

أنها مرفوضة ..

وقد اتخذ طريق رفضها وجهات متعددة ..

فبلومفيلد يؤكد بالتحليل الاشـتقاقى أنـه لا توجـد علاقـة عقليـة ولا رابطة ضرورية بين الاسم والمسمى - هذا من جانب ومن جانب آخر يشير الى نقطة هامة أوضحها دوسوسير وهى أن الصور الكلامية (Speech - Forms) تتغير بطبيعتها على مر الزمن - وأنه منذ عهد اليونان والرومان كان هناك ادراك ووعى بهذه الحقيقة - والى مثل هذا أشار دى سوسير فى علاجـه فى مبحث التغير والثبات ..

---

(١٦) أى مثلما بين أفراد الأسرة فى العائلة الواحدة من أوجه تشابه فى بعض السمات واختلاف فى بعضها الآخر كذلك الكلمات .

وأننا عندما نتتبع بالبحث والتحليل اللغات المختلفة فسوف لا نجد ثمة علاقــة بين الاســم والمسـمى ٠٠ وأن الأمثلة عـلى ذلك كثيرة نجـــدها فى الكلمات المركبة كما نجدها فى الكلمات البسيطـــة ٠٠ وأن الانجليزيـــة والاغريقية عنده مثلان واضحان على ذلك ٠٠،٠٠ فموقف بلومفيلد واضح وأفكاره محددة ٠٠

أما دوسوسير فمنهجه التحـليلى كان مقنعـا لـكثير من اللغـويين من بعده وقد احتذاه بعضهم وقد أقيم عليه منهج لعلوم مستقلة ـ وقد انتشر علم السيميوطيقا (علم العلامات) بسرعة مذهلة فى أمريكا وأوروبا الغربية ، وفى الاتحاد السوفيتى وقد وجدت مدارس مهمة اهتمت بهذا العلم ـ فى : « تارتو ، و« باريس » وفى« لينينجراد » و«أوربينو» ٠ وفى ألمانيا الشرقية ، وفى المجر ٠ ٠ الخ ٠٠

وتكونت الجمعية العالمية للسيميوطيقا فى باريس ١٩٦٩ م ـ وتصدر عن هذه الجمعية دورية فصلية تحت عنوان « سيميوطيقا » يحررها باحثون من أهم العواصم العلمية فى العالم : ـ

مثل « جوليا كرستيفا » ـ و « جـــان كلود كوكيـــه » من فرنســـا و« أومبرتواكو » من ايطاليا ـ و« لورى لوتمان » ٠ سوفيتى ٠٠ وغيرهــم ٠٠ تحت رئاسة « سيبيوك » الامريكى والسيميوطيقا مهتمة بدراسة :

الاتصال والدلالة عبر أنظمة العلامات فى علوم مختلفة وفى تطبيقاتها وممارستها الحالية فهى تتخصص فى الاتصال الآلى Cybernétique

والاتصال الحيوانى Zoo Sémiotique

وتصل الى أكثر أنظمة الاتصال الانسانى تعقيدا وتركيبا الى لغـة الأسـاطير واللغة الشعرية ٠٠ مثلا مستعملة فى هذه المجالات المختلفة :

علم اللغة ـ والأنثروبولوجيا ـ والرياضة ـ والمنطق الرياضى ـ والعلوم الطبيعية والاجتماعية والفلسفة ـ وفلسفة اللغة ـ فدوسوسير فتح بمبحثـه هذا آفاقا واسعة انطلق نحوها الباحثون فى كل اتجاه واستفادوا منها وألفوا فيها وقدموا فيها أعمالا ومناهج متعددة ٠٠،٠٠

كما قدم اميل بنفنست كتابه سيميولوجيا اللغة (١٧) .

وخلاصة رأى دى سوسيير فى هذه القضية أنها مرفوضة لاعتبارات منها :
أن اعتبار اللغة قائمة من الكلمات تتطابق مع قائمة من الأشياء التى تدل عليها أمر غير مسلم به وينتقض من عدة جوانب ... وأن الربط بين الأسماء والمسميات اعتباطى ..

وأن الطبيعة الاعتباطية أهم ما يميز العلامة اللغوية .. بل ان حالات التعبير المختلفة المستعملة فى المجتمع قائمة على اعتباطية العلامة - وأن علم العلامات الذى دعا اليه عندما يقوم سوف يكون همه الرئيسى دراسة مجموعة الأنظمة القائمة على اعتباطية العلامة .. وفعلا قد تحقق قيام هذا العلم ..

ثم هو يرى أن الاعتباطية ليست كلية لأن هناك بدائية الربط الطبيعى بين الدال والمدلول وأن بعض الرموز عندما تثبت لا يمكن استبدالها مثل رمز العدالة الذى اختيرت له كفتا الميزان .. مثلا وغير ذلك ..

وأن الكلمات التى جاءت تقليدا لأصوات الطبيعة Onomatopees ليست عناصر عضوية فى بناء النظام اللغوى وأن ما نسب الى بعضها من تقليد لأصوات الطبيعة جاء نتيجة لتطور صوتى تصادق وأن بعضها أصوات تقريبية وتقليدات اصطلاحية لبعض الأصوات بدليل أنها تختلف من لغة الى أخرى ..

ومثلها فى ذلك الأصوات التى تعبر عن الدهشة والعجب exclamations
وقد تكون بعضها تعبيرات تلقائية - واختلافها من لغة الى أخرى دليل على أنها اصطلاحية تقريبية أضف الى ذلك ان كثير من أمثلتها كانت فى الأصل كلمات لها دلالات خاصة ثم تطورت .

---

(١٧) أنظر تعريفا به - وترجمة له بقلم سيزا قاسم مجلة فصول المجلد الأول - العدد الثالث .
وأقرأ : السيميوطيقا مفاهيم وأبعاد أمينه رشيد . وسيميولوجيا المسرح سامية أحمد أسعد .

وفوق كل هذا فان هذه وتلك ذات أهمية ثانوية ـ كما أنها من حيث الأصل الرمزى • مفتوحة للمناقشة وغير مسلم بها ••

كما أنه اتخذ من تغير العلامة واستقرارها منهجا شرح من خلاله اعتباطية العلامة ، فاعتباطية العلامة تحمى اللغة من أى محاولة لتعديلها ـ فلا يوجـــد سبب لتفضيل أحد الدالين على الآخر عندما يشيران معا الى مدلول واحد وأن عنصر الزمن وعنصر الوزن الاجتماعى يجعلان العلامة اللغوية أقـــل عرضة للتغير لأن العنصرين معا متلازمان وعاملان على تقييدها •••

وأن الزمن الذى يؤكد استمرارية اللغة هو الذى يعالج سرعة أو بطء تغير العلامة اللغوية وأن التغير ياخذ أشكالا متعددة فقد تكون بعض التغيرات صوتية خاصة بالدال وبعضها الآخر معنوية خاصة بالمدلول عليه •

وأن اللغة غير قادرة على حماية نفسها من القوى التى تغير العلاقة بين الدال والمدلول ••

وهذه من أهم نتائج اعتباطية العلامة •
فاللغة غير محددة بشىء فى اختيار المعانى لأنه لا شىء يمنع تجمع أى فكرة مهما كانت مع أى تتابع للاصوات مناسب •

فاعتباطية العلامة تستلزم نظرية الحرية فى تأسيس أى علاقة بين المادة الصوتية والأفكار •

والواقع أن فردينانددى سوسير رائد وان لم يكن نتاج عصره فحسب فقد كان جماع الثقافة السابقة عليه هضمها ووعاها وأفرزها من خلال عقل فاهم فى ثوب منهج علمى لذا جاء أثره فيمن جاءوا بعده قويا نافعا ومازال حتى اليـــوم ••

فقد استفاد دى سوسير بوعى من ويتنى whitney ـ وفهم أعمـال غيره ممن سبقوه وسخرها فيما أراد وفق منهج علمى فجاءت على النحو الذى نرى •

فهو ينص صراحة على استفادته من ويتنى (whitney) ـ ويقول : ان

.ويتنى كان يلح باستمرار على الطبيعة الاعتباطية للعلامات ـ ويضيف بأن ويتنى بعمله هذا يكون قد وضع علم اللغة فى مجاله الصحيح ·

ونحن نضيف بأن من بين علماء العربيــة القدماء من أصلـوا هذا الأساس وعمقوه فى التراث العربى ، وهو تراث مباح ينهل منه علماء الغرب ما شاءوا دون حرج أو قيد ـ وقد جاءت نصوص علماء العربية فى ذلك صريحة عــلى أيدى كثير منهم فى مواطن متعددة ·

ومن ذلك على سبيل التمثيل ما يطالعنا فى شرح الجاربردى لشافية ابن الحاجب حيث جاء : ـ (١)

اعلم أن للشىء فى الوجود أربع مراتب :

الأولى حقيقته فى نفسه ، والثانية مثاله فى الذهن :

وهذان لايختلفان باختلاف الأمم ـ لأنها بحسب الحقيقة لا الوضع ·

والثالثة اللفظ الدال على المثال الذهنى والوجود الخارجى ·

والرابعة الكتابة الدالة على اللفظ ·

وهذان يختلفان باختلاف الأمم كاختلاف العربية والفارسية ـ والخط العربى والخط الهندى ·

باختلاف دلالة الآخرين فانها بالوضع اذ لا علاقــة بين المعانى والالفــاظ على الأمر العام ، ولا بين الألفاظ والنقوش الموضوعة ، ولذلك جـاء الاختلاف ـ

.والمراد بالجارى على اللفظ المطابق من غير زيادة ولا نقص ·

كما قال الغزالى رحمه الله فى مقدمة المستصفى لكل موجود أربع وجودات

وجود فى الأذهان · ووجود فى اللسان ·

ووجود فى البنان · ووجود فى الأعيان (٢) ·

وجاء فى شرح البقرى لتعريف ابن الحاجب للخط بانه تصوير للفظ بحروف هجــائه ·

---

(١) مجموعة الشاميه من علمى الصرف والخط تحتوى المجموعة على متن الشافية وشرحها للجار بردى وخاشية الجا بردى لابن حمايمة ح١ ص، ٣٧٠ ومابعدها ـ وج٢ ص ص ٣٤٣ وما بعدها ·

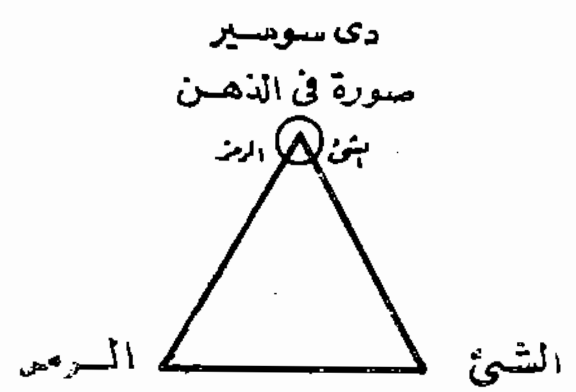
(٢) انظر السابق ·

اعلم أن وضع اللفظ لأداء المعنى الحاصل فى الذهن المطلوب الشعور بـه للمستمع اذ لا فرق على ما فى الذهن ووضع الخط لأداء اللفظ المقصود فهمه لنا طرقه ، فاذا أردت ايقافك أحدا على ما فى ذهنك من المعانى تكلمت بالفاظ وضعت ايـا ٠

واذا أردت تادية الفاظك كذلك الى أحـــد بغير شفاة نقشت النقوش الموضوعة لتلك الألفاظ فتطالع تلك النقوش وتفهم منها تلك الألفـاظ وتلك **المعـانى ـ ولا علاقة ـ معقولة بين المعانى والالفاظ عـلى الأدر العام ولا بين الالفاظ والنقوش الموضوعة ، ومن ثم جاء اختلاف اللغات والخطوط كالعربية والهندية والتركية الى غير ذلك ٠ (١)**

ويتأمل الباحث عمق فكر علماء المسلمين فى تلك القضية مع ما عليـه من وضـوح ويؤلمه أن ننسب مثل هذا لعلماء الغرب وهو مأخوذ من عندنـا ـ فالشىء فى الوجود حقيقة ثابتة مقررة لايختلف بشأنها أحـد كما أن صورته الذهنية عند الجميع واحدة كذلك فلا اختلاف فى حقيقة الشىء ولا فى صورته الذهنية لأن هذين بحسب الحقيقة لا بالوضع ٠

أما اللفظ الدال على المثال الذهنى والوجود الخارجى فهذا يختلف باختلاف الأمم والى هنا وعند هذه الافكار فقط تنتهى نظرية دى سوسير وحدود المثلث الثلاثة التى وضعها ٠



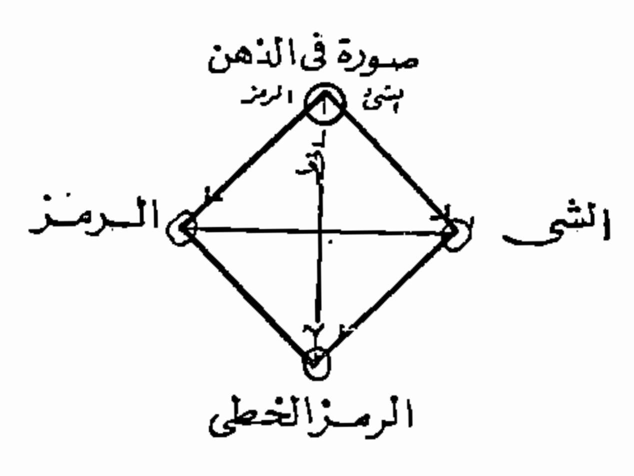
فهذه الوجودات الثلاثة على حد عبارة الغزالى وجود العيان ووجود الذهن ووجود البيان أو للسان ٠

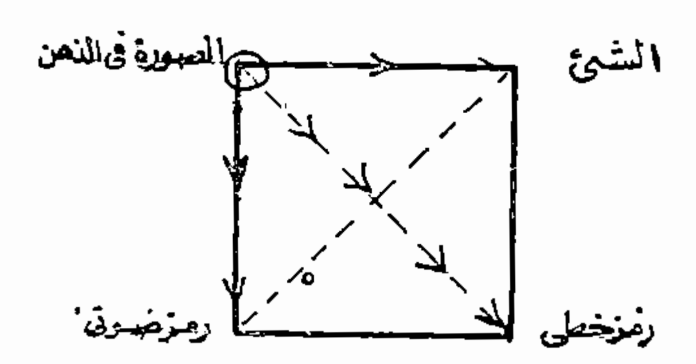
---

(١) حاشية ابن الابقرى على الراية مخطوط قراءات م ١ الهيئـة المصريـة العامة للكتاب ـ قسم المخطوطات ٠

فاذا أراد مريد ايقاف أحد على ما فى ذهنه من المعانى تكلم بألفاظ وضعت لهذه المعـانى •

واذا أراد تأدية المعانى بغير شفاه نقش الموضوع أيضا لتلك الألفـاظ اذن فالتسلسل قائم فالخط مبنى على اللفظ أى أن المربع الدلالى متسلسل فالشىء القائم فى الوجود له وجود فى الذهن ترتب عليه وجود فى اللفظ وترتب على وجود الرمز اللفظى وجود الرمز الخطى •





فالألفاظ وضعت لتصور المعانى الخاصة بالأشياء •

والنقوش (الخطوط) وضعت لتأدية نفس المعانى

فهذه الأفكار لاشك أفاد منها الغربيون ـ وكذلك استفاد منها دوسوسيير بطريق مباشر أو غير مباشر •

* * *

ثم نجد فى أعمال اللغوى همبلت «Humboldt» ـ (١٨٣٥) نقاطا أفاد منها دوسوسير فى القضية . وان ما جاء فى كتاب اللغة طبيعتها وتطورها وأصولها Language - Its nature, development, and origin لأوتو يسبرسن (Ottojespersen) فى الفصل العشرين Chapter XX منه تحت عنوان الرمزية الصوتية ليلقى ضوءا كاشفا على ذلك ـ ولا سيما فى المبحث الأول منه (١٨).

فمما ذهب اليه هامبلت فى ذلك بان الالفاظ ومعانيها قد تختفى على مر الايام وبالتالى قد يأتى عليها حين من الدهر تبدو فيه غامضة ـ يلقى ضوءا على ما صنعه دى سوسير فى الفصل الخاص بتغير العلامة واستقرارها ودور عنصر الزمن فى ذلك ـ وان كان قد أضاف اليه عنصر جماعة المتكلمين ـ كذلك ما ذكره هامبلت من أن اللغة تدل على الأشياء بالأصوات التى تدل عليها تارة بنفسها ، وأخرى بالمقارنة مع غيرها يترك انطباعا فى الأذن مماثلا للتأثير الذى تتركه الأشياء على العقل (١٩) فان ذلك يلقى ضوا أيضا على ما صنعه دوسوسير من تفنيد للعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول ـ لاسيما وأن مادفيج (Madvig) (ـ ١٨٤٢ م) قد أوضح بالأمثلة والادلة القاطعة وأورد مئات الكلمات من الفصيلة الهندية الأوربية التى تناظر فى معناها الكلمات التى استدل بها همبلت وتخالفها فى الأصوات (٢٠) ـ وفوق ذلك فقد أوضح مدفيج بأننا لو قارنا هذه الكلمات ببعض ما أورده هامبلت لتبين بجلاء خطأ فكرة الرمزية الصوتية أو العلاقة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها (٢١) .

---

(١٨)

Language — its nature, development and origin by otto jespersen chapter XX sound symbolism — I — Sound and Sense PP 396 — 397 —

ومن المفيد قراءة الكتاب الرابع بتمامه Book IV ـ تحت عنوان :
The Development of language Book IV

أما الفصل العشرون ـ فصل الرمزية الصوتية فهو كله هام فى هذا الصدد من صفحات ٣٩٦ الى ٤١١ .

(١٩) السابق ص ٣٩٦ / ٣٩٧ ـ

(٢٠) أنظر كتاب : من أسرار اللغة . د. ابراهيم أنيس ص ٧٦ .

(٢١) يسبرسن السابق ص ٣٩٦ .

ويورد يسبرسن كذلك ما قدمه نيروب «Nyrop» مما هو خاص بهذه القضية مما يتصل بالتغير الدائم لدلالات الكلمات • وبأن الدال الواحد يمكن أن يدل على دلالات متنوعة والاسم يمكن أن يشير الى أسماء مختلفة(٢٢)

ثم يورد يسبرسن بعد ذلك مباحث متعددة خاصة بالرمزية الصوتية يعبر فيها عن وجهة نظره الخاصة إزاء هذه القضية •

فهو يعرض فى مبحث خاص (٢٣) الى أن اثبات المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها فى كل الكلمات وفى كل اللغات فى جميع الاوقات من المستحيلات (٢٤) ولكنه مع ذلك لايعدم أن يكون هناك علاقة منطقية تشير الى الرمزية الصوتية فى بعض الحالات بين بعض الكلمات ومعانيها ••

ثم يعرض مباحث متعددة يفرد كل مبحث منها لجانب من جوانب تلك العلاقة التى يراها طبيعة وتشير فيها الى ما بين الالفاظ ومعانيها من صلة منطقية •

وباختصار فان الفصل الذى خصصه لدراسة الرمزية الصوتية Sound Symbolism عنده يعرض فيه اثنى عشر مبحثا تأتى على جوانب هذا الموضوع بأكمله كما يتراءى له •

ففى المبحث الثالث مثلا الذى يجىء عنده تحت عنوان (Direct Imitation) يعرض للتقليد المباشر للاصوات التى تعد عنده بمثابة المحاكاة لأصوات

---

(٢٢) يسبرسن السابق ص ٣٩٧ • استفاد الدكتور ابراهيم أنيس من فكرة نيروب هذه ومن أعمال يسبرسن وهو يناقش ابن جنى مما هو خاص بهذه القضية فى نظرة وعرض له ••

(٢٣) السابق ٣٩٧ ـ الفصل السابق مبحث ٢ •

Chapter XX - 2. Instinctive Feeling P397

Yes, of course it would be absurd to maintain that all words at all times in all languages had a signification corresponding exactly to their sounds, each sound having a definite meaning once for all.

الطبيعة كالأصوات التى تصدر عن الأدوات المعدنية مثل Clink خشخشه أو Clang طنين ـ و Clank قعقعة و Splash صوت رش المياه ـ والطرطشه ـ و Sizzle ـ صفير أو ازير ـ Bubble خرير المياه ـ ومن بين أصوات الحيوانات Roar زئير الأسد ، و Bleat ثغاء الغنم .

أما الأصوات الا نسانية فمثل Sneeze العطس ـ Snore الشخير ـ و Snigger ـ الضحك و Whisper صفير و Smach تمطق ـ و Grunble تضجر .. وغير ذلك مما يمكن أن نسميه الأصداء Echiosme ـ أو ما يعرف بمحاكاة أصوات الطبيعة Onomatopoeia .

وفى المبحث الرابع الذى جاء عنده تحت عنوان

ORGINATOR OF THE SOUND

عرض لمصدر الصوت الطبيعى وبين أنه يمكن أن يطلق على مصدر الصوت نفسه أو على من يصدر منه هذا الصوت .

وضرب على ذلك أمثلة متنوعة (godon)

فالفرنسيون مثلا يطلقون على الانجليز (a god — damn)

لأن هذه العبارة تدور على ألسنة الانجليز فاطلقها عليهم الفرنسيون ـ وفى الصين يطلقون على الجندى الانجليزى (a-says or I-says)

وفى اليابان (java) يدعى الفرنسى («orang' man» ،orang- deedong)

وفى أمريكا يدعى (ding - dong)

وخلال حرب نابليون كان يدعى الفرنسيون فى أسبانيا (dindones) من (dis - done) ـ والاستراليون كانوا يسمون الفرنسيين (wi - wi)

وهكذا أطلق على طائر (Cuckoo) هذا الاسم لأنه يصدر عنه .

وفى المبحث الخامس الذى جاء تحت عنوان (Movement)

أوضح أنه من الطبيعى أن يعبر بالصوت عن بعض الحركات التى تصدر ويكون بينها وبين الصوت مناسبة فبعض الحركات تصدر محدثة صوتا هادئا فطبيعى أن يأتى الاسم مناسبا للصوت فأفعال مثل :

bubble, splash, clash, crack, peck

وكلمات تتصل بما يصدر عن الانسان من حركات مثل to bang the door – أطرق الباب بعنف – أو to tap or rap at a door أطرق الباب بخفه (with slighter sounds)

وكذلك من الفعل to hack, to cut, chop off, break up hard earth

وكذلك نجد فى الكلمات التى تعبر عن الحركة ذات الصوت المرتفع معظم الكلمات التى تبدأ بـ حرف F L – مثل : FL : Flow, Flay

وكذلك توجد علاقة طبيعية بين الحدث والصوت فى كلمة to tickle بمعنى الوخز الخفيف

وفى المبحث السادس الذى جاء عنده تحت عنوان

Things and Appearances

تحدث عن وجود صلة طبيعية بين ارتفاع النغمة – (الأصوات ذات الذبذبة العالية) (Sound with very rapid vibrations) والضوء وعكسه بين النغمات المنخفضة والظلمة ..

كما أن الحرف (i) يترك احساسا بأنه أكثر ملاءمة لكلمة Light (الضوء) والحرف (u) لكلمة Dark (الظلمة) ويبدو الأمر واضحا بمقارنة gleam وميض – و glimmer بصيص و glitter لمعان بكلمة gloom ظلمة

– فى قولنا : لم يخفف من ظلمة الليل الا سطوع مصباح الشارع .

«The gloom of night, relieved only by the gleam from the street — lamp»

وفى المبحث السابع الذى جاء عنده تحت عنوان (States of mind)

ـ بين كيف : تحدث مناسبة بين الكلمات والحالات العقلية والنفسية ٠

فكلمة gloom التى تعنى الظلمة يمكن استعمالها لتعبر عن الغموض والابهام ، وقد مثل دودين Dowden لذلك بقولـه :

« الاخبار الطيبة كانت فى حاجة ماسة لتسلط الاضواء على الغموض الذى أحاط بالشىء » (١) ٠

«The good news wos needed to cast a gleam, on the gloom that encompassed shelley»

ويقدم قائمة من الكلمات الرمزيـة ذات الأصوات المعبرة عن الـكراهيـة والنفور والمهانة ٠ (dislike, disgust, or scorn)

blunder, bungle, bung, clumsy, humdrum, humbug, slum sluch, slubber, sloves, much, mud, muddle, mug.

وفى المبحث الثامن الذى جاء عنده تحت عنوان Size and Distance

يتابع حديثه عن حرف العلة (i) وكيف أنه بضيقه Narrow ولينه Thin يمكنه أن يعبر عما هو صغير وضعيف أو عما هو مهذب ورقيق ـ وأن مثل هذه الصفات يعبر عنها هذا الحرف فى لغات مختلفة ٠

غير أن ستيفن أولمان يعرض هذه الفكرة بنوع خاص ولايقره على ما يذهب اليه بخصوصها (٢٥) ٠

وفى المبحث التاسع الذى جاء عنده تحت عنوان

Length and strength of words and sounds.

تحدث عن أن الصيغ القصيرة والمبتورة أكثر مناسبة وملاءمة من الطويلة لتعيين الحالة النفسية والعقلية وأن الانسان قد يستعملهما للطلب أو للامر أو للاستغاثة أو الاستعطاف والتوسل ٠

وأن اللغة التى ليس لها سوى صيغة واحدة للامر يشفعون طلبهم بنغمة ناعمة ـ أو باضافة كلمة مثل Please فى الانجليزية و Bitte فى الألمانية ـ

---

(٢٥) أقرأ دور الكلمة فى اللغة الترجمة العربية د٠ كمال بشر ص ٨٤/٨٥.

كما أن تطويل الكلمات بمقاطع مشتقة لا معنى لها فى حد ذاتها قد يعبر عن حالات عاطفية ونفسية ·

كما أن تطويل الأصوات المنفردة وتقويمها تحت تأثير المشاعر القوية من أجل تكثيف التأثير للكلمة المنطوقة كقولنا It's very cold بنطق (٥) بشكل مطول ـ أى بمدها ـ

وعندى أن كل هذا أيضا لايخرج عن رأى أرسطو الذى هو رأى أفلاطون فى محاورته المعروفة « قراطيلس » (Cratylus) حيث قد شبه عملية التسمية بآلة الحياكة فاذا كان النجار يعطى المكوك الشكل المناسب لنوع العمل المرغوب تأديته فكذلك واضع الاسم يجعله مناسبا للشىء الذى يطلقه عليه وأن الذين يستخدمون هذا أو ذاك هم الذين يحكمون عن مناسبته لما وضع له ، فهم الذين يحكمون على أن الاسم الذى أطلق على الشىء جاء وفق المطلوب أو ·· لا وهم الذين يقبلونه أو يرفضونه ، ومعنى ذلك أن الجماعة اللغوية المستعملة للكلمات هى التى تقبل أو ترفض وهى التى تطور وهى التى تعطى المقدرة الخاصة والحس المعين وتستكنه حقيقة الشىء وتحس أن الوضع متفق مع الجوهر وأن بينهما محاكاة ولكن هذه المحاكاة عنده تأتى انطلاقا من عالم الأشياء ومن المسميات فجوهر الاشياء ثابت لايتبدل والاشياء تسمى بحسب ما يستلزمه طبعها فالجماعة اللغوية لها حسها فى اختيار القوالب المناسبة من حيث الالفاظ والاصوات الملائمة والمقاطع وهم الذين يستعملون ويقبلون ويرفضون فالعلاقة على الرغم من اعتباطيتها ومن أنها على حد عبارته نتيجة اتفاق عابث الا أنها علاقة وطيدة لاسيما اذا جاء الاسم على شاكلة المسمى معبرا عن ماهيته فى رأى هذه الجماعة ومن هنا يحس كل أصحاب لغة أنبين بعض الاسماء والمسميات مناسبة أو

رمزية ولكنها فى الواقع وقف على هذه الجماعة وخاصة بها وأن هذا ازاء قدر محدود من اللغة ويمثل نوعا معينا منها هذا الذى ذكره يسبرسن وحلله دوسوسيير والخليل بقوله: كانهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومد فقالوا صر، وتوهموا فى صوت البازى تقطيعا فقالوا صرصر وأشار اليه ابن جنى وقاله ان الجماعة تلقته بالقبول وبسببه بعض الباحثين فى القديم أو الحديث ·· ، ··

وقد علق ستيفن أولمان على هـذه الامثلة التى أوردها يسبرسن بقوله : بأنه ليس من السهل أن نسلم بمثل هذه الافتراضات أو أن نصل الى رأى قاطع بخصوصها كما أنه يمكن أن نورد أمثلة على العكس منهـا وتشـذ عنها وعن هذه القاعدة .

وأن الفهم الجيد لفكر دوسوسيير فى هذه القضية على هذا النحو الموجود فى التراث الاسلامى وهو الذى تمخض عنه هذا العلم الجديد عـلم العلامات / Semiology) (Semiotics فانه نشأ بسبب ما وضعه دى سوسيير فى الفترة التى بين الحربين العالميتين .

وكذلك ما أثمرته فلسفة بيرس C.S. Pierce عندما راج تيار التفكير الفرنسى بعد الحرب العالمية الثانية وعندما نادى بأن العلامات التى تتألف منها ثقافة من الثقافات ماهى الا اصطلاحات تحكمية اعتباطية (٢٦) ظهر عـلم العلامات على هذا النحو المعروف .

أما ستيفن أولمان : Stephen Ullmann فقد تعرض لهذه القضية فى أكثر من مصنف من مصنفاته ومن خلال عرض قضايا عامة ففى كتابـه (words and their uses) (٢٧) عندما تحدث عن المعنى البسيط (٢٨) عرض للقضية تلقائيا ـ فالمعنى عنده فى أحد تعريفاته : « علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول وهى علاقة مباشرة واضحة فى أبسط المواقف أى حين تكون بين لفظ واحد ومدلول واحد (٢٩) ... الخ .

ثم يتابع مبينا أننا نكتسب معانى هذه الكلمات فى طفولتنا المبكرة بطرق التعلم اذ لا يوجد فى اللفظ ما ينبىء عن المدلول .. بالاضافة الى عـدم وجود أية علاقة ظاهرة بين الكلمة ـ وبين ما تدل عليه ..

---

(٢٦) كان هذا المبدأ من الوضوح فى أنه فى صورته التى اذاعها (بارث) كان يهدف الى زعزعة ثقة (الثقافة البرجوازية) فى نفسها ـ ابان فترة ازدهارها المتزايد .. والى تشجيع الأبناء على رفض قيم الآباء .

(٢٧) ترجمة الدكتور كمال بشر تحت عنوان « دور الكلمة فى اللغة » .

(٢٨) انظر الباب الثانى ـ المعنى والغموض ـ الفصل الأول : المعنى البسيط من ص٧٠ ـ وما بعدها . ترجمة . د. بشر .

(٢٩) أقرأ السابق ص ٧٠ .

فهو بصدد عرض قضية عامة عرج على جزئية وأخذ يشرح أبعادها ـ فأشار هنا الى أن هناك شيئين يعارضان افتراض وجود أية صلة طبيعية بين الدال والمدلول :

الشيء الأول يتمثل فى تنوع الكلمات واختلافها فى اللغات المختلفة ٠

والثانى يتبلور فى الحقائق التاريخية ـ فلو كانت معانى الكلمات كامنة فى أصواتها لما أمكن أن تتغير هذه الكلمات فى لفظها ومدلولها تغيرا يستحيل ربطه بالوضع الاصلى لها ٠

ثم يضيف أن هناك كلمات معبرة ووصفية الىحد ما بالصيغة نفسها ـ والاصوات فيها دليل من دلائل المعنى ـ وأن فى استطاعة الأجنبى الذى لايعرف مدلول هذه الكلمة أن يخمن هذا المدلول تخمينا دقيقا الى حد ما على حين لايمكنه البتة أن يخمن معنى كلمة مثل منضدة ـ من الصوت وحده ـ أضف الى ذلك أن الكلمات التى تحاكى أصوات الطبيعة ـ هى فى الحقيقة كلمات متشابهة الى حد بعيد فى لغات مختلفة ـ فالطائر المسمى كوكو Cuckoo هو فى الفرنسية Coucou وفى الألمانية Kuckuck وفى الهنغارية Kakuk وفى الاغريقية القديمة Kokkyx

وفى دراسة تفصيلية يبين أن كلمات اللغة تتكون من مجموعتين مجموعة تقليدية عرفية Conventional ـ وكلمات مولدة ـ وهذه الأخيرة ذات أنواع ثلاثة (٣٠) النوع الأول منها فقط وهو الذى يطلق عليه التوليد الصوتى هو الذى فيه محاكاة أصوات الطبيعة سواء فى تقليد صوت لصوت أو ترجمة الحركة ترجمة بيانية دقيقة بوسائل صوتية ـ وهذه وتلك تدخل تحت مصطلح ـ تقليد أصوات الطبيعة أو محاكاتها «Onomatopoeia»

معنى ذلك أنه يريد أن يبين أن هذه الكلمات محدودة حيث ان جزء اللغة الأكبر يتكون من مجموعة الكلمات التقليدية العرفية وأن الكلات المولدة توليدا صوتيا تمثل جزءا واحدا من أنواع التوليد الثلاثة ـ التوليد الصوتى

---

(٣٠) توليد صوتى ـ وتوليد نحوى ـ وتوليد معنوى ـ أقرأ السابق من ص ٧٢ وما بعدها ٠

ـ والتوليد النحوى والتوليد المعنوى ـ وفى هذا ما يؤكد أن هذا النوع فى ضوء البحث هو محدود العدد ـ ولكن موقفه من هذا النوع المحدود فى عدده يتأثر تأثرا كبيرا بموقف أوتو يسبرسن حيث نجده يطبق مباحثا من عند يسبرسن تطبيقا كاملا فمبحث رقم (٣) عند يسبرسن الذى جاء تحت عنوان Direct Imitation (٣١) تاثير به تاثرا بالغاء وكذلك مباحث أخرى عند أوتو يسبرسن تأثر بها ولا سيما المبحث السادس الذى جاء تحت عنوان «Things and appearances» (٣٢)والبحث الثامن الذى جاء تحت عنوان - Size and distance (٣٣) والمبحث التاسع الذى جاء تحت عنوان «Length and strength of words and Sounds» (٣٤) وغير ذلك ..

ولكن تحليل فرديناند دى سوسيير لظاهرتى محاكاة أصوات الطبيعة ـ والدهشة كان تحليلا علميا مقنعا لذلك لم يخرج أولمان بصفة عامة عن المجال الذى رسمه دى سوسيير فى هذا .

فنجده مثلا وهو بصدد الحديث عن التوليد المعنوى والنحوى يقول ان « نقطة التحول فى التركيب المولد من الناحيتين النحوية والمعنوية لابد أن ترتد فى نهاية الأمر الىبداية تقليدية » (٣٥) أى الى صيغ ليست تقليد أصوات طبيعية .

أى أنه يتبع منهج دى سوسيير عندما عاد يبحث عن أصل الكلمات التى تقلد أصوات الطبيعة فوجدها فى صيغها اللاتينية مشتقة من كلمات لا تحاكى أصوات الطبيعة فمثلا ـ glas قرع الناقوس مشتقة من Classicum بمعنى صوت البوق ..و Fauet بمعنى سوط مشتقة من Fagus بمعنى شجر الزان ـ ومعناه ان ما نسب لمثل هذه الكلمات من تقليد أصوات الطبيعة جاء نتيجة لتطور صوتى تصادفى . هذا منهج دى سوسيير ازاء هذه الظاهرة .

---

(٣١) أنظر أوتو يسبرسن .
Language its nature, development P. 398.

(٣٢) السابق ص ٤٠٠ ـ

(٣٣) السابق ص ٤٠٢ ـ

(٣٤) السابق ص ٤٠٣ ـ

(٣٥) دور الكلمة فى اللغة د. بشر ـ (السابق) ص ٧٣ ـ

ومن هذه النقطة التى رسمها دى سوسير تقترب اعمال أولمان بعد ذلك فمثلا وهو يتحدث عن خصائص الأصوات المولدة نجده يقول :

« ومن الخصائص المشتركة بين أنواع التوليد الثلاثة أن دوافعها ثابتة — من الجائز مثلا أن تفقد الكلمات قوة المحاكاة والتقليد فيهـا — فالكلمة اللاتينية Pipionem كانت مولدة بطريق التقليد الصوتى — ولكن الكلمة الانجليزية Pigeom المنحدرة عنها ليست كذلك — والكلمات المركبة والمشتقات قد يأتى عليها هى الاخرى زمن نشعر فيه بأنها مولدة بدافع أو باعث (٣٦).

ثم هو يضيف : « وبالرغم من أن أدراك الباعث على توليد الكلمات قد يكون واضحا فى كثير من الحالات — فالغالب أن يعتمد هذا الادراك على عوامل منعمقة فى الذاتية كاعتماده على طبع كل من المتكلم والسامع وعلى درجة احساسيهما وثقافتهما العامة — بل وعلى مزاجيهما كذلك كما يعتمد على طبيعة السياق وخصائصه فالكلمات الباهته الخالية من الاشعاع والايحاء خلوا تاما فى السياقات العقلية المحضة ربما تكشف فجأة عن مصادر غير متوقعة من الايحاء وقوة التعبير فى المواقف الانفعالية والشاعرية » (٣٧) .

أى أنه يضيف الى التصادفية الصوتية عند دى سوسير العوامل التى ذكرها هنا .

ثم هو يضيف موضحا بعد ذلك بقوله الآتى :

« ويظهر ذلك بصورة أوضح عندما يعمد الشعراء الى استغلال امكانيات الاصوات وقدرتها على الايحاء بالمعنى ومحاكاته فالملاحظ أن المعنى دائما يعظم شانه ويرقى اذا ما صاحبته المؤثرات الصوتية والتوقيعية الخالصة » (٣٨).

ثم هو يضيف كذلك أيضا موضحا :

« وفى أماكن أخرى كثيرة قد تستغل الأصوات الموحية بمعانيها أو

---

(٣٦) السابق ص ٧٥ .
(٣٧) السابق ٧٥
(٣٨) السابق ص ٧٥

المحاكية للاصوات المعبر عنها استغلالا يقصد به احداث التاثير الدرامى كما فى البيت التالى من وراية أندروماك Andromaque لراسين Racine حيث يسمع أورست Orestes فحيح الأفاعى فى الهواء وقد أصابته لوثة من الجنون فيصيح :

Pourqui sont ces serpents qui sifflent sur vos têtes :

لأجل من هذه الأفاعى التى تفح فوق رؤسكم •

ثم يزيد وقد اشتمل البيت كما ترى على مجموعة من أصوات (S) التى تشبه صفير الأفاعى ثم هو يضيف بعد ذلك أيضا قوله :

« وقد تؤدى شدة التاثر بالباعث الصوتى على توليد الكلمات أو الأصوات الى ما يكاد يكون اعتقادا غامضا فى وجود مطابقة خفية بين الصوت والمعنى – ولقد ابتدعت عدة نظم دقيقة ترمى الى بيان القيمة التعبيرية الفنية المتصلة بالاصوات المختلفة وأشهر هذه النظم ذلك النظام الذى وضعه العالم الرمزى الفرنسى رمبو Rimbaud والذى ربط فيه بين كل صوت من أصوات اللين بلون معين فالحركة (a) عنده سوداء و (e) بيضاء و (i) حمراء ••الخ (٤٠)

ثم يضيف مثلا آخر من التطرف عند بعضهم فيقول :

« ان بعض الشعراء قد حاولوا ربط الصورة الكتابية بمدلولها • ومن هذا القبيل ما يراه كاتب فرنسى حديث من أن الكلمة (Locomotive) ان هى الا وصف لصورة القطار وشكله كاملا بمدخنته وعجلاته » (٤١) •

ثم يعقب على كل الذى سبق مباشرة بقوله :

« هذا التكلف فى التفسير ليس الا مثلا متطرفا للميل الطبيعى فى الانسان الى البحث عن الأسباب والبواعث حيث لا أسباب ولا بواعث ظاهرة – أما خارج ميدان الاصوات فهذا الميل يعبر عن نفسه فى صورة تلك الغريزة المعروفة بغريزة حب البحث عن أصول الكلمات والربط بينها (Etymology instinct) (٤٢)

---

(٣٩) السابق ٧٦

(٤٠) السابق ص ٧٩

(٤١) السابق ص ٨٠

(٤٢) السابق ص ٨٠

وكل هذا عنده نوع من التفسير المرفوض الذى يعلق عليه بقوله :

« والأمثلة على هذا النوع من التفسير المرفوض كثيرة مشهورة (٤٣) .

ثم يضرب أمثلة بعد ذلك على كثير من التعبيرات والصيغ الدخيلة المرفوضة التى جاءت نتيجة لسوء فهم ولربط خاطىء ببعض مفردات اللغة القومية (٤٤) .

ثم ينتهى من الأمثلة والتحليلات الى أنه قد يتم تحليل كلمات بسيطة على طريقة الاشتقاق المعكوس التى توهم أنها مشتقة من مادة لم يكن لها وجودا فى الأصل (٤٥) .

ثم هو بعد ذلك ينتهى الى الحديث عن ذكر الخلاف بين علماء اللغة المحترفين حول الأهمية التى يمكن أن نعلقها على تقليدية الكلمات أو توليدها فى تركيب اللغة .

وبين أن بعض العلماء يميل الى أهمية التقليدية مع التقليل من شأن التوليد فى هذا المضمار - وأن هؤلاء يتفقون مع ما تقوله جوليت على لسان شكسبير .

ماذا فى اللفظ ؟ أن ما نسميه وردة سوف يحتفظ برائحته الزكية فيما لو سميناه باسم آخر .

وأن هناك آخرين منهم الأستاذ يسبرسن Jespersen - يرون أن التوليد عن طريق المحاكاة والتقليد بوساطة الصوت له دور ذو أهمية وحيوية باللغة - ولقد جمع يسبرسن مجموعة ضخمة من الشواهد ليدلل بها على أن الحركة (i) قد هيئت بصفة خاصة للتعبير عن الصغر والقلة .
ثم يعلق بعد ذلك على موقف يسبرسن هذا بقوله :

« ومهما يكن لهذه الأمثلة من وقع وتأثير فانه من الصعب أن نصل الى رأى قاطع فى مثل هذه الافتراضات - كما أنه يمكن أن نورد أمثلة تشذ عن هذه القاعدة » (٤٦) .

---

(٤٣) السابق ص ٨٠
(٤٤) لقرأ الأمثلة فى السابق ص ٨٠/٨١/٨٢
(٤٥) السابق ٨٢
(٤٦) السابق ص ٨٤/٨٥

المجـــال الآخـر وهو مجال نشأة اللغـة :

القضية فى أصلها على نحو ما كانت عليه عند اليونان وعلى النحو الذى أثارها عليه أفلاطون خاصة بنشأة اللغة ، ووجود نظريتين ازاء تلك النشأة :

(١) النظرية التوفيقية ·

(٢) والنظرية الاصطلاحية ·

ويتحدث ستيفن أولمان عن هذا المجال ويوضح كيف اتخذ مساره فى الفكر الغربى المحدث ، يقـــول :

« ولقد وردت الينا تخمينات وافتراضات شتى ـ علمية وغير علمية ، منذ أيام الاغريق القدماء تتعلق باصل اللغة ونشأتها ـ وقد ركزت بعض هذه الافتراضات كل اهتمامها على رمزية الأصوات ويرى أصحاب النظرية المعروفة بنظرية bow-wow أن الكلمات كانت فى الأصل تقليدا لأصوات الطبيعة كما هى حالها الآن فى لغة الأطفال ·

أما النظرية المسماه بنظرية pooh-pooh فقد تتبعت الكلمات حتى أوصلتها الى الصرخات والأصوات الانفعالية ·

بينما تفترض نظرية ding-dong وجود علاقة خفية بين الصوت والمعنى ·

وقد حاول بعض الباحثين كالسير ريتشارد باجيت Sir Richard Paget ارجاع الكلام الانسانى الى الاشارات والايماءات وربطه بها ـ بالرغم من أن هؤلاء الباحثين لايزالون يميلون الى الاعتقاد بأن العامل الأول فى نشأة اللغة انما هو الحاجة الى التعبير والافصاح عن الذات ·

ولم يقتصر الأمر على هذه الافتراضات بل لقد سيقت الينا آراء أخرى كثيرة تقابل النظريات السابقة ـ ولكن بالرغم من هذا كله ليس فى استطاعتنا أن نصل الى نتائج نهائية فى هذا الشأن » (٤٧) ·

وقد تناول أوتو يسبرسن otto Jespersen هذا الموضوع بتفصيل

---

(٤٧) السابق ص ٨٦/٨٧ ـ

في كتابه Language its nature, development & origin في الفصل الواحد والعشرين تحت عنوان The origin of speech (٤٨)

ونتناول هذا الموضوع من الزوايا الخاصة بما نحن بصدده .

نظرية أن اللغة الهام أو وحى من الله :

اللغة وحى الهى ، والكلام الهام من الله هبط على الانسان فعلمه النطق وأسماء الأشياء .. ، ...

وذهب الى هذا الرأى فى العصور الحديثة طائفة من العلماء منهم دوم فرانسوا لامى Dom Francois Lami (٤٩)

فى كتابه فن الكلام L'art de parler - والفيلسوف دوبونالد (٥٠) Louis - Gabriel - Ambroise De Bonald فى كتابه التشريع القديم Législation primitive وغيرهما وحجة أصحاب هذه النظرية أن فى اللغة من الكمال ما يعجز الانسان عن ابداعه - فالله الذى خلق النسان هو الذى وهبه لغة الكلام ليعبر عن أفكاره ، وعلمه الأسماء كلها . (٥٠) .

---

(٤٨) Otto Jespersen, language its nature, development and origin, chapter XX1 - The origin of speech P412,442.

(٤٩) هو الأب لامى - ولد بمنترو Montireau من أعمال فرنسا ١٦٣٦ م وتوفى بسان دينى Saint Denis سنة ١٧١١ - وعمل بتدريس الفلسفة فى كثير من المعاهد الدينية - ونشر آراء الفيلسوف ديكارت فى هذه المعاهد - (علم اللغة - د. على عبد الواحد وافى ص ٩٧) .

(٥٠) اسمه لويس جبرائيل امبرواز دوبونالد Louis - Gabriel - Ambroise De Bonald ولد فى مدينة ميو Millau من أعمال فرنسا سنة ١٧٥٤ وتوفى بها سنة ١٨٤٠ وله مؤلفات كثيرة فى السياسة والفلسفة - وكان متعصبا للنظام الحكومى الملكى الخاضع للنفوذ الدينى الكاثوليكى (السابق ص ٥٦) .

(٥١) هذا ما يقوله دو بونالد وهو من الالهيين ويتمسك بما جاء فى سفر التكوين « والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء - ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذى يضعه له ، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول - أنظر الفقرتين ١٩/٢٠ من الاصحاح الثانى من سفر التكوين .

ودى بونالد من المفكرين الفرنسيين فى القرن الثامن عشر - ويرجع اتجاهه الى النزعة التوقيفية الى أنه ممن اشتغلوا بقضايا الكلمة على الصعيد اللاهوتى . .

ورد على رأى دوبونالد هذا فلاسفة العصر وقالوا : ان الله يهب اللغة للانسان كاملة ـ لأن الطفل يتعلم الكلام شيئا فشيئا ـ ولو كانت ملكة اللغة كاملة لما احتاج الطفل الى التعلم •

فأرجع هذا الرأى الى القول بوجود قوة خاصة أو غريزة لغوية •

وهذا يمثل نظرية أخرى ـ وهى نظرية الغريزة ••

ويرى دى بونالد صاحب النزعة التوقيفية أن علاقة اللغة بالفكر من المعضلات الانسانية التى تدرس مع بقية معضلات الانسان ـ ولكن معضلة اللغة فى نظر دى بونالد هى معضلة الانسان الأساسية وهى من صميم الكيان البشرى وهى فى صميمه والى صميمه ولذا فقد اعتبرها قلب الفسلفة كلها ••

ويرى دى بونالد أن العلاقة التى تربط الكلمة بالفكرة علاقة وحدة صميميه لأن الفكرة والكلمة جسم واحد فلا يحدث فكر دون أن تحدث لغة ولا تحدث لغة لا تكون ذاتها فى الأصل فكرا ••

وليست اللغة عنده تواطئية من خلق ارادة البشر •• لأن الناس لايمكن أن يتفقوا على أن تكون لهم لغة دتكون لهم لغة ••،••• فالانسان لايقدر على خلق شيء دون أن تكون لديه فكرة واضحة وصريحة خاصة به•• ولكى يحصل الانسان على هذه الفكرة الواضحة لابد أن تكون لديه لغة يعبر بها عنها••،•• اذن فاللغة واجبة الوجود لنشأ اللغة ذاتها ••

ومعناه أن اللغة ليست من عمل القوى البشرية وانما هى هبة من لدن الله سبحانه وتعالى •

فالانسان أعطى قوة النطق منذ أن سوى انسانا •• ومنذ أن تحرك حركته الأولى ••،••• كما أنه يرى أنه من الخطأ أن نقول ان الفكر سابق للكلمة لأن الفكر ذاته كلمة والانسان لا يفكر الا لأنه كائن لاغ ••• . •• فنحن نتحدث الى أنفسنا عندما نفكر وحدنا ـ وحوارنا فى قرارتنا حوار لا ينقطع لأن فى هذا القرار فكر لا ينقطع ••،••

فالفكر تعبير وراء الشفتين الصامتتين ••• والفكر حديث باطنى ••• والكلام تفكير بصوت عال ••،•••

ومن نتائج نظرية دى بونالد هذه :

أن كل ماعرفه الانسان وتمتع به من أخلاق وآداب واجتماع وسياسة واقتصاد ٠٠،٠٠ الى آخره عرفه بعد أن أعطى اللغة من لدن الله سبحانه٠٠،٠٠ وبدون اللغة لايكون الانسان الا خواء فباللغة وحدها حدثت المعرفة ٠٠ فكانت الحقيقـــة (٥٢) ٠

والنظرية الثانية : هى نظرية التواطؤ والاختراع :

وتقرر أن اللغة ابتدعت واستحدثت بالتواضع والاتفاق ، وقد ذهب هذا المذهب فى العصور الحديثة الفلاسفة الانجليز آدم سميث Adam Smith وريد Reid ودوجلد ستيوارت Dugald Stewart

وقد كانت النزعة التوقيفية عند دى بونالد فى القرن الثامن عشر تقـــابل النزعة التواطئية التى ذهب اليها لوك (٥٣) Loke فى القرن السابع عشر ـ حيث ان لوك كان قد لاحظ ان بين اللغة والفكر روابط متينة وفى رأيه أن العلاقة بينهما علاقة من الداخل وليست علاقة خارجية ونحن لانستطيع أن نقضى على هذه العلاقة ونفصل بعضها عن بعض ٠٠ كما لاحظ أن الصلة متينة بين التعبير والتفكير ٠٠،٠٠

قال لوك بالتواطئية والاعتباطية ٠٠،٠٠ ويقترب رأيه من رأى أفلاطون وأرسطو ٠٠ غير أن لوك يرجع تلك الصلة المتينة أو هذه العلاقة القوية بين الفــكر واللغة الى كون الانسان اجتماعيا ويعيش فى بيئة اجتماعيـــة ٠٠ وقــد فرضت عليه هذه البيئة التعاون عن طريق التفاهم بالتخاطب لذا كانت أعضاء

---

(٥٢) أنظر : فى فلسفة اللغة ٠ كمال يوسف الحاج ٠
واقرأ لديبونالد الفصل الأول والثانى والثالث من :
Législation Primitive :

(٥٣) يعتبر لوك من أكابر فلاسفة الانجليز فى القــرن السابع عشر ـ وقد خصص لمعضلة اللغة فصولا طويلة فى كتابه الضخم « بحث فى المدارك البشرية » ٠٠

اقرأ فى فلسفة اللغة (السابق) ص ٤٥/٢٤ ٠
واقرأ الفصل الثالث من :
Essay concerning human understanding.

النطق عند الانسان هى الوسيلة التى يتمكن بها من التعبير عن أفكاره للآخرين ... وهذا هو مصدر اللغة وباعثها ..،.. عنده ...

ويمكن ايجاز رأى لوك فى توقيفية اللغة على النحو الآتى : ـ

ان القدرة على الكلام غرست أصلا فى الانسان ...،...

فنحن نندفع للكلام بسليقتنا ... ولكن ذلك عنده لايعنى أن اللغة توقيفية ولكن يعنى عنده انها اصطلاحية وذلك لأن الانسان يتواطأ مع غيره من الآخرين فى وضع المفردات .

ويرى لوك أن الكلمة تدل على المعنى

وأن المعنى لا يأتى من الشىء المادى

فالحجر لا يعنى الكلمة الدالة على الحجر ، وانما الدال على الحجر هو الذى يعنى ..،..

وان الذى يعنى فى الكلمة هو الفكر ..،.. والانسان هو مصدر الفكر..،.. ومعناه أن الكلمات رموز لأفكارنا ... انها شارات حسية لها ..،..

فالكلمات لا تعنى أشياء بقدر ما تعنى أفكارا ..،..

وعلاقة الكلمات بالباطن لا بالخاج ..،.. علاقتها بعالم النفس لابعالم الأشياء والطبيعة ..،..

وان الكلمة مهما تكن لها علاقة بالشىء الذى تعنيه ومهما تكن علاقتها به قوية .. ومهما تكن علاقة الكلمة بالفكرة التى لدينا عن هذا الشىء ضعيفة فتظل علاقة الكلمة بالباطن وبعالم النفس ..،.. فان غاية الكلمة هى الترويح عن النفس أو التخفيف ..،.. ونقل الافكار للآخرين فى نطاق الحياة الاجتماعية ..،..

فالعلاقة اذن حاصلة بين الكلمة والفكرة لا بين الكلمة والشىء ..،..

فالعلاقة الثانية لا وجود لها لأن الأفكار هى التى تعنى لا الأشياء الخارجية .

ومعنى ذلك أن الانسان هو الذى يعطى المعانى للكلمات ..،.. لأن

هناك حاجة الانسان الى التعبير عن أفكاره ٠٠،٠٠ كما أن هناك حاجته الى التحدث الى الآخرين والتعبير لهم ٠٠

مما يفيد أنه لايوجد ربط حتمى بين الأفكار وجرس الحروف لأنه لاتوجد علاقة جبرية بين مانعبر عنه ونفكر فيه ٠٠،٠٠ ولو أن هذه العلاقة كانت موجودة لتكلم الناس جميعا لغة واحدة ٠٠٠ ولأثارت الكلمات نفسها فى أذهان كل الناس المعانى نفسها ٠٠

ان الكلمات فى حد ذاتها لا تعنى شيئا ٠٠ انما هى تعنى ما نريده نحن منها أى أنها تعنى ما نعنيه نحن اذن فهى وليدة التواطؤ ٠٠،٠٠

ولكن لوك يبدى ملاحظة حول التواطئية وهى :

أن هذه التواطئية ذات قاعدة ٠٠،٠٠ : فوضع الكلمات يتطور من الحسى الى المجرد ٠٠،٠٠ ومن المنظور الى غير المنظور ٠٠،٠٠ ومن الخاص الى العام ٠٠،٠٠

وبتحليل المفاهيم المجردة نجد أن معانيها ترجع الى أوضاع حسية (٥٤)٠

وقد رد على أصحاب هذه النظرية بان :

اختراع اللغة ليس كاختراع المصطلحات أو الرموز فى الجبر والكيمياء ٠٠ وأن التواطؤ يقتضى تقدم العلم كما أن الاختراع يقتضى أن يكون الانسان قادرا بطبيعته على الكلام ومعناه ان منشأ اللغة يتوقف هو نفسه على وجود اللغة من قبل أن توجد ؟ ! (٥٥) ٠

---

(٥٤) قدم د٠ كمال يوسف الحاج تحليلا يرجع فيه المفاهيم المجردة الى أوضاع حسية اقرأ السابق ص ٢٤/٢٥ ـ

واقرأ الفصل الثالث من :

(السابق) Essay concerning human understanding.

(٥٥) وقد رد على أصحاب هذه النظرية رينان فى كتابه أصل اللغة Renan, L'origin du langage وأرنست رنيان Ernest Renan من أشهر علماء اللغة وهو مؤرخ وفيلسوف ولد ببلدة تريجييه Tréguier بفرنسا عام ١٨٢٣ وتوفى بباريس عام ١٨٩٠ درس اللغات الشرقية واللاهوت=

وهكذا نرى أن جوهر محاورة أفلاطون هو الذى تدور عليه بين المحدثين من الغربيين نظريات نشأة اللغة حتى النظرية الثالثة هى تعديل فى النظرية الأولى نظرية الالهام ·

النظرية الثالثة : نظرية الغريزة « نظرية ماكس موللر : Max Muller (٥٦)

والفرنسى ارنست رينان والذى ساق ماكس موللر الى هذا رأيه فى أصل مواد اللغة ـ قال ان اللغات تنقسم ثلاثة أقسام :

١ ـ اللغات الهندية الأوروبية ·

٢ ـ اللغات السامية ·

٣ ـ اللغات الطورانية ·

وتقرر النظرية أن الفضل فى نشأة اللغة يرجع الى غريزة خاصة زود بها جميع أفراد النوع الانسانى ـ وأن هذه الغريزة تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسى أو معنوى بكلمة خاصة به وأنها متحدة عند جميع الأفراد فى طبيعتها ووظائفها وما يصدر عنها ـ وأنه بفضل ذلك اتحدت المفردات وتشابهت طرق التعبير عند الجماعات الانسانية الأولى ·

وقد اعتمد ماكس موللر فى تأييد هذه النظرية على أدلة مستمدة من البحث فى أصول الكلمات فى اللغات الهندية الأوربية ـ فقد ظهر له أن مفردات هذه

= والتاريخ والفلسفة واللغة العبرية وتولى تدريسها فى كثير من المعاهد وعين عضوا بالاكاديمية الفرنسية ومديرا للكوليج دوفرانس Collège de France وله نحو خمسين مؤلفا فى التاريخ العام وتاريخ الديانات وفى اللغات والأخلاق والفلسفة واللاهوت والسياسة وغيرها ·

(٥٦) ولد ماكس موللر ببلدة ديسو Dessau من أعمال ألمانيا عام ١٨٢٣ وتوفى باكسفورد عام ١٩٠٠ ـ وهو ابن الشاعر جليوم موللر ـ تخرج من جامعتى ليبزج وبرلين ثم رحل الى باريس حيث حضر دروس الأستاذ برنوف Burnouf فى اللغة السنسكريتية ثم ذهب الى انجلترا واستقر باكسفورد حيث عين أستاذا بجامعاتها للأدب واللغات الحديثة ثم استاذا للقواعد المقارنة ـ ومن أشهر مؤلفاته دروس فى علم اللغة ظهر عام ١٨٦١ ـ ودروس حديثة فى علم اللغة ظهر عام ١٨٦٤ ·

اللغات جميعها ترجع الى خمسمائة أصل مشترك ـ وأن هذه الأصول تمثل اللغة الأولى التى انشعبت منها هذه الفصيلة وظهر له من هذه الأصول أنها تدل على معان كلية ـ وأنه لا تشابه مطلقا بين أصواتها وما يـدل عليـه من فعل أو حالة .

قال ماكس موللر : ليست المواد التى كشفنا عنها بالتحليل الدقيق ـ وجعلناها عناصر مقومة لأنواع اللغات المختلفة أصوات نداء ـ أو أصـواتا يقلد بها الانسان أصوات الطبيعة ـ وانما هى نماذج صوتية متولدة من غريزة ملازمة للفكر البشرى ـ ان فى العالم الطبيعى قانونا كليا يقرر أن كل مضروب يرن ـ وأن كل جوهر يحدث صوتا خاصا به وأن الانسان أيضا يحدث أصواتـا وهو لم يكن فى البدء كالحيوان معبرا عن مدركاته باصوات تقليدية فحسب بل كان أيضا ذا ملكة لفظية تعبر عن تصورات عقله ـ ولم يبدع الانسان هـذه الملكة بنفسه ، لأنها غريزة فطرية وضرورية .

ويرى ماكس موللر ـ مع جيوم شليجل Guillaume Schlegel ان اللغات تنقسم ثلاثة أنواع :

ـ اللغات وحيدة المقاطع كالصينية .
ـ ولغات التلاصق كالتركية .
ـ ولغات الاشتقاق كالعربية واليونانية .

وأن لغات الاشتقاق ناشئة عن لغات التلاصق ـ ولغات التلاصق ناشئة عن اللغات الوحيدة المقاطع .

ويرفض جمهور العلماء هذه النظرية لأن التعليل بالغريزة لا يوضـح جديدا ..

ولأن هذه النظرية مخالفة لمسلمات علم الاجتماع ، وعلم النفس ..

ولوكانت اللغات البدائية مؤلفة من ٥٠٠ كلمة أولية لكانت قدرة الانسان الأول على التجريد عظيمة جدا وهذا مخالف لمسلمات علم النفس ـ وان لغـات الأمم البدائية منعمة بالألفاظ المشخصة والكلمات الحسية فليس فيها لفظ يدل على معنى الحيوان أو النبات ولا يدل فى الوقت نفسه على حال من أحواله .

وان مفردات هذه اللغات تدل فى الغالب على صور الموجودات واوضاعها وحركاتها المختلفة فهى فقيرة فى الألفاظ المجردة غنية بالألفاظ المشخصة ٠

يقول ريبو عن اللغات الأولية :

« ان هذه اللغات تقف عند أبسط المشابهات ، وتقتصر عن بلوغ التعميم الواسع ـ يؤيد ذلك ما نجده فيها من الأفعال والأسماء والصفات القريبة من الحس » ٠٠

كما يقول أيضا : ان فى لغة قبائل أمريكا الشمالية ألفاظا خاصة للدلالة على السنديانة السوداء والبيضاء والحمراء ، وليس فيها كلمة واحدة للدلالة على معنى السنديان العام ـ ولا لفظ يدل على معنى الشجر عامة ان فى لغة سكان البرازيل الأصليين ألفاظا مختلفة للدلالة على أقسام الجسد ، ولا لفظ فيها للدلالة على الجسد كله وأكثر شعوب (الأوقيانوسيا) يستعملون ألفاظا مختلفة للدلالة عى ذنب الكلب ، أو ذنب الخروف ، ولا لفظ عندهم للدلالة على الذنب عامة ـ وكذلك لا لفظ فى لغتهم للدلالة على معنى البقر الكلى مع أن فيها ألفاظا مختلفة للدلالة على البقرة الحمراء والبيضاء والسمراء ، فالأسماء المشخصة كثيرة ، أما الصفات فقليلة لأنها تدل على معان مجردة مثال ذلك أن التسمانيين Tasmaniens لايحسنون وصف الكيفيات الا بنسبتها الى الأشياء المحسوسة ـ فاذا أرادوا وصف الصلابة قالوا كالحجر ٠٠ واذا وصفوا الطول قالوا كالساق واذا عدوا وضعوا العدد بعد المعدود كأن العدد صفة من صفات الشىء فهم لايعرفون التعدد المجرد ولا يفصلون العدد عن المعدود فاذا أرادوا الأشياء قالوا تجار عشرة رجال ، ودجاجات خمسة طيور بدلا من أن يقولوا عشرة تجار وخمس دجاجات » (٥٧) ٠

لذلك يرى المحدثون من علماء اللغة أن المواد اللغوية (الأصول الخمسمائة) التى كشف عنها ماكس موللر ليست لغة الانسان الأول ـ وانما هى بقية لغة راقية انتقلت من طور الى آخر ـ فلم تبلغ هذه الدرجة من التجريد الا بعد أن استبدلت بالمعانى المحسوسة والألفاظ المشخصة مفاهيم عامة مجردة ٠

---

(٥٧) Rebot : Evolution des idées générales, P 110.

واقرأ علم النفس ٠ د٠ جميل صليبا الفصل الحادى عشر الاشارات والرموز واللغة ـ من ص ٥٠٥ وما بعدها ٠

ولم تصل اليها الأمم الانسانية الا بعدَ أن ارتقت عقلياتها ونمض تفكيرها

ويذهب بعضهم الى أبعد من هذا فيقرر أنها مجرد أصول نظريـــة وأنهـــا
لم تكن يوما ما موضوع لغة انسانية (٥٨) ٠

أما النظرية الرابعة ـ فهى نظارية التطور التدريجى

وهى تقرر أن اللغة الانسانية نشأت من الأصوات الطبيعية (التعبير
الطبيعى عن الانفعالات وأصـوات الحيـوان ـ وأصوات مظاهر الطبيعـــة ـ
الأصوات التى تحدثها الاطفال عند وقوعها كصوت الضرب والقطع والكسر ٠٠
وسارت فى سبيل الرقى شيئا فشيئا تبعا لارتقاء العقلية ٠٠،٠٠

وذهب هذا المذهب معظم اللغويين المحدثين وعلى رأسهم العلامة وتينى
Whitney (٥٩) ٠

وظهرت فى ذلك نظاريات متعددة عرضها أتو يسبرسن فى تنصيل وســـوف
نعرض لها بعد أن نشير الى موقف ليبنتز ٠

ليبنتز : رفض ليبنتز التوقيفية والتواطئية معا واتخذ موقفا خاصا ٠٠،٠
وذلك لأنه كانت لديه رغبة فى ايجاد قاعدة ايجابية لبحث اللغة كعلم صحيح ٠
مبنى على أسس علمية ٠٠ وله منهج يتسم بالدقة ولذلك فقد كان رأيه أن
مثل هذا يتطلب أساسا منهجا استقرائيا لايتقيد بنظريات ذاتية معروفة مسبقا
ولذا يعتبر ليبنتز هو الذى أرسى دعائم علم اللغة بمعناه العلمى الموضوعى ـ
فقد وضع التخطيط الذى وجه كل من أتى بعده من الباحثين فى اللغة ٠
فقد كانت قضايا اللغة قبل ليبنتز تعالج على أساس غيبى دون استناد الى
معطيات واقعية مدروسة مجردة ٠

ولكن ليبنتز أراد أن يجعل علم اللغة علما شبيها بالفيزياء والكيمياء
والرياضيات ، وكان غرضه أن يبتعد عن النظريات العامة التى لا ترتكز على
واقع صريح شامل ـ وانما تنبثق من ميول ذاتية ـ غالبا ما تتحكم فيها

---

(٥٨) يرى هذا سيس Sayce وبريال Bréal أنظر السابق ٠
وعلم اللغة ٠ د٠ على عبد الواحد وافى ص ١٠٣ ـ

(٥٩) من أشهر مؤلفاته : حياة اللغة ـ ظهر عام ١٨٧٥ ـ واللغة ودراستها
ظهر ١٨٦٧ ـ

البيئة أو الثقافة أو التربية أو المزاج أو الظروف الشخصية ـ فان الذاتيات لاتزودنا بقاعدة علمية ايجابية صارمة ٠

ويرى ليبنتز أنه علينا أن نحسن قراءة اللغات ـ فاذا كانت اللغات بمثابة كتاب فانه علينا أن نقرأ أولا ثم نفهم لا أن نفهم أولا لنقرأ ثانيا ـ فان الفهم المسبق يحجب عنا الواقع الموجود ، وربما يجعلنا لا نقرأ الا ما نريد فهمه ـ وفى هذا تغيير للواقع اللغوى ، علينا أن نقرأ فى كتاب اللغات وعقولنا صحيفة بيضاء ندون فيها ما نجده مما يجب تدوينه ٠

اللغات أقدم تركة خلفها التاريخ الانسانى ٠٠ فاللغات أقدم شاهد على حقيقة البشر ـ لهذا يحسن بنا أن نحسن السماع لهذا الشاهد الناطق ٠

ويرى ليبنتز أن أحسن طريقة وأصحها لاستنطاق هذا الشاهد :

هى اتباع الأساليب الاحصائية التى شاعت اليوم فى معظم العلوم ٠

ومعناه أنه علينا أن نحصى عدد اللغات الكائنة فى العالم ٠٠ وأن نقيم عليها درسا بين ماضيها وحاضرها نكشف عن مستقبلها ـ فان تطور اللغات لا يأتى عفويا ولكن تسير وفق نواميس معينة لا يمكن معرفتها الا بعد البحث والاستقصاء شأن ما يحدث فى بقية العلوم ٠

فمتى قمنا بدراسة احصائية للغات العالم ودرسنا كل لغة على حدة ، ثم درسناها بالنسبة الى غيرها من اللغات استطعنا أن نجعل من اللغة علما ٠

اذ ذاك نصل الى نتيجة حاسمة فى معرفة نشأة اللغة وعلاقتها بالفكر ٠٠

وللاجابة على مثل هذه الأسئلة لاتأتى من أول الطريق وانما تأتى فى نهايته ٠٠ عملنا اليوم يجب أن ينحصر فى استقراء الوقائع اللغوية ، وفى استنطاقها واحدة واحدة قبل التسرع فى اعطاء الجواب تعسفيا ٠٠

ولقد قام ليبنتز نفسه بأول عمل احصائى فى هذا الميدان ـ جمع الوثائق وطرح الأسئلة المتعددة على أصناف الناس مئات بل ألوف من الناس كالمبشرين والسفراء والقناصل والمسافرين ـ بل حاول طلب معونة الأمراء والملوك مثل بطرس الكبير فى سبيل جمع ما يتوفر لديهم من قواميس ودوائر معارف وكتب لغة من نحو وصرف الخ ٠٠٠

بدأ بذلك الطريق الذى يصبح به علم اللغة علما له طابع العلمية بمفهومه الحديث ٠٠،٠٠

أما النظريات التى عرضها أوتو يسبرسن فنلمح اليها على النحو الآتى :

النظريـــة الأولى : ــ

١ ــ **نظرية** Bow-wow (٦٠) ــ هذا صوت نباح الكلب ــ وأصحــاب هذه النظرية يرجحون أن نشأة الألفــاظ الأولى كانت تقليدا للاصوات الطبيعة التى يسمعها الانســان ويتخذ منها أسماء لمصادر هذه الأصوات ٠

فصوت نباح الكلب هذا اتخذ رمزا يعبر ويدل على نفس الحيوان ٠٠ ويتصور أصحاب هذه النظرية أن الانسان الأول سمع عواء الذئب وزئير الأسد ومواء القط ٠٠٠،٠٠٠ الخ ٠

فاتخـــذ من تلك الأصوات الحيوانيـــة المتباينـــة أعلامـا للحيــوانات نفسها ٠٠،٠٠ وهكذا بقية مظاهر الطبيعة مما يطلق عليها اسم أنومانوبيا أو نظرية تقليد اصوات الطبيعة ٠

وهكذا يسمع الانسان أولا أصوات الطبيعة فيتخذ من تلك الأصـــوات أعلاما للاشياء أنفسها من حيوانات وغيرها من مظاهر الطبيعة التى تسمع لها الأصوات ــ وبذلك تكونت لديه مجموعة كبيرة من الكلمات تعد فى رأى أصحاب هذه النظرية من اقدم مفردات اللغات الانسانية ٠٠٠،٠٠

ثم هم بعد ذلك يتصورون أن الكلمة فى تطورها لاتقف فى دلالتها عند حدود مصدرها الأصلى الى أمر آخر قد لا تكون له صلة بذلك المصدر ٠٠ كما أنها قد تتعدى معناها الى معنى جديد لا يمت الى المعنى الأول بصلة وثيقة كذلك ٠٠،٠٠٠

ويعترض ماكس موللر على هذه النظرية (٦١) ويتكلم على أصحابها بانها تقف بالفكر الانسانى عند حدود حظائر الحيوانات ــ وتجعل اللغـــة الانسانية مقصورة النشأة على تلك الأصوات الفطرية الغرزية لأن وراء هذه الأصوات سورا حصينا تبدأ من عنده لغة الانســـان ذات الدلالات المتميزة المتباينة ٠

---

(٦٠) أوتو يسبرسن السابق ٠

Language its nature, development & origin chapter XX1 Former Theories P 413, 414

المبحث الثانى وعنوانه .

(٦١) السابق ص ٤١٤ ٠

وكذلك عارضها رينان وتكلم عليها بقوله : « ليس من المعقول أن الانسان وهو ارقى المخلوقات يقلد أصوات مخلوقات أدنى منه وأحط ليستنبط من تلك الأصوات المبهمة الغامضة كلمات لغته الراقية السامية ٠

غير أن الدكتور ابراهيم أنيس يؤيد هذه النظرية ويحاول أن يرد على المعترضين ٠ (٦٢) وهو مثلا يستشهد من العربية بما جاء فى قواميسها : مثل : النباح مناقف صغار بيض مكية تجعل فى القلائد ٠

ومن التحيح بمعنى صوت الأفعى ـ فحفح ـ صحح المودة وأخلصها ٠

وفى مادة الثغاء أى صوت الغنم : أتيته فما أثغى ـ ما أعطى شيئا ٠

وفى مادة رغاء الابل أى صوتها ـ ان الترغية معناها الاغضاب ٠

ثم هو يقول صراحة لايصح أن ننساق مع بعض المعترضين على هذه النظرية فى تهكمهم عليها بأنها تقف بالفكر الانسانى عند حدود حظائر الحيوانات ٠ ٠

ثم يضيف : فالمعترضون يفترضون فى هذا النوع من الأصوات عقما ولا تصلح لأن ينحدر منها تلك الدلالات الانسانية السامية ولكن الواقع يبرهن على أن كثيرا من كلمات اللغات الانسانية قد اتخذت عن تلك الأصوات الغرزية المبهمة ثم سمت فى تطورها ودلالتها وأصبحت تعبر عن الفكر الانسانى والا فكيف نتصور أن كلمة الخيل يشتق منها الخيلاء ـ والجبانة بمعنى الصحراء يشتق منها الجبن ـ وأن من سفهت الطعنة اسرع منها الدم وجف تجىء السفاهة الى غير ذلك من تلك الدلالات المجردة التى انحدرت الينا من المحسوسات ، يمكننا اذن أن ندرك أن الكلمات المستقاة من الأصوات الطبيعية قد تتطور فى دلالتها حتى تصبح معبرة عن الدلالات الراقية المجردة فى الذهن الانسانى ٠

ثم هو يضيف ان الانسان الأول حين بدأ عملية التقليد لم يجعلها مقصورة على أصوات بعينها فقد كان يقلد أصوات الحيوان وأصوات أخيه الانسان وأصوات الطبيعة ويتخذ من كل هذه الأصوات كلماته وألفاظه ٠٠٠ وأن مهارة الانسان ظهرت فى أنه أنتقل بتلك الأصوات المبهمة الى دلالات واضحة مشتركة بين أفراد النوع الانسانى وجعلها تعبر عن مصدر الصوت أى عن الحيوان المنبعث عنه ذلك الصوت » ٠٠

---

(٦٢) أنظر دلالة الألفاظ ص ٢١/٢٢ ٠

والوقائع الذى أراه أن لهذه النظرية دورها فى نشأة اللغات الانسانية بصفة عامة وان كان هذا الدور محدود يوضحه مايراه بعض المعترضين عليها من أن اللغات لاتكاد تشتمل الا على قدر ضئيل من تلك الكلمات التى تقلد أصوات الطبيعة (onomatopoeia) أضف الى ذلك انها تختلف بأختلاف اللغات (٦٣)٠

النظرية الثانيـــة : ـ

ويطلق عليها : Pooh-Pooh (٦٤)

وهذه النظرية تتخذ من النوع الثانى من الكلمات المحاكية للطبيعة وهى التى يطلق عليها اسم عبارات العجب والدهشة (interjection) منطلقا لوضع أسسها وارساء دعائمها فأصحاب هذه النظرية يرون أن اللغـة الانسانية بدأت فى صورة شهقات وتأوهات صدرت عن الانسان بشكل غـرزى عن حـالاتـه الوجدانية من فرح وغضب ودهشة وألم وعجب وغير ذلك من انفعالات قوية ٠٠

وأصحاب هذه النظرية ينادون بما نادى به داروِن (Darwin) فيما هو خاص بتطور الكائنات الحية ـ فقد نادى داروِن بان الانسان لايعدو أن يكون تطورا لأرقى الأجناس من الحيوان (٦٥) يستوى فى ذلك التطور الجسمانى ـ والتطور الفكرى والعقلى ٠٠ ومن هنا فقد كان داروِن ينكر أن الانسان هـو المخلوق المتميز بالفكر والنطق ، وانما أشركه معه أيضا بعض الحيوانات الراقية مع تفاوت فى درجة التفكير أو النطق ـ والفرق بين الانسان والحيوان فرق فى الدرجة فقط ـ فأصوات الانسان تعددت وتنوعت على حين أن أصوات الحيوان ظلت محدودة ـ ولذلك ربط داروِن بين النشأة اللغوية للانسان وبين تلك الأصوات الانفعالية الغرزية مثل الآهات وأصوات التعجب والدهشـة وجعلها كلها الأساس الأول الذى استمدت منه اللغة الانسانية نشأتها ٠٠

كما حاول داروِن الربط بين الأصوات وبين ما يحدث من أعضاء النطق من تقلص أو انبساط من الناحية الفسيولوجية ٠٠ فتقرر أن الشعور بالازدراء أو الضيق يصحبه فى العادة صوت نفخ من الفم أو الانف ـ ولذا ينشأ صوت

---

(٦٣) وأنظر ما قاله دى سوسير بهذا الخصوص ٠

(٦٤) أنظر أوتو يسبرسن السابق ص ٤١٤ ٠

(٦٥) اقرأ يسبرسن السابق ص ٤١٤ ٠

مثل Pooh أى عنوان النظرية ومعناه التافف باللغة الانجليزية وهو بالعربية أف Pooh-Pooh (أف ــ أف) .

أما فى حالة ما أن المرء يفغرفاه وينفخ عينية ويأخذ نفسا عميقا ...

ثم هو عندما يزفر هذا الهواء الذى تنفسه فان الفم يميل الى الاستدارة قليلا ... ويولد هذا الوضع للشفتين صوت يشبه صوت الضمة وهى حين تطول قد يتصل بها صوت يشبه الياء وينشأ عن هذين الصوتين معا صوت oh تاوه ــ وهو صوت يحدث من جمهور المتفرجين حين يفاجاون بمنظر بالغ الدهشة ... ولكن فى حالة التالم فان أعضاء الجسم تتقلص بما فى ذلك الوجه وتأخذ الشفتان وضعا يناسب صوت الفتحة (A) ويؤدى هذا الوضع الى احداث صوت Ah أو Ach ــ وهى التى نقولها فى العربية آه .

وأبدى المعترضون على هذه النظرية آراءهم ومنها أن هذه الأصوات تصدر عن المرء بطريقة لا ارادية فجائية وأنها منعزلة عن الكلام الذى يميزه أنه يصدر عن الانسان بطريقة ارادية أى أن هذه صورة سلبية للكلام وذلك لأنها تصدر عنه فى الحالة التى يعيا فيها عن الكلام أو حين يرفض الكلام ويأباه ــ ويضاف الى ذلك أن كثيرا من تلك الأصوات تشتمل على عناصر صوتية لا نكاد نسمعها فى كلام البشر مثل أصوات اللين المهموسة ومثل clicks التى تنشأ من الشهيق أى فى أثناء دخول الهواء الى الفم والرئتين (٦٦) .

ويعلق أوتو يسبرسن فى النهاية على هذا بقوله : أن تلك الأصوات عرفية تختلف باختلاف الشعوب والأمم وتختلف من لغة الى أخرى فصوت الدهشة فى الالمانية يكون au وعند الجوتلاندر aus وعند الفرنسى ahi وعند الانجليزى oh وربما ow

وقد كتب كيبلنج Kipling فى احدى قصصه يصف احدى الشخصيات بقوله : ان هذا الرجل ليس من الأفغان لانهم هناك يبكون بصوت Ai ! Ai وكذلك لا أظنه هندستانى Hindustan لانهم هناك يبكون بصوت oh ! Ho انه يبكى على طريقة بكاء الأوربيين انه يقول ow ! ow (٦٧) .

---

(٦٦) اقرأ السابق ص ٤١٥ .

(٦٧) اقرأ السابق ص ٤١٥ .

واقرأ دلالة الالفاظ د. انيس ص ٢٣/٢٤ .

النظريــة الثالثــة :

نظرية ding-dong **(٦٨) : ـ**

يرتبط أصحاب هذه النظرية بين ما ينطق به الانسان من أصوات وبين ما يدور فى خلده من أفكاره ·· وعلى نحو ما قال ماكس موللر بـأن لـكل جسم صوتا يتمز بــه ···

يرى أصحاب هذه النظرية أن كل أثر خارجى يتاثر به المرء يستلزم النطق ببعض الأصوات وهذه قوة أو قدرة اختص بها الانسان منذ الخليقة ـ ويرون أن سر هذه القوة غامض كانما هو أمر سحرى لاتدرى له كنها ـ أى أنهم يتصورون أن المرء يرى الاشياء أو الحوادث فيتاثر بهـا ويتبع هـذا التاثر أن ينطق بصورة آلية باصوات أى أن الألفاظ لا تعدو أن تكون صدى لتلك المؤثرات الخارجية ·· وان كان أمر الصلة بينها يغيب عن أذهاننا ·

وقد بنى أصحاب هذه النظرية نظريتهم على تلك الظاهرة العامة التى نلاحظها فى الأشياء المحسوسة من أن اصطدام أى جسم أو الدق عليه يولد صوتا معينا يتميز به هذا الجسم فى غالب الأحيان ـ فالصوت الصادر عن الحـــديد يخالف الصوت الصادر عن النحـاس أو الفضة وهكذا ··· والآثــار الخارجية التى يتاثر بها الانسان بحيث كل منها رنينا خاصا فيتعدد الرنين بتعدد الاثار الخارجيه ومن هنا تتعدد الالفاظ وتتعدد الاصوات المشتملة عليها ··

النظريــة الرابعــة (٦٩) : ـ

نظريــة : The yo — he — ho

وخلاصة هذه النظرية أن النطق الانسانى أول ما نشـأ نشـأ فى صورة جماعية · فالناس أثناء قيامهم ببعض الأعمال الشاقة يصدر عنهم مايشبه هذه الأصوات (مثلا نسمع العمال فى مصر وهم يؤدون بعض الأعمال الجماعية الشاقة يقولون : (هيلا هوب هيلا ليصا ··) ويؤكد أصحاب هذه النظرية أن الانسان يجد الراحة وهو يقوم بعمل شاق اذا تنفس بقوة أو تنهد بعنف وكرر هذا عدة مرات حيث يصدر عن رئتيه قدرا من الهواء ··· وهو يستريح لمثل هـذه العملية العضلية لأنها تخفف من عنـاء عمله مشقته والذى يحدث أن

---

(٦٨) يسبرسن السابق ص ٤١٥ · The ding dong theory

(٦٩) أوتو يسبرسن (السابق) ص ٤١٥/٤١٦ ·

واقرأ دلالة الألفاظ د· أنيس ص ٢٦/٢٧ ·

الهواء الصادر عن الرئتين اثناء انبعاثه أو خروجه يمر بالوترين الصوتين فيحركهما فتسمع لهما ذبذبات ذات أنغام مختلفة ··· وهذا يفسر لنا ما يصدر عن بعض العمال حين يؤدون بعض الأعمال الشاقة اذ يرددون عبارات أو يغنون بعبارات قد لا تتضمن معنى معقولا أو مفهوما ـ غير أنهم يجدون فيها متنفسهم فيكررونها ويعيدونها دون سام أو ملل ··· ومعنى هذه النظرية كما يرى أصحابها أن اللغة نشأت عن اجتماع الانسان بأخيه الانسان فهى تصدر عن جماعة من الناس فى أثناء عملهم وينطقونها كلما تكرر هذا العمل فى ظروف مختلفة ··· ويمثل هذه العبارات الجماعية بدأ الكلام الانسانى ·

ونلاحظ أن كل هذه النظريات دارت حول ما يمكن أن يسمى بالأوتوماتوبيا أو ماهو على شاكلتها أى مايتصل بتقليد أصوات الطبيعة ·· وهذه على نحو ما قد أثبت الاحصاء والدراسة تمثل قدرا ضئيلا من اللغةوقد وجهت الى مثل هذه النظريات انتقادات كثيرة من المشتغلين بهذه الدراسات على مختلف تخصصاتهم سواء منهم علماء النفس أو الفلسفة اللغوية أو علماء الاجتماع أو علماء اللغة

ولكن الذى يهمنا هنا بالدرجة الأولى أن هذه الاتجاهات تعد الى حد بعيد انطلاقا من محاورات أفلاطون ودائرة فى فلكها ثم هى بعد ذلك لاتخرج عما دار فى الفكر اللغوى العربى الاسلامى سواء فى القديم أو الحديث ·

وقد أشار ابن جنى فى حديثه عن نشأة اللغة الى معظم هذه النظريات مما نراه يمثل وجهة نظر علماء المسلمين القدماء فى هذه القضية ـ وهو ما يجعلنا لانجد مبررا لذكره لاسيما وأن القول فى نشأة اللغة من الأمور التى أوسع القول فيها ولم تعد هناك حاجة لأن يعاد فيه أو يزاد واكتفينا هنا من الفكر اللغوى الغربى المحدث بما يعد جديدا فى مجاله ·

الفصل الثالث

القضية فى الفكر العربى الاسلامى

(ا) فى التقديم ••　　　　(ب) فى الحديث ••

(ا) القضية فى الفكر الاسلامى العربى القديم

انتقلت القضية الى الفكر العربى الاسلامى ، واتخذت أبعادا متعددة على النحو الذى يعرضها عليه جلال الدين السيوطى عند علماء المسلمين القدماء فمنهم من يؤيدها ويذهب فى تاييدها الى أبعد مدى ، ومنهم من يعترض على هذا التاييد ويرفضه ويأتى بالأدلة المنطقية على بطلانه وهم جمهور العلماء•• والباحث التى جاءت عليها القضية عند السيوطى منها ما هو مباشر وهو المبحث العاشر ، الذى جاء تحت عنوان : المناسبة بين اللفظ ومدلوله (١) ومنها ماهو غير مباشر مثل مبحث : لم يوضع اللفظ (٢) - ومبحث متى وضعت اللغة (٣) ومبحث فى الطريق الى معرفة اللغة (٤) •

وقد عرض جلال الدين السيوطى قضية المناسبة بين اللفظ ومدلوله • • وساق فى ضوئها آراء علماء المسلمين عبر العصور • وقد صهرها فى بوتقة واحدة وهى بوتقة : نظرية « توقيفية اللغة » وساقها من خلال وجهة نظره هو •• حيث كان قد انتهى كل من المعتزلة وأهل السنة فى ضوء أن اللغة توقيف من عند الله الى ضرورة وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ ومدلوله •• فذكر السيوطى أن عباد بن سليمان الصيمرى من المعتزلة ذهب الى ان بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يصنع وهاك نص قوله:«نقل أهل أصول

---

(١) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها • ح١ • ص ٤٧/٤٨ : المسألة العاشرة بين اللفظ ومدلوله •

(٢) السابق : المسألة التاسعة ص ٤٦/٤٧ •

(٣) السابق : المسألة الحادية عشرة ص ٥٥/٥٦/٥٧ •

(٤) السابق : المسألة الثانية عشرة ص ٥٧/٥٨/٥٩ •

الفقه عن عباد بن سليمان الصيمرى من المعتزلة أنه ذهب الى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع ـ قال : والا لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحا من غير مرجح ، وكان بعض من يرى رأيه يقول : انه يعرف مناسبة الالفاظ لمعانيها ، فسئل ما مسمى « اذغاغ » وهو بالفارسية الحجر فقال : أجد فيه يبسا شديدا ، وأراه الحجر .

وأنكر الجمهور هذه المقالة وقال : لو ثبت ما قاله لاهتدى كل انسان الى كل لغة ، ولما صح وضع اللفظ للضدين كالقرء للحيض والطهر ، والجون للابيض والأسود ، وأجابوا عن دليله بأن التخصيص بارادة الواضع المختار خصوصا اذا قلنا : الواضع هو الله تعالى ، فان ذلك لتخصيصه وجود العالم بوقت دون وقت ـ وأما أهل اللغة والعربية فقد كانوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعانى ، لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد أن عبادا يراها ذاتية موجبة ـ بخلافهم ـ وهذا كما تقول المعتزلة بمراعاة الأصلح فى أفعال الله تعالى وجوبا ..

- وأهل السنة لا يقولون بذلك مع قولهم انه تعالى يفعل الأصلح لكن فضلا منه ومنا لا وجوبا . ولو شاء لم يفعله .

وقد عقد ابن جنى فى الخصائص بابا لمناسبة الألفاظ للمعانى (٥) .. ونكتفى بهذا القدر من أقوال السيوطى .. ونقف أمام مقالته نتفحصها من جوانبها المتعددة ..

وأول ما يطالعنا أن هذه القضية على النحو الذى ذكرها عليه السيوطى تذكرنا بما دار بخصوصها بين علماء اليونان القدماء .

فعلى نحو ما كان موقف هيرقليطس نجد موقف عباد بن سليما الصيمرى ..

أما موقف الجمهور وأدلته التى ينقض بها موقف عباد الصيمرى فتكاد تشبه تماما الأدلة التى وجهت لنقض رأى هيرقليطس ..

بانه لو ثبت ذلك لاهتدى كل انسان لكل لغة ..

ولما صح وضع اللفظ للضدين ...،... الى آخره

---

(٥) : باب فى امساس الالفاظ أشباه المعانى .

وأما ما يذكره جلال الدين السيوطى من أن أهل اللغة والعربية قد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعانى ـ فهذا من وجهة نظر جلال الدين السيوطى نفسه ـ وهو ما يفهم أيضا من ظاهر القول ، أما حقيقة الأمر فغير ذلك٠٠فان أهل اللغة والعربية الذين دلل السيوطى على مايراه بخصوصهم من أقوال خاصة بالخليل وسيبويه وابن جنى فليس الأمر كما يرى وليس فى أقوالهم أمام الدراسة الفاحصة المتمعنه ما يؤيد مايراه ٠٠ على نحو ما هو مفصل فيه القول فيما جاء بعد ٠٠ ، هـذا فضـلا عن أن رأى أهـل اللغـة والعربية قريب من موقف أرسطو وأفلاطون (٧) ،٠٠ فالكلمات تجىء فى قالب مناسب من الحروف والمقاطع الصوتية ٠٠،٠٠

والفرق بين رأى أهل اللغة والعربية ورأى المعتزلة وأهل السنة هو أن المعتزلة وأهل السنة يقولون معا بتوقيفية اللغة وأنها من عند الله (٨) ولما واجههم ما فى اللغة من فساد أو تضاد ٠٠،٠٠ الى آخر ما ظنوه فيها من نقص كان ردهم أن الله يفعل الأصلح فضلا منه لا وجـوبا ٠٠،٠٠ ولو شـاء لم يفعله (٩) ٠

وأما رأى أرسطو وأفلاطون فهو أن اللغة من وضع واضع ٠٠ وأن على واضع الكلمات أن يهتدى برأى الجماعة حتى لا ترفض ما يصنعه فيجب أن يكون اللفظ مناسبا للشىء الذى يطلق عليه ٠

هذا من ناحية مناسبة الألفاظ للمعانى ٠

أما رأى أهل اللغة والعربية بخصوص نشأة اللغة فالأمر بالنسبة لهم

---

(٧) درس أفلاطون فى مصر الفرعونية فى جامعة عين شمس مع مجموعة من فلاسفة العالم القديم أو قل جامعة «أون » ٠٠ أول جامعة فى تاريخ التعليم ـ اذ أن المصرى القديم قـد تخيل فى أسطورة الخلق أن نور السموات والأرض قد بزغ لأول مرة من هناك من موقع « أون » ٠٠ كمال الملاخ الأهرام ٢٨/٦/١٤٠٦ هـ الموافق ٩/٣/١٩٨٦ م ص ١٨ ٠٠

(٨) هذا من وجهة نظر السيوطى وفى ضوء ما يعرضه ولكن هناك تفصيلات مخالفة تاتى فيما بعد ٠٠

(٩) أعد النظر على ماسبق من قول السيوطى ٠٠

مختلف فمنهم من يراها توقيفية ومنهم من يراها مواضعة واصطلاحا ، ولابن جنى رأى غير هذا وذاك (٤) ٠٠،٠٠:

ولكن جلال الدين السيوطى صهر القضية كلها فى بوتقـة واحـدة بوتقة توقيفية اللغة وأنها من عند الله سبحانه وتعالى ـ ومن هنا وجبت مناسبة ألفاظها لمعانيها ٠٠،٠٠ وأخذ يجمع كل ما يمكن أن يكون دليلا على مايراه أو يؤكده . ووجده أهمال ابن جنى وأقواله مايراه سندا له فأتى بكثير من أعمال ابن جنى فى هذا الباب وآخرين غيره ٠٠،٠٠ وهكذا يطالعنا حشد كبير جمعه السيوطى فى هذا الغرض فمن يقرؤه ينساق وراءه ٠

ومن هنا فاننى أرى أن جلال الدين السيوطى هو المسئول بما صنعه عما انتهى اليه العلماء المحدثون من آراء خاصة بقضية المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله عند علماء المسلمين القدماء ٠٠،٠٠

ولكن اذا كانت القضية فى الأصل خاصة بتوقيفية اللغة ٠٠ أليس من موضوعية البحث أن ننقب عن رأى ابن جنى فى نشأة اللغة ؟ ! (١٠)

---

(١٠) يأتى ذلك مفصلا فيما بعد انظر صفحات ١١١ ومابعدها.

(ب) انتقال القضية الى الفكر اللغوى العربى المحدث : ـ

الدكتور ابراهيم أنيس وموقفه من هذه القضية : ـ

يشير الدكتور ابراهيم أنيس الى ما كان من فلاسفة اليونان والرومان ازاء تلك القضية وما دار حولها من جدل ونقاش قرونا والى انقسامهم فى شأنها الى فريقين (١١) :

● فريق يرى وجود رابطة طبيعية تدركها العقول وتتقبلهـــا الأفهـام بين الأصوات ومدلولاتها ٠

● وفريق يرى أن الأمر لا يعدو أن يكون اصطلاحا عرفيا جرى عليه الناس فى كلامهم وأنه لا توجد علاقة بين الأصوات والمدلولات الا بقدر مايسمح بـه العرف والاصطلاح ٠٠٠،٠٠٠

ثم هو يشير الى ما روى عن أفلاطون وأستاذه من جدال بخصوص هذا الموضوع ثم يقول : « فقد أدرك كل منهما أن الصلة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها غامضة لاتكاد تتضح فى اللغة كما عرفت فى عهدهما ، وكما شاعت على الألسنة فى أيامهما ، ولكنهما مع هذا كانا يتمنيان أن تخلق تلك اللغة التى تتوثق فيها العلاقة بين الأصوات والمدلولات وأن تصبح تلك العلاقة طبيعية بحيث نلحظ فى الأصوات أمورا رمزية وثيقة الصلة بالمدلولات » ٠٠

ويضيف « كان فلاسفة اليونان اذن يرون انقطاع الصلة بين الأصوات والمدلولات ثم هم مع هذا يأبون الاعتراف بمثل هذا الانقطاع محاولين فى يأس أن يعقدوا صلة أيا كانت تلك الصلة مع ما فيها من تعسف وتكلف ٠٠ وقـد ظللت كلمتا الطبيعة أو العرف محور الجدل والنقاش بينهم زمنا طويلا » (١٢)٠

ثم يشير فى الملاحة الى أساس القضية والى أن تفرعات أقوالهم : « تنحدر بنا الى موضوع نشأة الكلام الانسانى ذلك الموضوع الذى اضطربت فيه الآراء وتباينت من حوله النظريات وأحيط فى بحثه بالحدس والتخمين مما أدى الى انصراف معظم المحدثين عنه ، وأعتبارهم هذا النوع من البحث من بحوث ما وراء الطبيعة ولا أمل فى الوصول فيه الى رأى محقق أو قريب من الحقيقة » (١٣) ٠

ثم هو يضيف قائلا : « من العبث حينئذ أن ننظر فى البحث عن الصلة بين الأصوات والمدلولات الى تلك العهود السحيقة فى القـدم ، وأن نحاول افتراض

---

(١١) أقرأ من أسرار اللغة ط ٢ ـ الفصـل الثـانى : « منطق اللغـة » ـ ص ١١٦ وما بعدها ٠٠

(١٢) السابق ص ١٢٥ ٠

(١٣) السابق ص ١٢٦ ـ

أن الانسان الأول قد راعى فى الاهتداء الى الكلمات صلة وثيقة بين الأصوات والمدلولات » (١٤) ٠

ويأتى بعد ذلك قوله الآتى عن علماء العربية القدماء :

« وقد سلك علماء العربية القدماء نفس المسلك الذى سلكه فلاسفة اليونان فى فهم الصلة بين الأصوات والمدلولات بل ربما غالى بعضهم فيه فوثقوا من تلك الصلة » (١٥) ٠٠

ويحدد القول الآتى خلاصة رأيه فى تلك القضية يقول :

« وهكذا نرى أن الأصوات الانسانية لا تكاد تخضع لنظـــام عقـلى فى تكونها وصدورها والنطق بها كما نرى أن ذلك الفرع من البحوث اللغوية الذى يسميه الأوربيون Phonetics لايكاد يمت للمنطق العام بصلة »

ثم هو يطبق هذا الرأى على أعمال ابن جنى ويصدر الحكم الآتى :

« وهكذا نرى أن ابن جنى كان ممن يؤمنون ايمانا قويا بوجود الرابطة العقلية المنطقية بين الأصوات والمدلولات أو مايسميه بعض المحدثين بالرمزية الصوتية (١٦)– بل لقد غالى ابن جنى فى هذا ومعه الثعالبى صاحب فقه اللغة اذ جعلا مجرد الاشتراك فى أصلين فقط من الأصول الثلاثة دليلا على الاشتراك فى معنى عام لبعض الكلمات فيقرران المعنى العام للتفرقة يكون بين صوتى الفاء والراء – والمعنى العام للقطع يكون بالقاف والطاء الى غير ذلك من تخيلات وتاملات تشبه أحلام اليقظة عند رجل اشتد ولعه واعجابه باللغة العربية فتصور فيها ما ليس فيها وأضفى عليها من مظاهر السحر مالايصح فى الأذهان ولاتتصف به لغة من لغات البشر » ٠

ثم وجد فى أعمال ابن جنى مجالا رحبا للتطبيق ٠٠،٠٠ ونظر الى أعمال ابن جنى من زاوية الرمزية الصوتية على نحو مـا يسميهـا بعض المحدثين الغربيين أو زاوية الرابطة العقلية المنطقية بين الأصوات والمدلولات ٠٠٠،٠٠٠ على حين أن الدكتور يشير الى أن أقوالهم تنحدر بنا الى موضوع نشأة الكلام الانسانى والى أصل اللغة ٠٠٠ ، والرمزية الصوتية هى رأى من قال بتوقيفية اللغة ولذا فمن العدل الذى تؤيده موضوعية البحث أن ننقب عن رأى ابن جنى فى نشأة اللغة وهل هى عنده توقيفية ؟ وما رأيه ؟ ٠ وماذا قال بهذا الخصوص؟٠

---

(١٤) السابق ص ١٢٦ ٠

(١٥) السابق ص ١٢٦ ٠

(١٦) أوتو يسبرسن فى كتابه اللغة (الســابق) – الفصل العشرون حيث أفرده بتمامه لهذا الموضوع وجاء تحت عنوان Sound Symbolism (السابق) من ص ٣٩٦/٤١١ ٠

(١٦) رأى ابن جنى فى نشأة اللغة ص ١١١ ومابعدها

أن ابن جنى لم يقل بتوقيفية اللغة وانما له رأيه الخاص فى هذه القضية ــ هذا من ناحية ــ ومن ناحية أخرى فان ما قالــه ابن جنى يجب أن ينظر اليه من زاوية أخرى غير زاوية الرمزية الصوتية ٠٠٠،٠٠٠

ولكن جلال الدين السيوطى عرض حشدا ضخما من أعمال ابن جنى تحت مبحث المناسبة بين اللفظ والمعنى ، وأتى الدكتور ابراهيم أنيس بأبواب أخرى وأخذ يطبق عليها فكرة الرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية ويفند تلك الفكرة فى ضوء الدرس اللغوى الحديث ٠٠ ومن مبادىء الدراسة اللغوية الحديثــــة العلمية ٠٠ والموضوعية ٠ وما ذهب اليه الدكتور أنيس استمده من أعمال لغويين محدثين لهم قدرهم ٠٠

فبلو مفيلد من أصحاب المدرسة السلوكية (١٧) ٠

وهو وأتباعه يؤثرون دراسة أشكال اللغة (speech forms) دراسة تقوم على الملاحظة والتجربة ــ فمدرسته مدرسة الوصافين التجريبيين ــ تبدأ دراستها من الصور اللغوية لا من معانى الصور٠٠كما أن منطقهم منطق قياسى (inductive)

فتعليق بلومفيلد على محاورة أفلاطون جاء متفقا مع منهجه فى دراسة اللغة ومتوائما مع مدرسته فيها ٠٠ لذلك لم يكن غريبا أن يأتى حكم بلومفيلد على النحو الذى جاء عليه ٠٠

وقد كون بلومفيلد على أساس منهجه هذا فى دراسة الصور اللغوية الخالصة نظاما كاملا من الواحدات اللغوية الصغرى (الفونيمات) ومن تصرفاتها ومن الصلات العامة بينها (١٨) ٠٠٠

فالدراسة اللغوية الحديثة دراسة موضوعية علمية ٠٠ ذات مناهج وأبعاد موصلة الى نتائج علمية يطمئن لها الدارس ٠٠ ويأخذ بها الباحثون ويبنون عليها ولا حيدة عنها ٠٠،٠٠

---

(١٧) اقرأ بلومفيلد ومدرسته ــ فى كتاب أئمــة النحــاة فى التاريخ ٠ د٠ محمود محمود غالى ص ٢٢/١٧ ٠
واقرأ : فى تاريخ الدراسات اللغوية ــ (٥) فى أمريكا ٠ من كتاب : علم اللغة ٠ د٠ السعران من ص ٣٧٧ ٠
على حين توجد مدارس لغوية أخرى أمريكية لا ترى رأى هذه المدرسة بل تخالفها ٠٠،٠٠ ولاغضاضه فى ذلك ٠٠
(١٨) انظر كتاب اللغة السابق لبومفليد
Language, by Leonard Bloomfield.

فالشيء الطبيعى أن الدكتور أنيس وهو رائد من رواد الدراسة اللغوية الحديثة فى العربية أن يطبق مناهج الدراسة اللغوية الحديثة على العربية وأن ينبه لها ويوجه اليها ..

ولكن حكم الدكتور ابرهيم أنيس هنا على آراء ابن جنى وأعماله فيما يتصل بهذه القضية وان كان قد جاء من خلال اقتناعه بوجهة نظر الدراسة اللغوية الحديثة على نحو ما تمثلها مدرسة بلومفيلد وغيره الا أنها لم تكن متوائمه مع المادة اللغوية التى يطبق عليها نفسها .. لذلك يطالعنا رأى الدكتور أنيس على النحو الآتى : « وابن جنى ممن يؤمنون ايمانا قويا بوجود الرابطة العقلية المنطقية بين الأصوات والمدلولات .. أو مايسميه بعض المحدثين بالرمزية الصوتية .....،.. الى آخر قوله (١٩) اذن فهو حكم على ابن جنى مقدما بانه ممن يؤمنون بالرمزية الصوتية .. ولكن ما مظاهر هذا الايمان واين نجد دلالته وعلاماته ..،.. ؟!

أنه ينتهى الى رفض أعمال ابن جنى من خلال منهج لغوى آخر دتين وجدنا تطبيقاته فى أعمال دى سوسير وأولمان وغيرهما يمثله قوله : « فعليه انه يجب على هذا أن نتصور نوعا من الارتباط بين حروف الفعل أدرك وحروف الفعل فهم لأن لكل منهما نفس الدلالة ـ كما يترتب على ذلك أيضا أن ينكر من اللغة تلك المئات من الكلمات التى اشتركت لفظا واختلفت معانيها اختلافا بينا .

وهاك نص قوله :

« وليس هناك أى ارتباط عقلى منطقى بين حروف ـ الفاء والهاء والميم وبين المعنى العام الذى يستفاد من تلك الصيغ وهو الادراك والا ترتب على هذا أن نتصور نوعا من الارتباط بين حروف الفعل ادرك وحروف الفعل فهم لأن لكل منهما نفس الدلالة وهو مالا يقبله اللغوى الحديث كما يترتب على هذا أن ننكر من اللغة تلك المئات من الكلمات التى اشتركت لفظا واختلفت معانيها اختلافا بينـــا » (٢٠) .

---

(١٩) أنظر نصه السابق .

(٢٠) اقرأ من أسرار اللغة الدكتور ابراهيم أنيس (السابق) الموضوع بتمامه من ص ٤٦ وما بعدها ..

وهذا فى الواقع حكم دقيق ٠٠ ولكن على أى شىء نطبقه عند ابن جنى

لقد عالج ابن جنى قضية المشترك والترادف وقدم مباحث دقيقة عميقة خاصة بها وأفردنا لها مبحثا خاصا بها (٢١)٠٠٠ فهذا الحكم الدقيق يطلق على شخص آخر غير ابن جنى ٠٠،٠٠

دليل ذلك أنه عندما طبق النظريات الحديثة تطبيقا عمليا على أعمال ابن جنى وجدنا أحكامه وآراءه على النحو التالى :

« فاذا كان ابن جنى قد استطاع فى مشقة وعنت أن يسوق لنا للبرهنة على ما يزعم بضع مواد من كل مواد اللغة التى يقال انها فى جمهرة ابن دريد تصل الى أربعين الفا ، وفى معجم لسان العرب تكاد وتصل الى ثمانين الفا فليس يكفى مثل هذا القدر الضئيل المتكلف لاثبات ما يسمى بالاشتقاق الأكبر » (٢٢) ٠

معنى ذلك أن ماضربه ابن جنى من أمثلة ليست خطأ من وجهة نظره هو٠٠ ولكن له عليها مآخذ وهى :

أنها جاءت فى مشقة وعنت ٠٠،٠٠

وأنها تمثل كما ضئيلا بالنسبة لحجم اللغة ٠٠،٠٠

وقول الدكتور أنيس هنا ان كان ينبىء عن دقة وأمانة علمية ٠٠ وهو كذلك الا أنه ليس فى صالح القضية التى هو بصدد عرضها ٠٠

فعندما تعرض لباب فى الاشتقاق الأكبر عند ابن جنى (٢٣) علق على هذا الباب بقوله : « ويمثل ابن جنى بعدة مجموعات لايخلو معظمها من التكلف والتعسف وتلمس العلاقة مهما كانت تانية أو غامضة » (٢٤) ٠

« فقد اعتبر مثلا أصوات الجيم والباء والراء مهما اختلف ترتيبها

---

(٢١) انظر ذلك مفصلا من صفحات القسم الثانى من هذا الكتاب ٠٠

(٢٢) أنظر من اسرار اللغة (السابق) ص ٥١ ٠

(٢٣) الخصائص ح١ ص ١٣٣ ٠

(٢٤) من أسرار اللغة ص ٤٩ ٠

تعبر عن القوة والشدة وحاول التدليل على هذا بما ورد فى اللغة فقال، : (٢٥)
جبرت العظم والفقير اذا قويتهما ـ والجبروت القوة والجبر الأخذ بالقهروالشدة
ورجل مجرب اذا مارس الأمور فاشتدت شكيمته ، ومنه الجراب لأنه يحفظ مافيه
والشىء اذا حفظ قوى واشتد ـ ثم منه الأبجر من البجرة وهو القوى السره ـ
ومنه البرج لقوته ومناعته ، كذلك البرج هو نقاء بياض العين وصفاء سوادها
مما يكسبها قوة ، ومنه رجبت الرجل اذا عظمته وقويت أمره ـ ومنه شهر رجب
لتعظيمهم اياه عن القتال فيه ، ومنه الرجبة وهو ما تسند اليه النخلة لتدعيمها
وتقويتها ... » (٢٦)

ثم يأتى بمثال آخر عند ابن جنى وينقضه على النحو الآتى :ـ
يقول : « أنظر الى قول ابن جنى (ان حروف ركب مهما اختلف ترتيبها
تعبر عن الاجهاد والمشقة) .

فمن قال : ان كل ركوب فيه مشقة ؟ . انما هو راحة اذا قيس بالمشى
والعدو ـ ثم أليس يبرك الجمل ليستريح ؟ . ولا يلجأ الجمل الى هذا الابعد
الجهد والعنف ؟ ! ـ أما ربكه فبعيد معناه عن المشقة والاجهاد . ومن التعسف
أن نتلمس فى الربكة مشقة ـ وأن نتلمس فى كبر الجسم اجهادا ، وهو انمـا
كبر ليزداد قدرة على التغلب على الاجهاد والتعب .

ثم أين ذلك الاجهاد الذى يلمحه ابن جنى فى التكبر والكبرياء ؟ ـ فاذا
صارت الكلمة (بكر) وجدنا منها البكر بمعنى الوديعة النعمة ووجدنا منها
التبكير الذى لا يشق الا على الكســالى الوخمين ، والذى نعرف أنه كان من
أظهر عادات العرب عامة والمسلمين خاصة ـ يستيقظون مبكرين ليؤدوا فريضة
الفجر فى بلاد تظهر فيها الشمس مبكرة فتدفع فيها حرارة الجو الناس من فراشهم
ليستقبلوا نسيم الصباح وينعموا باعتدال الطقس » .

والواقع أن الطريقة التى نقض الدكتور أنيس بها ما يراه ابن جنى هنا

---

(٢٥) السابق مباشرة ص ٤٩ ـ وص ٦٦ من الطبعة الخامسة ـ ١٩٧٥ ـ
(٢٦) الخصائص السابق ص ١٣٣ .
(٢٧) من أسرار اللغة السابق ط٢ ص ١٥٠ ، وط٥ ص ٦٧ .

هى عينها الطريقة التى يثبت بها ابن جنى وغيره من علماء العربية القــدماء مايذهبون اليه ٠٠ وهذا ان كان يحسب له من جانب فهو يحسب عليه من جانب آخر ، دليل ذلك أن لغويين آخرين قدماء غير ابن جنى يتبعون هذا المنهج فى اثبات هذا الرأى ٠٠ وقد أتى الدكتور أنيس نفسه بأعمال لغويين قــدماء آخرين يطبقون ما يراه ابن جنى ويرون رأيه ٠ وهاك ما جاء بالنص فى كتاب الدكتور ابراهيم أنيس (٢٨) : « ومن أمثلة الاشتقاق الكبير ما نراه فى بعض كتب القدماء من أن النون والجيم والدال ـ مهما قلبتها عبرت عن القــوة ـ ودليلهم على هذا أن النجدة الاعانة وفيها قوة ـ وأن الشجاع يقال له نجـد وأن النجد ما أشرف من الارض وارتفع ـ وأن النجدة القتال ـ وأن النجدة الفزع ـ وأن الجند حماة الوطن ـ وأن الجدن حسن الصوت ففيه قوة ـ وأن أجدن بمعنى استغنى بعد فقر وأن الدناج احكام الأمر ـ وأنه يقال تراب دانج أى تيثره الرياح فاذا أثارته غبرها وفى ذلك قــوة !! وأن الدجن المطر الكثير والدجنـة الظلمة ترهب ففيها قوة » (٢٩) ٠

ثم يعلق على ذلك بأن فيه قدرا كبيرا من التكلف والتعسف ويأتى بمادة أخرى لم يعمد اليها عمدا فى القاموس المحيط ليثبت منها خلاف ما مضى ٠

يقول : خذ مثلا المادة سمح التى لم نعمد اليها عمدا أو قصدنا اليهــا قصدا وانما كانت أول ما صادفنا حين فتحنا الجزء الأول من القاموس المحيط أليس منها السماحة التى هى لين ودعة واشراق ـ ولكن منها أيضا المسح وهو ازالة ومحو ـ وفيها حمس بمعنى اشتد وصلب فى القتال ـ ومنها السحم الذى هو السواد ولا اشراق فى السواد ثم منها حسم بمعنى قطع ـ والحسوم الشؤم الليالى الحسوم : التى تحسم الخير عن أهلها ! » (٣٠) ٠

والواقع أن هذا لا يضر رأى ابن جنى فقد فسر ذلك ابن جنى فى مواضع وأماكن أخرى على نحو ما سيأتى ذلك مفصلا ٠

---

(٢٨) السابق مباشرة ٠

(٢٩) من إسرار اللغة السابق ط٥ ص ٦٧/٦٨ ٠

(٣٠) السابق ص ٦٨ ٠

فاحكام الدكتور ابراهيم أنيس هنا أن هذه الأعمال تتسم بالتحكم أو بالمشقة حيث يقول « ألست ترى قدرا كبيرا من التكلف والتعسف » (٣٢) ٠

ثم يأتى حكمه النهائى فى نهاية المبحث بمثله قوله الآتى :

« فاذا كان ابن جنى قد استطاع فى مشقة وعنت أن يسوق لنا للبرهنة على ما يزعم بضع مواد من كل مواد اللغة التى يقال انها فى معجم صحاح اللغة تصل الى أربعين ألفا ، وفى معجم لسان العرب تكادتصل الى ثمانين ألفا ، فليس يكفى مثل هذا القدر الضئيل المتكلف لاثبات مايسمى بالاشتقاق الكبير (٣٣) ٠

ثم يورد مثالا لآخر لنوع آخر من أعمال ابن جنى ودراساته فى كتابه الخصائص أيضا وهو من « باب فى تصاقب الالفاظ لتصاقب المعانى ٠

ويأتى فى النهاية بتعليقه الذى يمثل رأيه فى هذا الباب حيث يرى أن عمل ابن جنى فى هذا الباب يتصل بتطور الاصوات وأن مجاله مباحث القلب والابدال ٠

ويفهم من هذا أن أعمال ابن جنى يجب أن تسلط عليها مناهج دراسة لغوية محدثة مختلفة :

ونأتى بنص ما جاء عنده حيث يقول :

« ويمثل له عادة بكلمات مثل : أز ــ وهز

والجثل ــ والجفل ــ ونحو هذا ٠٠ » (٣٤) ٠

ثم يأتى فى النهاية قوله الآتى ٠٠

« فأجدر به ان يعد من الكلمات التى تطورت اصواتها والتى تبحث عادة فى فصل القلب والابدال » ٠

أى أن أعمال ابن جنى تخضع لوجهات نظر الباحثين فلا تفرض على الباحثين رأيا ولا تلزمهم بمنهج معين ٠

---

(٣٢) السابق ص ٦٨ ٠
(٣٣) السابق ط٥ ص ٦٨ ٠
(٣٤) السابق ط ٥ ص ٦٨ ٠

ونحن نرى أن ما جاء فى كتاب الخصائص لابن جنى يجب ان يدرس كل مبحث منها على حدة وأن تسلط عليه أضواء الدراسة اللغوية الحديثة وذلك لاسباب كثيرة تتضح فيما بعد :

ونبدأ أولا بعرض باب الاشتقاق الاكبر (٣٥) ٠

وعندما نضع أمام البحث باب « الاشتقاق الاكبر » (٣٦) الذى علق عليه الدكتور ابراهيم أنيس بهذا الرأى ، وأصدر ضده حكمه هذا ٠

تتضح أمامنا الحقائق الآتية : ـ يبدأ ابن جنى هذا الباب بقولـــه : ـ « هذا موضع لم يسمه أحـــد من أصحابنا غير أن أبا على رحمه الله ـ كان يستعين به ويخلد اليه مع اعواز الاشتقاق الاصغر ، ولكنه مع هـــذا لم يسمه ، وانما كان يعتاده عند الضرورة : ويستروح اليه ، ويتعلل به٠ وانما هذا التلقيب لنا نحن ، وستراه فتعـلم أنه لقب مستحسن ، وذلك أن الاشتقاق عندى على ضربين : كبير ، وصغير » ٠

وأول ما نلاحظه أن ابن جنى ليس له فى هذا الباب الى هنا غـــير اختيار الاسم « عنوان الباب » ـ أما الفكرة التى دار حولها موضـــوع الباب فهى متداولة بين معاصرى ابن جنى ولكن أحدا من هؤلاء سـواء من السابقين أو من معاصريه أو أصحابه لم يطلق التسمية ٠٠

كما أن أبا على أيضا كان يستعين بهذا الموضوع ويخلد له ويستروح اليه ويتعلل به : أى يتخذه علة ودليلا ويصل بسببه الى معرفة أصـــول حروف العلة عندما تعمى على الباحثين ويختلفون من حولها (٣٧) ٠

فالمسألة ليست مسالة الرمزية الصوتية ـ انما المسألة على نحـــو

---

(٣٥) الخصائص ص ١٣٣ ٠

(٣٦) الخصائص ج ٢ ص ١٣٣ وما بعدها ٠٠٠٠٠٠

(٣٧) على نحـــو ما سيتضح ذلك من المثال الذى ضربه فى نهاية الباب ـ ومعلوم أن أبا على الفارسى كان من البارعين فى القياس ـ وكان يشق عليه أن يخطىء فى مســـألة واحـــدة مما بابه القيـاس ، وعنـــده أن هذه أشق عليه من أن يخطىء فى خمسين مسألة ممـــا بابه الرواية ـ أنظـــر كتب التراجم لابى على ـ واقر : أبو على الفارسى د٠ عبد الفتاح شلبى ٠

مايراها العلماء الذين عاشوا جمع المادة اللغوية والتقعيد لهـا محاولة منهم الوصول الى معرفة أصول مادة لغوية عن طريق صورها المختلفة وذلك لانهم يرون ان هذا الباب يتصل بمعرفة المشتقات من حيث الدلالة ومن حيث الصيغ عن طريق التقلبات ... غير أن المعروف المتداول بين العلماء وفى ذلك الحين ، والذى صنف فيه المؤلفون مصنفاتهم انما هو الاشتقاق .. الذى يدور حول ما يتصل بالمادة من صور لغوية دون تقلبات فيها ...ولكن عندما يعمى الامر عليهم وهم بصدد قاعدة... فأنهم يلجئون الى تقلبات المادة . والمثال الذى ضربه ابن جنى واضح فى ذلك فهم يصنعون هذا الصنيع دون أن يسموه باسم ..

فعمل ابن جنى أنه سمى الاشتقاق المعروف للناس فى ذلك الحين والموجود بايديهم وفى مؤلفاتهم « سماه الاشتقاق الاصغر »وسمى هذا الاخير بالاشتقاق الاكبر – وأخذ يوضح ملامحه ويحدد أبعاده ويبين وظيفته سواء على مستوى الصيغ .. أو مستوى الدلالة .. وأطلق عليه اسم « الاشتقاق الاكبر » ..

فهو يقول مثلا عن الاشتقاق الاصغر : –

« فالصغير ما فى أيدى الناس وكتبهم كان تاخذ أصلا من الاصول فتتقرآه فتجمع بين معانيه ، وان اختلفت صيغه ومبانيه – وذلك كتركيب (س ل م) فانك تاخذ منه معنى السلامة فى تصرفه ، نحو : سلم ويسلم وسالم و وسلمان ، وسلمى ، والسلامة ،.والسليم : اللديغ ، اطلق عليه تفاؤلا بالسلامة ، وعلى ذلك بقية الباب اذا تأولته ، وبقية الاصول غيره كتركيب (ض ر ب) و (ز ب ل) على ما فى أيدى الناس من ذلك .

فهذا هو الاشتقاق الاصغر . وقد قدم أبو بكر (٣٩) رحمه الله

---

(٣٩) يريد ابن السراج – ولابى بكر ابن السراج : كتاب الاشتقاق – وقيل لم يتمه . بغية الوعاة ص ٤٤ .

رسالته فيه بما أغنى عن اعادته - لانّ أبا بكر لم يأل فيه نصحا واحكاما وصنعة وتأنيسا ».

معنى قوله أنك اذا أخذت مادة من المواد ، وتتبعت اشتقاقاتها التى يستعملها الناس والتى هى فى أيديهم لوجدت أن اشتقاقات المادة كلها تدور حول معانى - أصل المادة - فمادة - سلم - كلها تدور حول معنى السلامة ... سلم - يسلم - سالم - سلمان - سلمى - السلامة ... الى آخره .. حتى ما فى الاشتقاقات مما يمكن أن يطلق عليه اسم التضاد مثل كلمة (السليم) التى تطلق على اللديغ فانها تطلق عليه تفاؤلا بسلامته ... ، ... وهكذا بقية الباب ... ، ... وهكذا بقية الاصول الأخرى غير هذا الاصل أيضا . . . مثل : ضرب - وجلس . . . الى آخره ...

وهذا هو الاشتقاق الاصغر نجد كل المشتقات فيه تدور حول معنى مادة الاصل ... بل ان ما يشذ منها يدور حول معنى مادة الاصل ايضا ... ولكن اذا تاملته وتاولته ...

كما أنك تستطيع أن تستدل من هذه المشتقات على أصول أحرف هذه المادة عند الحاجة الى ذلك ...

ثم هو بعد ذلك يبين أن أبا بكر بن السراج قدم رسالته فى هذا فهو معروف متداول مؤلف فيه وأن كتاب أبى بكر بن السراج لم يال فيه نصحا واحكاما وصنعة وتأنيسا ... ، ... ومن رجع اليه وجد هذا واضحا فيه جليا

أما الشىء الجديد الذى يريد أن يوضح أبعاده فهو ما أطلق عليه اسم الاشتقاق الاكبر . وحال الاشتقاق الاكبر هذا هو حال الاشتقاق الاصغر ، غير أن الاشتقاق الاصغر معروف وهو فى أيدى العلماء وألفوا فيه كتبهم وهى متداولة بينهم وأطلقوا عليه اسم الاشتقاق - وأن مثله مثل الاشتقاق الاكبر الذى يتعاطونه ويلجؤن اليه عند حاجتهم له وهو واضح فيما صنعه الخليل فى كتابه العين وابن دريد في كتابه الجمهرة ،

وابن فارس يزاوله فى كتابه المقاييس (٤٠) ٠٠٠٠ فماذا بقى ؟٠ انه فى أيديهم ويلجئون اليه عند حاجتهم وهو والاشتقاق الاصغر يؤديان دورا واحدا على مستوى الدلالة ويقومان بوظيفة واحدة على مستوى التصريف ومعرفة حروف الاصل غير أنهم لم يطلقوا عليه اسما فكل ما صنعه ابن جنى هو أنه أطلق عليه اسم الاستقاق الاكبر تمييزا له عن الاشتقاق الاصغر وأخذ يوضح أبعاده وملامحه بمنهج استقرائى وصفى وان بدت عليه مسحة الميل الى التأويل والصنعة ٠٠٠،٠٠٠

فهو يقول :

« وأما الاشتقاق الاكبر فهو أن تأخذ أصلا من الاصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا ، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وان تباعد شىء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل اليه كما يفعل الاشتقاقيون فى التركيب الواحد » (٤١) ٠

ويأتى بامثلة متعددة توضح رأيه ٠٠٠ وتؤكده

فيقول : « فمن ذلك مثلا تقليب (ج ب ر) فهى أين وقعت للقوة والشدة » (٤٢) ٠

ثم يعقب ذلك المثال بمثال آخر ٠٠ ـ

حيث يقول : « ومن ذلك تراكيب (ق س و) (ق و س) (و ق س) (و س ق) (س و ق) وأهمل (س ق و) » ٠ ويعلق على هذه التراكيب مجتمعة ماعدا المهمل منها بقوله : ـ

---

(٤٠) ابن فارس من معاصرى ابن جنى وهذا دليل على شيوع هذا التفكير بين أكثر من عالم ٠

ابن فارس توفى فى صفر سنة ٣٩٥ هـ بالرى ودفن بها مقابل مشهد قاضى القضاة أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى ٠

وابن جنى متوفى فى يوم الخميس السابع والعشرين من صفر سنة ٣٩٢ هـ ٠

(٤١) الخصائص (السابق) ص ١٣٤

(٤٢) هذا المثل مر ، وضربه الدكتور ابراهيم أنيس وعلق عليه على نحو ما مر لذا لم نذكره أكتفاء بما سبق ٠

« وجميع ذلك الى القوة والاجتماع :

منها : القسوة ـ وهى شدة القلب واجتماعه ٠

ألا ترى قوله :

يا ليت شـــعرى والمنى لا تنفع　　　هل اغدون يوما وأمرى مجمع (٤٣)

اى قوى مجتمع ٠

ومنها : (القوس) لشدتها ، واجتماع طرفيها ٠

ومنها : (الوقس) لابتداء الجرب ، وذلك لانه يجمع الجلد ويقحله٠

ومنها (الوسق) الحمل ٠ وذلك لاجتماعه وشدته ٠

ومنها : (استوسق الامر) أى اجتمع ٠ « والليل وما وسق » (٤٤)

أى جمـــع ٠

ومنها : (السوق) وذلك لانه استحثاث وجمع للمسوق بعضــــه الى بعض ٠

وعليه قال :

:٠ مستوسقات لويجدن سائقا :٠ (٤٥) ٠

فهذا كقولك : مجتمعات لويجدن جامعا ٠

فان شذ شىء من شعب هذه الاصول عن عقده ظاهرا رد بالتأويل اليه وعطف بالملاطفة عليه ٠ بل اذا كان هذا قد يعرض فى الاصل الواحد حتى يحتاج فيه الى ما قلناه كان فيما انتشرت أصوله بالتقديم والتأخير أولى باحتماله واجدر بالتأول٠» (٤٦) ٠

فهذه هى ألفاظ اللغة ، وتلك هى استعمالاتها التى يتداولها الناس ، فابن جنى يأتى باللفظ وباستعماله ٠٠ فماذا ازاد عن ذلك :

---

(٤٣) جاء : فى النولدر ١٣٣ ـ وبعده :

وتحت رحلى زفيان ميلع　　　حرف اذا ما زجرت تبوع

(٤٤) سورة الانشقاق ـ آية ١٧ ٠

(٤٥) جاء : قبله : ان لنا لابلا حقائقا

(٤٦) الخصائص (السابق) ص ١٣٧ ٠

واضح من الأمثلة التى ضربها ابن جنى موضحا فيها فكرة الاشتقاق الاكبر وأبعاده أنه ليس فيها ما يشير الى قضية الرمزية الصوتية أو الى علاقة طبيعية ضرورية بين الالفاظ ومعانيها .. ، .. وانما هى ألفاظ واستعمالات لمادة لغوية تدور حول معنى عام يجمعها من يبحث يجده موجودا .. ، .. وقد يجد شذوذا فى هذه الظاهرة وتلك طبيعة الظواهر اللغوية ..

والذى حدث أنه تتبع المادة اللغوية فى استعمالاتها المختلفة سواء من حيث الصيغ أو من حيث الدلالات التى تشير اليها وكل ما أتى به يبين أن المادة فى تقلباتها تدور حول معنى واحد عام يجمعها ..

وهو نفسه يضيف : أنه قد يشذ شىء من شعب هذه الأصول عن المعنى العام غير أنه يقول : انه يمكن رده الى المعنى العام ـ ولكن بشىء من التاول ـ ثم هو يضيف أنه من المعلوم أن مثل هذا الشذوذ يعرض فى الأصل الواحد ـ أى فى الاشتقاق الأصغر ـ وأنه يمكن رده الى المعنى العام للمادة أيضا بشىء من التاول .

ثم هو يزيد قائلا : أن ما انتشرت أصوله بالتقديم والتأخير أولى بان يحدث فيه مثل هذا الشذوذ وأجدر بأن يتاول له مثل هذا التاول . أى أن تقلبات المادة المختلفة على أوجهها المتعددة توجب مثل هذا الشذوذ وتستدعيه .... فابن جنى يقوم بدراسة ظاهرة يجمع مادتها واستعمالاتها المتعددة فى حالاتها المختلفة ويسجل ما يراه خاصا بها على أى نحو جاءت عليه سواء اطردت الظاهرة أم لم تطرد .. وفوق هذا وذاك كله فانه يقول : ـ

« واعلم أنا لاندعى أن هذا مستمر فى جميع اللغة كما لاندعى للاشتقاق الأصغر أنه فى جميع اللغة ـ بل اذا كان ذلك هو فى القسمة سدس هذا أو خمسه متعذرا صعبا كان تطبيق هذا واحاطته أصعب مذهبا وأعز ملتمسا .

بل لو صح من هذا النحو وهذه الصنعة المادة الواحدة تتقلب على ضروب التقلب كان غريبا معجبا ـ نكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر ويجاريه الى المدى الأبعد .

وقد رسمت لك منه رسما فاحتذه وتقيله تخط به وتكثر اعظام هذه اللغة الكريمة من أجله • نعم • وتسترفده فى بعض الحاجة اليه فيعينك ويأخذ بيدك •

ألا ترى أن أبا على رحمة الله كان يقوى كون لام (أثفية) فيمن جعلها (أفعولة) واوا بقولهم : جاء (يثفه) ويقول : هذا من الواو لامحالة (كيعده) — فيرجح بذلك الواو على الياء التى ساوقتها فى (يثفوه) و(يثفيه) •

أفلا تراه كيف استعان على لام (ثفا) بفاء (وثف) •

وانما ذلك لأنها مادة واحدة — شكلت على صور مختلفة — فكأنها لفظة واحدة • (٤٨) •

أنها رؤية عالم ازاء ظاهرة لغوية •• ، ••

وهى ليست محاولة منه يريد أن يثبت من خلالها فكرة الرمزية الصوتية•

وهل فى كلام ابن جنى هذا سواء من قريب أو بعيد مايدل على أن عالم الألفاظ يستدعى عالم المعانى •• أو أن الكلمات تظهر باطن المادة • • أو أن عالم الأسماء يقود الى عالم الأشياء أو يسوق الى عالم الماهيات ••،••

أليس هو نفسه الذى يشير الى الشذوذ والتناقض الموجود فى اللغة •

وماذا يصنع لغوىآخر ازاء ظاهرة لغوية يلمحها •

انه يتتبع استعمالاتها المختلفة ويرصد ما يجده فى كل الأوضاع خاصا بها ••،••

ويبحث مدى اطرادها ومدى ما يعتريها من شذوذ ويذكر نسبة الشذوذ الى الاطراد ما أمكن ويبين الهدف من بحث هذه الظاهرة والنفع الذى يمكن أن يعود على البحث اللغوى من خلالها ••

وهذا عين ما صنعه ابن جنى :

ذكر الاستعمالات بعد أن تتبعها فى كل اوضاعها •

---

(٤٧) الخصائص (السابق) ص ١٣٩ •

ونكر الشذوذ وبين أن نسبته تتراوح بين خمس ، وسدس فى الظاهرة فى كل مادة من موادها التى توجد فيها وقد لاتوجد فى مواد أخرى ، وبين النفع الذى يعود على اللغوى من خلال رصد هذه الظاهرة •

وبين أن هذا النفع يخدم جانبين أحدهما دلالى ، والآخر خاص بأصول البنية عندما تعمى على الباحثين •

وماذا صنع فيرث Firth (٤٨) رأس المدرسة اللغوية الانجليزية فقد لمح ظاهرة لغوية سماها « الوظيفة الفوناستثيتكية للاصوات Phonaesthetic function » – ويعنى بها ما يلمح من وجود علاقات تظهر بين بعض عينات من الكلمات ذات البداية بأحرف معينة من بين تلك التى تبدأ بحرفين متجانسين أو أكثر وبين بعض الملامح العامة المميزة لبعض السياقات اللغوية •

كلمات تبدأ بحرف ST : نحو

Stack	كدس	Stick	سنديعود	Stiff	شديد ، صلب	Stand	ركيزة
Stub	أرومة شجرة	Still	ســاكن	Stuck	عمود ـ ساق	Stake	خــازوق
Stay	دعــامة	Stem	وصمة ـ لطمة	Stump	تحدى وأعاق	Stud	اسطبل خيل
Stand	ركيزة	Stain		Strain		Stare	حملق
				Stock	عمود ـ ساق	Stem	منع وعارض

أو كلمات تبدأ بحرف Sn نحو :

Snub   Snib   Snag   Snack

أو كلمات تبدأ بحرف Sl. : نحو :

Slight أستخفاف Slide منحدر ، مزلق Slice شريحـــة Slim رقيق نحيف

Slender نحيـــل Sleet مطر ببرد Slit شق طولى Slink الذى يخيف نفسه

وشىء قريب من هذا قال به اللغوى المحدث ستيفن أولمان Stephen Ullmann عندما أبدى ملاحظة عن دور تقوم به بعض الكلمات المولدة فى

---

(٤٨) أنظر J.R. Firth, Papers in linguistics P44.
وأنظر : دور الكلمة فى اللغة • د• كمال بشر ص ٨٦/٨٧ •
وأنظر مناهج البحث فى اللغة • د• تمام حسان ص ٢١٧ •

التعبيرات الأدبية والفنية والانفعالية ومن أمثلة هذه التوليدات تلك الكلمات التى تبدأ بالأصوات : SL ، و ـ SN فى اللغة الانجليزية كما فى نحو :

Snivel	Snip	Snigger	Sniff
Slope	Slippery	Slime	Slick - Slide

ويوضح الدكتور كمال بشر ما يريده بهذه الأمثلة يقول : انه يريد أن يوضح أن انكاره وجود ارتباط بين بعض الأصوات وبعض المدالوت أو الحوادث لايعنى عدم وجود هذا الارتباط نهائيا انه ينكر أن يكون الارتباط ارتباطا كاملا مطردا ، بحيث نحصل منه على قواعد عامة يمكن الاعتماد عليها ولكن هذا لايمنع أن تكون هناك أمثلة يتحقق فيها هذا الارتباط بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور ـ كما فى الأمثلة التى ذكرها ففى كل كلمة من هذه الأمثلة بمجموعتيها : ـ

نوع من الارتباط بين أصواتها وبين الحدث المعبر عنه هذا من جهة ومن جهة آخرى نلاحظ أن معانى كل مجموعة منها معان متشابهة ، بل متماثلة أحيانا ـ ويرجع هذا كما يرى أولمان الى أن أصحاب هذه اللغة قد نسجوا فى توليد الكلمات على منوال واحد من حيث بدء هذه الكلمات بأصوات معينة هى : ـ SN ـ و ـ SL ليدلوا بها على معان أو أحداث لها صفات متقاربة أو متشابهة تأكيدا للتقابل أو الارتباط بين الأصوات والمعانى أو المدلولات ،

ومعانى المجموعة الأولى من اليسار الى اليمين :

١ ـ يصدر صوتا يشبه صوت الاستنشاق للتهكم والاحتقار ،

٢ ـ يضحك مكتوما تهكما وسخرية ،

٣ ـ يقص الثوب بالمقص بسرعة وفجاة ،

٤ ـ يبكى بصوت يشبه صوت الأطفال فى البكاء أو ما يعبر عنه بكلمة

(يشهنف) وقد يكون معناها أيضا سحب المخاط الى الداخل عند البكاء أو الفحمة فى العبارة الدارجة ،

أما معانى المجموعة الثانية بترتيبها من اليسار الى اليمين أيضا : ـ

١ ـ زلق ومنها زلق اللسان بمعنى Smouth tongued

٢ ـ زلق ـ بمعنى طريق زلق أو مزحلق ·

٣ ـ طين لزج ·

٤ ـ زلق أو مزحلق ·

٥ ـ منحدر ـ أو ـ مدحرج ···،·· (٤٩)

ونحن لانقول ان فيرث أو أولمان ممن يؤمنون ايمانا قويا بالرمزية الصوتية لمجرد انهم لحوا بعض الظواهر اللغوية الخاصة بلغتهم وقاموا بالتنبيه عليها أو عمل دراسات من حولها · علما بأن ماقالاه هنا له صلة ما بتلك القضية ولو فى جانب من جوانبها وهو جانب الأوتوماتوبيا ، على حين أن ما قاله ابن جنى يعرض موضوعا آخر لا صلة له بتلك القضية ـ وهذا لاينفى أن لابن جنى أعمالا تتصل بجانب الأتوموتوبيا أو تقليد أصوات الطبيعة ·

ومعناه أيضا أن مثل هذه مناهج تتبع فى البحث اللغوى وأنها ذات نفع وأن التفات ابن جنى الى مثلها دليل على اصالته فى الدراسة اللغوية وتمكنه من اللغة العربية ··

ومعناه كذلك أن ابن جنى سبق المحدثين فى بيان أن الدراسة اللغوية تقوم على الاحصاء والدراسة الدقيقة ·

وكل هذا مفهوم من أعمال ابن جنى فى هذا الباب الذى عرضناه ·

انه قام بدراسة احصائية تتبع من خلالها ظاهرة لغوية جديره بأن تلفت النظر وتتبع تلك الظاهرة فى مواطنها المختلفة وحالاتها المتعددة ثم أصدر حكمه امينا دقيقا ينبو عالم أمين دقيق وما قام به بالنسبة له عمل يسير ـ وان ماعرضه ابن جنى يمثل ظاهرة لغوية شانها شأن بقية ظواهر اللغة يعتريها شذوذ ولا تمثل اطرادا تاما ·

---

(٤٩) اقرأ دور الكلمة فى اللغة د· كمال بشر ترجمة وتقديم وتعليق ط ١ ١٩٦٢ صفحات ٨٥/٨٦/٨٧ ··

وكذلك الشأن فى الاشتقاق الأصغر لا يمثل اطرادا مطلقا ••• وذلك لأن الشذوذ فى الظواهر اللغوية مظهر طبيعى ••• وأمر متوقع •

فان شذ عن هذه الظاهرة ما يساوى الخمس أو السدس فهى أيضا ظاهرة جديرة بان تلفت النظر فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر ويجاريه الى المدى الأ بعد •••

٢ ـ واذا كان ابن جنى يرى الشذوذ فى الظواهر اللغوية أمرا طبيعيا فمعنى ذلك من وجهة نظر بلومفيلد (BloomField) ـ أنه ليس من أصحاب الرابطة الضرورية المنطقية وانما هواذن من أصحاب التشديد (The Anomalists) وقد وضع بلومفيلد المشذذين فى مقابلة أصحاب الرابطة العقلية المنطقية ـ فكيف اذن يعد من أصحاب الرمزية الصوتية • ؟ ! •

أضف الى ما سبق أن ابن جنى يعرض لنا منهجا ، ولا يفرض علينا رأيا•

فهو يقول : وقد رسمت لك منه رسما فاحتذه وتقيله تخط به وتكثر من اعظام هذه اللغة الكريمة من أجله ••

ولا يغيب عن بالنا أن تلك كانت فترة التقعيد للغة واكتشاف أسرارها ومحاولة الوصول الى خصائصها •• وقواعدها •

فابن جنى يعرض كشفا ويقدم منهجا ويبين امكانية الاستفادة منه وأبعاد منفعته ••• فهو يقول : ان ما قدمه يرفدك عند الحاجة ـ وأنت تستطيع أن تسترفده فى بعض الحاجة اليه فيعينك ويأخذ بيدك •••

ويضرب على ذلك المثل باستعانة أبى على به ـ وكيف أنه كان يأخذ بيده ويجعله يصدر أحكاما يقينية ينصل بها بين المتخاصمين والمختلفين فيأتى بالقول الفصل ـ والخبر اليقين •

والمثل على ذلك لام (أثفية) ـ من جعلها على وزن أفعولة جعل لامها واوا • لقولهم : جاء يثفه ـ فيرجح بذلك الواو على الياء التى ساوقتها فى يثفوه ويثفيه •

وأما من جعل لامها ياء فقد اجتج بـ :(يثفيه) ـ ولأن وجود صورة (يثفوه) مساوقة يثفيه جعل الأمر مشكلا ٠٠

فقد قوى أبو على كون اللام واوا ـ وقال هى من الواو لا محاله (كيعده) لقولهم جاء (يثفه) فاستعان على لام ثفا بفاء وثف ٠ أى بالتقلبات ـ أى عن طريق الاشتقاق الأكبر ٠

ويضيف ابن جنى : وانما ذلك لأنها مادة واحدة شكلت على صور مختلفة فكانها لفظة واحـــدة ٠

الدكتور صبحى الصالح وموقفه من القضيـة : –

ظاهر موقف الدكتور ابراهيم أنيس أنه ضد رأى ابن جنى وغيره من علماء العربية القدماء الذين يقولون بمبدأ الرمزية الصوتية على نحو ما رأى هو وإذا كان ابن جنى يستمد رأية من أقوال السابقين ولاسيما الخليل وسيبويه والجماعة فمعنى ذلك أن فى الأمر خروج عما جاء فى التراث ومعناه أن التراث فى حاجة الى من يقف فى صفه ٠٠،٠٠ وقد اتخذ الدكتور صبحى الصالح هذا الموقف المدافع عن التراث فاذا كان الدكتور أنيس يرفض الرمزية الصوتية فالدكتور صبحى الصالح معها ٠٠ والرمزية الصوتية صائبة وعلى حق ٠٠ ولا يهم أن نتأكد من أن ابن جنى قال بها أو لم يقل ٠

وقد أعانه على ذلك أن جلال الدين السيوطى وهو عالم متأخر ٠٠،٠٠ وقد عرض القضية على نحو ما مر تحت عنوان : المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعانى ٠٠٠ ، ٠٠ وعرض من خلالها حشدا من أقوال العلماء تؤيد وجهة نظره ولاسيما وأنه صهرها فى بوتقة توقينية اللغة وأنها من عند الله سبحانه وتعالى ٠٠ ، ٠٠ فبدأ عرض القضية أمام القارئ وكان السابقين قد أطبقوا ٠ على ثبوت المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها أى على مبدأ الرمزية الصوتية

لذا فقد ثبت عند الدكتور صبحى الصالح أن ابن جنى علىحق يؤيد ذلك ما جاء عند جلال الدين السيوطى من أقوال هذه الجمهرة من العلماء ٠ ٠

ومن هنا يطالعك قوله الآتى : –

« فقد أكد هذا العالم الجليل المتاخر (يقصد السيوطى) اذن بعد استيعابه مؤلفات اللغويين السابقين التى فقد منها الكثير أن أهل اللغة بوجه عام العربية بوجه خاص قد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعانى ٠ وبذلك تلاقى مع ابن جنى على صعيد واحد فكان لابد لنا من الاقتناع بهذه الظاهرة اللغوية التى تعد فتحا مبينا فى فقه اللغات عامة»٠(١)

ويتساءل أى باحث هل التقاء جلال الدين السيوطى وهو باحث متاخر مع ابن جنى وهو باحث متقدم تكون نتيجته أنه لابد لنا من الاقتناع بهذه الظاهرة الالغوية ؟ ما المقدمات التى توصل الى أنه لا بد لنا من الاقتناع بهذه الظاهرة اللغوية ؟ ٠

---

(١) الدكتور صبحى الصالح : دراسات فى فقه اللغة ٠

وعلى أى أساس يبنى هذا الاقتناع ؟.. وهل من الوجوب كثرة تؤيد رأيا تلزم باحثا علميا بالاقتناع بها ؟ وما العمل اذا أمكن تفسير أعمال هؤلاء العلماء تفسيرا مخالفا لهذا الفهم ؟ علما بان ما قالته الكثرة لا يؤيد هذه الظاهرة .

هل مجرد اتفاق متأخر مع متقدم تكون نتيجته لزوم اقتناع الآخرين به ؟
ما العمل اذا ثبت أن جلال الدين السيوطى فهم ابن جنى فهما خاطئا ؟
ان جلال الدين السيوطى يبنى رأيه انطلاقا من ايمانه بتوقيفية اللغة ؟!!
وابن جنى رأيه فى نشأة اللغة ليس مقصورا على توقيفية اللغة (٥٠) ..،..
فما طريق الاقتناع اذن . ؟ وما العمل اذا كان جلال الدين فهم رأى هؤلاء على النحو الذى أراد هو ؟ ! ومتى كان رأى الكثرة ملزما الباحث بالاقتناع به لاسيما فى مجال الظواهر اللغوية الخاضعة للبحث والدرس .

وهل العدد الذى ذكره السيوطى يجعل الباحث يقول : ان أهل اللغة بوجه عام والعربية بوجه خاص قد كادوا يطبقون .. ! ؟ فى ضوء الدراسة الاحصائية الدقيقة نتساءل : كم عدد العلماء الذين ذكرهم السيوطى عبر العصور وقالوا بهذ المناسبة ؟ وما عدد الكلمات التى ذكروا أن هناك مناسبة طبيعية بين الفاظها ومعانيها ؟ ! وما العمل اذا أمكن توجيهها وجهة أخرى وكم تمثل نسبتها المئوية بالنسبة لبقية مفردات اللغة ؟ على فرض أنها تمثل الوجهة التى يرى

ما موقف الباحث اذا كانت نسبتها أقل من واحد فى الألف بكثير ؟

وفوق ذلك ماذا يصنع الباحث اذا وجد أن المفردات التى جاءت عندهم كامثلة تختلف دلالة بعضها عندبعضهم وهذه شواهد ثابتة من الاستعمال اللغوى عند كل واحد منهم . وما موقفنا من بقية المفردات اللغوية التى لم يثبت أن بين الفاظها ومعانيها مناسبة وأنها تشكل خضم اللغة الأعم الأعظم وما موقفنا من المشترك اللغوى ومن الترادف فى اللغة وهى ظواهر لغوية غالبة فى العربية ؟ ..

وأخيرا لماذا يغيب عن بالنا حجة الجمهور وحجة كل من لم يروا بوجوب

---

(٥٠) سيأتى ذلك مفصلا أنظر ص ١١١ وما بعدها .

المناسبة منذ أفلاطون الى اليوم وهو أنه اذا ثبت ذلك لوجب أن يهتدى كل انسان لكل لغة اذا كان بين الالفاظ ومعانيها مناسبة وهذا ما لم يمكن ولايمكن أن يكون • ونتناول هذه النقاط بالبحث والتحليل ••،•• ونبـدأ بتوقيفيـــة اللغـــة ••،••

١ ـ كون السيوطى يعرض القضية من خلال توقيفية اللغة فهــاك نص قوله :

« وأنكر الجمهور هذه المقالة وقال : لو ثبت ما قاله لاهتدى كل انسان الى كل لغة ولـما صح وضع اللفظ للضدين ، كالقــرء للحيض والطهـــر ، والجون للابيض والأسود ـ وأجابوا عن دليله بأن التخصيص بارادة الواضع المختار خصوصا اذا قلنا : الواضع هو الله تعالى ، فان ذلك كتخصيصه وجود العالم بوقت دون وقت » (٥١) • فهاك نص قوله : « الواضع هـو الله تعالى » أما قوله : :

الجمهور أنكر مقالة عباد الصيمرى ومقالة بعض من يرى رأيه خاصة عندما سئل عن مسمى اذغاغ ـ فقال أجـد فيه يبسا شديدا وأراه الحجر بقولهم : والا لاهتدى كل انسان الى كل لغة •• وهذا يبطله الواقع •• كما يبطله ما فى اللغة من تضاد وظواهر أخرى مشابهة •

وأجابوا عن دليله بأن التخصيص بارادة الواضع المختار خصوصا اذا قلنا : الواضع هو الله تعالى •••،•••

والقضية عند عباد الصيمرى ومن شايعه أو عند غيره يعرضها السيوطى من خلال نظرية توقيفية اللغة يقـــول :

« لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد أن عبادا يراها ذاتية موجبة بخلافهم ، وهذا كما تقول المعتزلة بمراعاة الأصلح فى أفعال الله تعالى وجوبا ـ وأهل السنة لا يقولون بذلك مع قولهم انه تعالى يفعل الأصلح لكن فضلا منه ومنا لا وجوبا ولو شاء لم يفعله » (٥٢) •

---

(٥١) السيوطى : المزهر فى علوم اللغة ح ١ ص ٤٧ •
(٥٢) السيوطى السابق ص ٤٧/٤٨ •

فكل ماعرضه السيوطى خاص بهذه القضية جاء من خلال وجهة نظر القول بتوقيفية اللغة .

فعباد الصيمرى من المعتزلة ومن شايعه يرون أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع والا لكان تخصيص الاسم المعين ترجيحا من غير مرجح .. ، ..

وأنكر الجمهور هذا الرأى للاسباب المذكورة ..،.. واجاب الجمهو عن دليله بشأن عدم تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين بانه ترجيح من غير مرجح بان التخصيص بإرادة الواضع المختار خصوصا اذا قلنا ان الواضع هو لله تعالى ...،.. وأن ذلك كتخصيصه وجود العالم فى وقت دون وقت فالمعتزلة وأهل السنة معا يرون بان اللغة توقيفية والخلاف : أن المعتزلة يرون بوجود مناسبة طبيعية بين ألفاظ اللغة ومدلولاتها .

وأما أهل السنة فلا يقولون بذلك مع أن الله هو واضع اللغة ولكنه لم يوجد المناسبة مع أن المناسبة هى الأصلح لأن الله يفعل الأطح فضلا منه لاوجوبا عليه ولو شاء لم يفعله : وهاك هو النص وقد سبق أيضا « وهكذا كما تقول المعتزلة بمراعاة الأصلح فى افعال الله تعالى وجوبا ، وأهل السنة لايقولون بذك مع قلوهم أنه تعالى يفعل الأصلح لكن فضلا منه ومنا لا وجوبا ولو شاء لم يفعله » (٥٣) .

اما رأى ابن جنى فى نشأة اللغة فهو لم يقل بالتوقيفية فحسب ، وهاك ما قاله ابن جنى فى نشأة اللغة :

---

(٥٣) السيوطى السابق ص ٤٧ /٤٨ .

رأى ابن جنى واضح فى نشأة اللغة ٠
فهو يؤمن بنظرية التوقيف ـ كما يؤمن بنظرية المواضعة والاصلاح ٠
وهو مع هذا يرى ان نظرية المحاكاة لاصـــوات الطبيعة لها مكانها فى نشأة اللغة وتفسيره فى قبوله لهذه النظريات الثلاث متكامل ٠

فقد أوضح رأيه فى : (القول على أصل اللغة الهام هى أم اصطلاح(٥٤) فى تحليل علمى جلى انتهى فيه الى ان اللغة اصطلاح وتوقيف معا ٠

ويبين فى باب آخر تحت عنوان (فى هذه اللغة ـ أفى وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط (٥٥) بين فيه أن اللغة وقعت على دفعات وأن كـل دفعة أو طبقـة منها كانت مشتملة عـلى أنـواع الكلام من أســـماء وأفعـــال وحروف / ومما جاء على لسانه فى « باب فى هــــذه اللغة » قوله : « قـد تقدم فى أول الكتاب القول على اللغة : أتواضع هى أم الهام ؟

وحكينا وجوزنا فيها الامرين جميعا (٥٦) وكيف تصرفت الحال ، وعلى أى الأمرين كان ابتداؤها ، فانها لابد أنه يكون وقع فى أول الأمر بعضهـا ، ثم احتيج فيما بعد الى الزيارة عليه ، لحضور الداعى اليــه فزيد فيها شـيئا فشيئا ، الا أنه على قياس ما كان سبق منها فى حروفه وتأليفه واعرابه المبين عن معانيه لايخالف الثانى الأول والثالث الثانى ، كذلك متصلا متتابعا » (٥٧)

ثم يقـــول :
« اعلم أن أبا على ـ رحمه الله ـ كان يذهب الى أن هذه اللغة ـ أعنى ما سبق منها ثم لحق به ما بعده ـ انما وقع كل صدر منها فى زمان واحـد ـ

---

(٥٤) الخصائص الجزء الأول ص ٤٠ وما بعدها ٠
(٥٥) الخصائص ح ٢ ص ٢٨ ٠
(٥٦) رأيه فى هذه القضية واضح فهو ياخذ بالرايين ـ ويقـــول : « وان خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف بأحد الجهتين ويكفها عن صاحبتها قلنا بـــه ح ١ ص ٤٧ ٠
(٥٧) ح ٢ صـ ٢٨ ٠

وان كان تقدم شيء منها على صاحبه ، فليس بواجب أن يكون المتقدم على الفعل الاسم ، ولا أن يكون المتقدم على الحرف الفعل » (٥٨) ٠

وبعد أن يسهب فى توضيح هذه الفكرة مشيرا فيها الى ما ذهب اليه العلماء من أمثال الزجاج وأبى بكر محمد بن السرى السراج ٠٠٠ ينتهى فى نهاية الباب الى تلخيص فكرته بخصوصها على النحو الآتى : حيث يقول :

« فقد علمت بما قدمناه وهضبنا (٥٩) فيه قوة تداخل الأصول الثلاثة الاسم والفعل والحرف وتمازجها ، وتقدم بعضها على بعض تارة وتأخرها عنه أخرى ، فلهذا ذهب أبو على رحمه الله – الى أن هذه اللغة وقعت طبقة واحدة كالرقم تصنعه على المرقوم ، والميسم يباشر به صفحة الموسوم ، ولا يحكم لشيء منه بتقدم فى الزمان وان اختلفت بما فيه من الصنعة القوة والضعف فى الأحوال ، وقد كثر اشتقاق الأفعال من الاصوات الجارية مجرى الحروف ، نحو : هاميت ، وخاحيت ، وعاعيت وجاجأت ، وحاحات وساسات وشاشأت وهذا أكثر فى الزجر (٦٠) وقد كانت حضرتنى وقتا فيه نشطة فكتبت تفسير كثير من هذه الحروف فى كتاب ثابت فى الزجر ، فاطلبها فى جملة ما اثبته عن نفسى فى هذا وغيره » (٦١) ٠

فرأى ابن جنى فى نشأة اللغة واضح فهو يرى جانب التوقيف والالهام ولا يرفضه ، كما أنه يذهب الى أن اللغة اصطلاح وتواضع كما أنه يقر رأى من يرى أن أصل اللغات من الاصوات المسموعات ونصه السابق ليس ببعيد كما أنه يقول أيضا : « وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها انما هو من

---

(٥٨) السابق ح ٢ من ص ٣٠ ٠

(٥٩) هضبنا أى أفضنا فى الحديث فيه ٠

(٦٠) كلمات فى زجر الحيوان ، هذه الكلمات فى زجر الحيوان ولكنها مع ذلك تحتاج الى تعليق ليعرف المقصود منها وقد تركتها دون شرح – على أمل أن يهتدى القارىء الى معناها وهو يقرؤها حتى بعد أن يتأملها ويفكر فيها وذلك لأن بينها وبين معانيها مناسبة طبيعية والتخصيص بآرادة الواضع وقد وضع لكل ما يناسبه – وأن لم يهتد فمعناه أنها تخضع لعرف الجماعة اللغوية ولما تعارفت واصطلحت عليه ٠٠٠ ، ٠٠٠

(٦١) الخصائص (السابق) ح ١ ٠

الأصوات المسموعات ، كدوى الريح ، وحنين الرعد وخرير الماء ، وشحيج الحمار ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ونزيب الظبى ، ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد » ـ ثم يضيف معقبا :

« وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل » (٦٢) .

ثم هو يضيف هنا فيما سبق أن اشتقاق الأفعال من الأصوات الجارية مجرى الحروف نحو هاميث ... الخ مصدر من مصادر نمو اللغة ـ فرأى ابن جنى فى نشأة اللغة لايقتصر على التوقيف ونظرية التوقيف هى التى حصرت القائلين بها داخل فكرة المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها .....

فالذين يذهبون الى وجود المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها انما هم الذين يؤمنون بنظرية التوقيف ـ وبأن اللغة توقيف والهام ويرفضون ماعدا ذلك من نظريات على نحو ماهو موجود منذ اليونان ومرورا بعلماء المسلمين(٦٣) وانتهاء بماقاله العلماء فى مطلع النهضة الحديثة . ولكن المعتزلة دون أهل السنة هم الذين يقولون بالمناسبة الطبيعية بين الالفاظ ومعانيها ـ وأما أهل السنة فهم يقولون بتوقيفية اللغة ولايخصونها بالمناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها .....

وحتى مطلع العصر الحديث ظلت المعضلة تدور حول السؤال الآتى : أبامكان الالفاظ أن تحل تمام الدلالة على المعانى الداخلية أم أنها تقصر عن تصريف كل ما فى الوجدان ؟ (٦٤) .

وهكذا كان البحث عن العلاقة بين اللفظ وماهية الشيء .. ثم تطور خطوة بعد وانحصر البحث عن العلاقة بين اللغة ومواجيد الباطن .

---

(٦٢) الخصائص (السابق) ١/٤٤/٤٥ .

(٦٣) اقرأ ما كتبه الدكتور عبد السلام المسدى م نظريات بخصوص هذا الموضوع عند علماء المسلمين فى كتابه : التفكير اللسانى فى الحضارة العربية .

(٦٤) اقرأ كتاب : فى فلسفة اللغة ـ كمال يوسف الحاج . دار النهار للنشر .

فانتقلت من البحث فى أصول الشىء الى البحث فى أصول الوجدان ۰۰،۰۰
وهكذا الى آخره على نحو ما مر ۰۰،۰۰

أما ابن جنى فلم يقل بتوقيفية اللغة فحسب وانما قال بالمواضعة أيضا والاصطلاح علـى نحو ما قال كان يجتمع ۰۰،۰۰۰ الى آخره واذا قال بالموضعة انعدمت المناسبة أو هى فى أقصى حالاتها ترجع الى اتفاق أصحاب اللغة ۰۰،۰۰ حسب كل زمان وكل مكان ۰

ونصه : « فقد علمت بما قدمناه وعضبنا فيه قوة تداخل الأصول الثلاثة الاسم والفعل والحرف وتمازجها ۰۰

وتقدم بعضها على بعض تارة وتأخرها عنه أخرى ، فلهذا ذهب أبو على رحمه الله : الى أن هذه اللغة وقعت طبقة واحدة كالرقم تضعه على المرقوم والميسم يباشر به صفحة الموسوم ۰۰،۰۰

ثمّ هو يقول أيضا باشتقاق الأفعـال من الاصول الجاريـة مجرى الحروف نحو حاصيت وحاحيت وعاعيت وجأجات وحأحات وسأسات وشأشات ۰۰،۰۰ مما هو فى زجر الحيوان وهذا أيضا مواضعةٍ باتفاق واصطلاح باختلاف كل جماعة وفق ما تتعارف عليه ۰۰،۰۰

كما أنه يرى رأى من قالوا بـان أصل اللغـات انما هـو من الأصـوات المسموعات كدوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبى ۰۰۰،۰۰

يقول وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل ۰۰،۰۰

وهذا ما يعرف فى الدرس اللغوى بتقليد أصوات الطبيعة أو «الأنوموتابيا۰۰»
وقد سبق توضيح الرأى فيه ۰۰

وأنه يختلف من جماعة لغوية الى أخرى ۰۰

ومن هنا يتبين اختلاف رأى ابن جنى فى نشأة اللغة عن رأى السيوطى۰۰،۰

اذن فكيف نتقبل قول الدكتور : « وبذلك تلاقى مع ابن جنى على صعيد واحد ، فكان لابد لنا من الاقتناع بهذه الظاهرة اللغوية التى تعد فتحا مبينا فى فقه اللغات عامة » ..

ولنصرف النظر مؤقتا عن قوله بأن ابن جنى التقى مع جلال الدين السيوطى فلنا عودة الى هذه ولكن لنا أن نتساءل :

كيف يعد ذلك فتحا مبينا فى فقه اللغات بصفة عامة ؟

هل ستصير اللغات كلها لغة واحدة بهذا الفتح المبين ؟

هل يستطيع كل واحد بعد هذا الفتح المبين أن يدرك كل اللغات من ألفاظهـــا ؟!

هل اللفظ بعد هذا الفتح سينطلق الى كنه الشىء وذاته ليدل عليـــه ويشير الى ماهيته وبذلك تدلنا الأسماء على المسميات والألفاظ على مدلولاتها وتدلنا الكلمات على اللغات بهذا الفتح والكشف المبين ؟! .. وهل ستدلنا ألفاظ اللغة على مواجيد الباطن .. وأصول الوجدان .

ويصرف النظر عن الحكم الذى يصدره الدكتور صبحى الصالح على ابن جنى من خلال أقوال وأعمال جلال الدين السيوطى وآرائه . حيث يقول :

« على ان ابن جنى يظل رائد اللغويين القدامى الذين لاحظوا هذه الظاهرة وقرروها » (٦٥) فكيف يكون ابن جنى رائدا وهو يردد أقوال غيره (٦٦) . فابن جنى يأخذ عن أبى على وعن أبى بكر بن السراج وعن الخليل وسيبويه والجماعة والأصمعى وابندريد....الخ وينص على ذلك صراحة ولاينسب لنفسه ريادة ؟ !!

كما أن الدكتور صبحى الصالح يضع انكار الجمهور فى هذه القضيـــة وضعا غريبا ، ثم هو يبرره بمنطق أكثر غرابة حيث يقول :

---

(٦٥) دراسات فى فقه اللغة السابق ص ١٥١ .

(٦٦) هذا بالاضافة لمـــا سبق اقرأ من ص

« وقد أشكل على بعض الباحثين انكار الجمهور مقالة عباد لما عرفناه آنفا من أن الجماعة كما ينص ابن جنى ـ تلقت هذا المذهب بالقبول » (٦٧) فهذا كلام ينقض أوله آخره ...،..

ونسأله : من هؤلاء الباحثون ؟ . وكيف أشكل عليهم وماموقفهم؟ .
ـ أما أن الجماعة تلقت هذا المذهب بالقبول كما ينص ابن جنى فتلك قضية أخرى الرأى فيها غير ما يرى . (٦٨) انه يتكلم عن جماعة اللغويين السابقين والذين جاء ذكرهم عند جلال الدين السيوطى وستأتى مناقشة أقوالهم

أما جمهور أهل أصول الفقه ولاسيما من أهل السنة فقد رفضوا مقاله على نحو ما هو ثابت فى نص السيوطى نفسه ...،..

ويعنينا أن نقرر هنا أن الباحثين المحدثين فهموا أقوال العلماء القدماء من خلال فكر جلال الدين السيوطى وبوجهة نظر خاصة بكل واحد ثم راحو يلزمون القدماءبآرائهم والشىء الاهم أن غيرهم سارفىفلكهم فاعمالهم منشورة على النـــاس ..

وفات على الدارسين والباحثين من المحديثين ماصنعه علماء العربية القدماء من نظريات علمية عميقة أفاد منها الغـــربيون المحـــدثون وبنوا عليها نظرياتهم وآراءهم فى الدراسات اللغوية الحديثة على حين أنــــه قـــد ضـــاع بســـبب الاندفاع العاطفى عند علمائنا المحدثين نظريات علماء العربية القدماء وضـــاع بسببه الطريق الصحيح فى البحث وفى تناول الموضوعات .

فالدكتور صبحى الصالح مدفوع بقوة شديدة نحـــو الايمـــان بالعلاقـــة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها ..

والسبب فى ذلك جلال الدين السيوطى وما عرضه مفصلا فى كتابه المزهر فعلى نحو ما جاء عند ابن جنى فى موضوعه السابق أسماء لبعض الأصوات.

---

(٦٧) دراسات فى فقه اللغة (السابق) ١٥٠/١٥١ .
(٦٨) اقرأ ذلك مفصلا ص

وما قاله العلماء السابقون بخصوصها أخذ الدكتور صبحى الصالح من هـــذا منطلقا وراح يقـــول :

« ونحن لانحتاج الى كبير عناء حتى نلمح العلاقة الطبيعية بين الألفاظ الموضوعة لحاكاة الأصوات التى تصدر من الحيــوانات فالعصفور يزقزق ، والحمام يهدل ، والقمرى يسجع ، والهرة تموء ، والكلب ينبح والعجل يخور ، والذئب يعوى ٠٠ وأنت اذا تأملت مصادر هذه الأفعال : الزقزقة ، الهديل ، السجع ، المواء النباح ، الخوار ، العواء بالأصوات التى تسمعها من الحيوانات أيقنت بأنها تقارب كثيرا أصول تلك الأصوات ، وقل مثل ذلك فى هزيم الرعد، وحسيس النار ، وخرير الماء ، فى حكاية أصوات الطبيعة ، وفى شهيق الباكى وتأوه المتوجع ، وحشرجة المحتضر ، ورنين المريض ، وكرير المختنق ، وتمتمة الجائر ، وغمغمة الغامض ، فى حكاية الأصوات المعبرة عن الانفعالات الانسانية المختلفة ٠

ـ وفى قد القميص ، وقط القلم ، وقطف الثمرة وقطع الغصن ، وقضم اليابس وقطع العود ، وفرى الدم ، وفرث البطن ، وفرج الباب ، وفرس العنق، وفرص الفضة ، وفرض الخشبة ، وفرع الرأس فى حكاية الأصوات الصادرة عن القطع » (٦٩) ٠

وقبل أن نستطرد نسأل الدكتور :
ـ اذا كانت العلاقة لا تحتاج الى كبير عناء حتى نلمحها بين الألفاظ وما وضعت له ٠

هل أهل اللغات الأخرى لا يحتاجون الى كبير عناء حتى يلمحوا هـــذه العلاقة بين هذه الألفاظ ومدلولاتها فى لغتنا ؟ ٠

بل هل غير المتخصصين من أبناء اللغة العربية لايحتاجون الى كبير عناء حتى يلمحوها هم أيضا أو هل هم يستطيعون أن يرددوها دون أن يتعلموها؟! أو قبل أن يتعلموها ٠٠ ؟ !

---

(٦٩) دراسات فى فقه اللغه ص ١٥٢ ٠

وهل معنى ذلك عندك أن هذه الألفاظ بنفسها فى اللغات الأخرى ؟ !
أو أنها خاصة بالعربية ، وأن لكل لغة ما يماثلها من هذا ...

المعروف لدى العلماء المحدثين وعلماء الأنثروبولوجيا وغيرهم .. ان لكل جماعة ما تعارفت عليه مما هو خاص بها فى لغتها وهـذا أمر واقع تقره البحوث الميدانية والدراسات اللغوية التجريبية .. ، .. والأمر أهـون بكثير مما نتصـــور ...

وعلى نحو ما وقف الدكتور صبحى الصالح يؤيد قضية الرمزية الصوتية وقف الأستاذ محمد المبارك .

يقول الأستاذ محمد المبارك تحت عنوان : «القيمة التعبيرية للحرف الواحد فى العربية» (٧٠) .

« ان مباحث ابن جنى ورأيه فى المقابلة بين الخاصة الصوتيـة للحروف التى تتالف منها الألفاظ ودلالتها تشير الى وظيفة الحرف المعنوية وان كان ابن جنى لم يخرج من مباحثه وشواهده بهذه النتيجة الصريحة الواضحة»(٧١)

أما أن ابن جنى لم يخرج من مباحثه وشواهده بهذه النتيجة الصريحة الواضحة فهذه هى الحقيقة،وأما أن ابن جنى تحمل تبعه استنتاج غيره فهذا لاشك فيه ..

ومع ذلك فهو أيضا يثبت الرمزية الصوتية لابن جنى ..

ثم هو يقـــول :
« ان هذه الفكرة التى تجلت عند ابن جني أوحت الى بعض الباحثين فى العصر الحديث بنظرية (القيمة التعبرية أو البيانية للحـــرف فى الألفـــاظ

---

(٧٠) السابق ص ١٠١ .
(٧١) السابق ص ١٠١ .

العربية) » (٧٢) أى أن منبعث هذه القضية فى العصر الحديث ابن جنى وان استنتاجات بعض الباحثين المحدثين استوحوها من ابن جنى وليست صريحة عنده وأنقصة القيمة التعبيرية أو البيانية للحرف فى اللغة العربية من عمل الباحثين المحدثين ·

فهذا أيضا لاشك فيه ··

ثم ينتقل بعد ذلك ليقدم ما استوحاه واستنتجه فى هذا الصدد فيقول :

« ولنقدم بعض ما جمعناه من الأمثلة على ذلك،قبل البحث وابداء الرأى فيهـــا » (٧٣) ·

ثم يعرض ما جاء عنده على النحو الآتى يقــول :

(١) حرف الغين (غ) فى المواد التالية وما يتبعها ويشتق منها يــدل على الاستتار والغيبة والخفاء :

غاب غار غاض غال غام

غمد غمز غمز غمض غمص غمط

غرب غرز غرس غرف غرق غرم

غلق غلف غل

غفر غفا

غبش غبر غبن غبى

غش غشى غط غطى (٧٤) ·

أين حرف الغين فى الاستتار والاخفاء ـ

وقد ناقشنا هذه القضية فى القسم الثانى (٧٥) ـ ونقول هنا مؤقتا ليس حرف الغين هو الذى أعطى المعنى ، وانما الكلمة مجتمعة هى التى تعطى المعنى ·· ولكن هناك قوانين ونظريات خاصة بهذه الظاهرة ـ وقد أوضحناها فى مكانها من هذا الكتاب (٧٦) ·

---

(٧٢) السابق ص ١٠٣ ·
(٧٣) السابق ص ١٠٣ ·
(٧٤) السابق ص ١٠٤ ·
(٧٥) أنظر القسم الثانى من هذا الكتاب ·
(٧٦) أنظر القسم الثانى من هذا الكتاب ·

ثم يأتى بعد قوله السابق نص قوله الآتى :

(٢) حرف النون (ن) فى المجموعات والمواد التالية وتدل على الظهور والبروز

نفث نفح وأخواتها (النون وما يثلثهما) ـ
نبت نبث نبذ وأخواتها
نز نزف نزع وأخواتها
نجم نشأ نما نطق نبض (٧٧) ٠

ويعلم المتخصصون أن حرف النون لم يعط الدلالة وانما الذى أعطى الدلالة هى حروف الكلمة مجتمعة ولكل كلمة دلالتها ـ ودلالة كل كلمة مختلفة عن دلالة الأخرى ٠٠

وان تلمست فى جميع الكلمات معنى جامعا فذاك جاء وفق قوانين ذكرناها فيما بعد منها قانون المشابهة مثلا (٧٨) ٠

ثم هو يقول :

(٣) حرف القاف (ق) فى الأصول والمجموعات التالية وكلها تتضمن معنى الاصطدام أو الانفصال وتقترن بحدوث صوت شديد تصوره القاف فى شدتها :

قد وقطع وأخواتها
قرع قرف وأخواتها
دق شق طق عق طرق فرق عقر رقم » ٠

ثم يضيف : ـ

(٤) السين (س) ويتضمن كثيرا من الأصول التى تدخل فيها معنى الليونة والسهولة :

سهل سلم سل سلس سال بسار ساب ساح ساق ٠

---

(٧٧) السابق ص ١٠٤

(٨٧) اقرأ صفحات من هذا الكتاب واقرأ بقية القوانين ٠

مس ماس ملس سحب سما سعد يسكن ..
بسم نسم سلف سعى (٧٩) .

ثم هو يصل الى الآتى حيث يقول :

« فهل لنا أن نستنتج من هذه الأمثلة وأشباهها أن للحرف الواحد فى تركيب الكلمة العربية قيمة تعبيرية ، وان الكلمة الثلاثية تعبر عن معنى هو ملتقى معانى حروفها الثلاثة ونتيجة تمازجها كأن تقول مثلا أن (غرق) يحصل معناها من تلاقى معانى حروفها فالغين تدل على غيبة الجسم فى الماء والراء تدل على التكرار والاستمرار فى سقوطه ـ والقاف تدل على اصطدام الجسم فى قعر الماء ـ والمعنى الاجمالى الحاصل من اجتماع المعانى الجزئية للحرف هو مفهوم مادة غرق » (٨٠) .

وهكذا ينتهى به الأمر الى مثل هذا التحليل ..

ثم يعقب ما سبق بقوله الآتى :

« لا شك أن فى العربية خصيصة تبهر الناظرين وتلفت نظر الباحثين ، وهى تقابل الاصوات والمعانى فى تركيب الالفاظ وأثر الحروف فى تقوية المعنى أو اضعافه والانسجام بين أصوات الحروف التى تتركب منها الالفاظ ودلالاتها

وهذا مما يدعونا الى استقراء هذا البحث وتحرى دلالات الحروف .

ولكننا نرى أن الأمثلة التى قدمناها والتى قدمها الباحثون فى هذا الباب لاتكفى لاستنتاج قانون عام يشمل ألفاظ العربية كلها ولكنه طريق ينبغى أن يشق وباب يجب أن يفتح ولا ريب عندى أن متابعة التحرى والبحث فى هذا الاتجاه ستؤدى الى نتائج عظيمة فى تاريخ الكلم العربى ونظرات عميقة فى تركيبها » (٨١) .

أما الأستاذ محمد الأنطاكى صاحب الوجيز فى فقه اللغة فقد تعرض لهذه القضية وانتهى وهو بصدد تسلسله فيها الى أن الخليل بن أحمد وسيبويه وابن جنى من أوائل علماء العربية الذين اعتنقوا هذا القضية ....

---

(٧٩) السابق ص ١٠٤

(٨٠) السابق .

(٨١) السابق .

يقول « ان أول من أشار الى هذه المناسبة بين الألفاظ ومدلولاتهـــا من علماء العربية هو الخليل بن أحمد الفراهيدى ثم تلميذه سيبويه » ـ وأتى بعد ذلك بالنص الآتى : « يقول ابن جنى أعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقـــد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول والاعتراف بصحته »(٨٢) ...،.. الى آخره .. واعتبر كلمة صر وصرصر هى نظرية المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها ، وان ابن جنى بنى على هذه النظرية صرح المناسبـــة الطبيعية بين اللفظ والمعنى .. ومن ثم عقب على قوله السابق بقوله الآتى :

«وقد تحمس ابن جنى لهذه النظريـــة حماســـة بالغة فعقد فى كتابه الخصائص ثلاثة أبواب تنطلق كل أفكارها من مبدأ واحـــد وهو أن أصواتـــا معينة تدل على معان معينة ـ وأن بين ترتيب الاصوات ومراحل ما تدل عليـــه ان كان ما تدل عليه حدثا مناسبة طبيعية ظاهرة وقد سمى الباب الأول الاشتقاق الاكبر ـ وسمى الثانى : تصاقب الالفاظ لتصاقب المعانى ـ ودعا الثالث امساس الالفاظ أشباه المعانى » (٨٣) .

ثم أخذ على حد عبارته يلخص ما جاء فى هذه الأبواب من وجهة نظره متأثرا بما جاء عند الدارسين السابقين عليه ..

وهكذا صارت القضية من المسلمات وصار ابن جنى من المتحمسين لها وصار الخليل وسبويه من معتنقيها ـ ومن هنا فهو يشطر الباحثين المحدثين شطرين ، كافر بها صاد عنها ومؤمن بها مدافع عنها يقول :

«وفى العصر الحاضر ذهب مذهب الخليل وسيبويه وابن جنى طائفة من علماء العربية نذكر منهم على سبيل المثال (٨٤) لا الحصر الأستاذ محمد المبارك ، والدكتور صبحى الصـــالح ـ والآب مرمرجـــى الدومنكى ، وجرجى زيدان ، وخير الدين الأسدى .

وهكذا استقر القرار على أن الرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعيـــة بين

---

(٨٢) الوجيز فى فقه اللغة ط٣ ص ٣٦٦ ـ
(٨٣) السابق ص ٣٧٠ .
(٨٤) السابق ص ٣٧٢ .

اللفظ والمعنى مبدأ علمـاء المسلمين فى القديـم وهذا ظلم للتراث وأنها مبدأ غالبية المحدثين وهم الذين اتبعوا طريق القدماء،وأما الآخرون من المحدثين الذين حادوا عن الطريق فقد اتبعوا طريق الغرب طريق الضلال ..

وأنظر نص قوله : « وفى العصر الحاضر ذهب مذهب الخليل وسيبويه وابن جنى » وهكذا ثبتت هذه التهمة بهؤلاء العلماء وضاعت نظرات ابن جنى ونظرياته .

والأكثر من ذلك أنه صار من الواجب على من يريد أن يتبع الصواب من المحدثين أن يسير فى هذا الطريق مغمض العينين وهكذا ضيعوا على العلمـاء السابقين سبقهم ونظرياتهم وأغلقوا عقول الدارسين على أوهام تضر ولاتنفع .

وهـذا ما تتداوله الكتب ويلقنـه الشباب فى قـاعات الدرس .. وعلـى الدارسين أن يغلقوا عقولهم ويحصروا فكرهم فى هذا دون أن يحيدوا عنـه .. وإن عرفوا غيره فليرفضوه لأنه خارج عما تقبلته الجماعة .

وأنظر معى مدى الحيرة والاضطراب التى يمكن أن يكون عليها الشباب ازاء مثل هذه المواقف التى يتقدم من خلالها العلم على هذه الصورة ..

نظريات علمية رائدة فى التراث تختفى ولايعرف أبناؤنا عنها شيئا... ويأخذها الغرب عنا ونغلق أمامنا دونها ونكتفى بضحالة لا تقدم للغة شيئا .

ونستكمل بقية ما جاء عند الأستاذ الأنطاكى حيث يقول: «وكان من نتيجة الاستقراء الواسع نسبيا الذى قام به هؤلاء الباحثون أن كشفوا عن ظواهر فى العربية غريبة لافتة للنظر لايستطيع الباحث أن يمر بها من غير أن يقف عندها ويتساءل ، فمن ذلك أنهم وجدوا أن صوت الغين اذا جـاء فى أول الثلاثى العربى دل على الغموض والاستتار مثل : غاب ـ غار ـ غاص ـ غام ـ غمض ـ غمر .. الى آخـر ما سبق أن مر عند الأستاذ المبارك ..

ثم يأتى بعد ذلك عنده مباشرة قوله :

« بل أن بعضهم زاد على ذلك فقال : ان هذه الأصوات تدل على معانيها مهما يكن موضعها من الثلاثى وعلى هذا مضوا يناقشون الثلاثيات العربية كما فعل ابن جنى من قبلهم فى فعل (بحث) فقالوا فى غرف : ان الغين تدل على الغموض وهى بذلك تناسب أول مرحلة من مراحل حدث (الغرف) عندما يغيب الغارف يده أو مغرفته فى السائل وأن الراء تدل على الحركة وهى تناسب المرحلة الثانية من الحدث عندما يحرك الغارف مغرفته فى السائل قبل ان يرفعها، وأن الفاء تدل على الظهور والانفتاح والفصل ، وهذا يناسب آخر مراحل الحدث عندما يرفع الغارف مغرفته فيفصلها عن السائل ويظهرها بعد أن كانت مستترة»

ثم يعلق بعد ذلك فى الهامش على هذا التحليل بقوله : « هذا التحليل لفعل غرف حدثنيه الأستاذ ناصر الدين من بلدة كفر تخاريم (بالميم وليس بالفاء) من أعمال حلب وهو أحد المهتمين بالدراسات اللغويـــة ومن أكثر المتحمسين لنظرية التناسب بين اللفظ والمعنى » .

ويستطيع القارىء أن يتصور ما يكون عليه حال شباب الأمة الذين ننتظر منهم أن يسبقوا العصر وأن يدركوا ما عليه الأمم الأخرى من تقدم فى العلوم ولاسيما العلوم اللغوية بصفة خاصة التى لها اليوم من النظريات المتنوعة مافاق الوصف وأن بذور هذه النظريات فى تراثنا وقد كان علماؤنـــا من قبـــل روادا وقدوة ولكن هذا هو القدر « فخلف من بعدهم خلف » .

وأكثر من ذلك عندما تطالع ما جاء عند الأستاذ الأنطاكى بعد القـــول السابق مباشرة حيث يقول : « وأسرف بعضهم فى هذا اسرافا زائدا أخرجهم من دائرة البحث العلمى المبنى على الحقائق الى دائرة الخرافـــة المبينـــة عـــلى الأوهـــام » (٨٧) .

وندع القارىء يفكر ويحكم ، ما مدى ما يحس به الدارسون من شباب الأمة أصحاب العقول المتفتحة من تناقض ؟ !

---

(٨٦) السابق ص ٣٧٢ .

(٨٧) السابق ص ٣٧٣/٣٧٤ .

من أين يسير هؤلاء على مذهب السلف الراسخين فى العلم ، وكيف يصلون الى دائرة الخرافة المبنية على الأوهام » ؟ ! ..

لاسيما وأن الأستاذ يعود فيعمق التناقض وذلك عندما يعرض مجموعة من الآراء متناقضة حول هذه القضية .

فهو مثلا يعرض رأى فندريس ، وقد تعجب وما دخل فندريس اللغوى الفرنسى باللغة العربية وخصائصها وفندريس ليس من المستشرقين ولا من الدارسين للعربية . ولم يأت بمثل واحد من العربية ....

فهو يقول ان فندرس يرفض هذه الفكرة واقرأ نص قوله : « ومع ذلك يصر بعض اللغويين على نفى العلاقة بين اللفظ ومدلوله يقول فندرس : من الحمق أن نحكم بوجود علاقة ضرورية بين الحرفين (FL ـ ف ل مجتمعين وبين فكرة السـيلان ..

ويظل بعد ذلك يقدم طائفة من الرافضين المحدثين فى الغرب ومن المؤيدين ثم ينتهى الى الآتى : « وهكذا نرى أن المشكلة لاتزال بغير حل انها ككل المشكلات الانسانية الكبرى .. لا تقبل الحل النهائى ، انها حيرت عقـول المفكرين منذ قرون سحيقة ولاتزال تحيرها حتى الآن وستظل تحيرها الى ماشاء الله » (٨٨) ..

ونتساءل : هل هناك مشكلة فى مجال البحث العلمى لاتقبـل حـلا ؟ ولايتوصل فيها الى حل أين يكون الحل اذن ان لم يحلها الباحثون المتخصصون؟!

أحد الفريقين على حق .

ان كنت رأيت أن هذا رأى السلف من علماء الأمة الراسخين فى العلم فلماذا التردد ؟ وتملأ عقول الشباب بالحيرة وهم على حق وغيرهم على باطل ؟ ..

ان ما قاله السلف من علماء الأمة يجب أن يفهم على وجهة الصواب .

---

(٨٨) السابق ص ٣٨٢ .

ويطالعك باحث آخر يعمق التناقض ويحول القضية الى نزعة قومية ومن ليس معنا فهو علينا ٠٠

ويعمق الدكتور عبد الكريم مجاهد آراء الأستاذ الأنطاكى ويشطر الباحثين شطرين :

ويدهشك أنه يدخل الغربيين فيها وماهم بمستشرقين ولا دارسين للعربية وانما أمثلتهم من لغاتهم وأعمالهم خاصة بهم وفى لغات غير العربية ٠٠٠ فيدخل همبلت ومدفيج وويتنى ٠٠

واليك مثلا بعض ما قاله :

« وتصريح همبلت بأن هذه العلاقة على مر الأيام قد تختفى وبالتالى قد يأتى عليها يوم تبدو فيه غامضة سهل مهمة معارضى هذه النظرية فيتصدى مدفيج Madvig (١٨٤٢ م) لها ويبرهن على فسادها » ٠

ثم يقول : « وبعد همبلت ومادفيج يتصدى للمسالة اللغوى الامريكى ويتنى (Whitney) (١٨٢٧ ـ ١٨٩٤) حيث يرفض أن تكون العلاقة بين الصوت والمدلول طبيعية بل هى اعتباطية » (٩٠) ٠

ثم ينتقل الى دى سوسير فيقول :

« وفى أوائل القرن العشرين ترجح كفة معارضى الربط الطبيعى بين اللفظ ودلالته وذلك على يد اللغوى السويسرى فرديناند دى سوسير » (٩١) ٠

الدكتور يعرض علماء الدنيا علىأنهم معارضون أى أنهم ضد رأى السلف وضد رأى الخلف الصالح والمسألة أهون من ذلك بكثير ـ علماء يدرسون ظواهر لغوية عامة وتلك ظاهرة خاصة بلغات البشر وليست خاصة بالعربية فحسب ويدرسونها فى لغاتهم ويبحثون بحثا علميا له أصوله وقواعده ونتائجه المنزهة عن الهوى وهم لم يعرضوا للعربية ٠٠

وعلماؤنا من قبلهم انتهوا الى ما فى أيديهم من نظريات فلماذا لا نبحث ونستخرج ما فى بطون كتبنا من علم نافع أخذه عنا غيرنا ٠٠

---

(٨٩) الدلالة اللغوية عند العرب ص ٢٢٢/٢٢١ ٠
(٩٠) السابق ص ٢٢٢ ـ واقرأ التنصيلات ٠
(٩١) السابق ص ٢٢٣/٢٢٢ ٠

ولكنه بعد ذلك يقول :

« وبعد دى سوسير أصبح علم اللغة المعاصر يأخذ بأن العلاقة بين الأسماء ومسمياتها علاقة اصطلاحية أو اختيارية » (٩٢) .

هل معنى ذلك أن علم اللغة كله بعلمائه على اختلاف مدارسه فى العالم متعصب ضد نظرية المناسبة الطبيعية ؟ . الأمر عنده هكذا .
وان كان فى حقيقته أهون بكثير

وهاك ما يقوله :

« ولكن من اللغويين من سلم تسليما كاملا بآراء دى سوسير وأخذ يحتج على صدق هذه النظرية على طريقته الخاصة وهم ليسوا قلة مثل سابير Sapir (١٨٨٤/١٩٣٩) الذى يقول : ان الكلمات التى تبدو تقليدا للطبيعة مثل To caw (صوت الغراب) to Mew (يموء صوت القط) whip poorwill (طائر له صيحة مثل أسمه) ، ليست بأى معنى من المعانى اصواتا طبيعية ينتجها الانسان بصورة غريزية أو تلقائية انها من خلق العقل الانسانى ومن تخيله كأى شىء آخر فى اللغة » (٩٣) .

ونقول : ليقل سابير ما يشاء .. أبرز أنت عيبه من الناحية العلمية فى هذا القول .. وأعط أمثلة من لغات اتحدت فيها هذه الصحيات .. أذهب كما صنع سابير الى حقول الدراسات المختلفة واجمع وقدم معلومات تؤيد موقفك .. أما أن تعتصم بفهم خاطىء عن ابن جنى وسيبويه والخليل وتريد أن تلزم الدنيا بفهمك .. فهذا ما لايقره العلم .

ولكنه ينتقل بعد سابير الى عالم آخر ضد الرمزية الصوتية فيقول :

« ومنهم أيضا هاياكاوا Hayakawa الذى ينافح بشدة ضد الدلالة الصوتيــة »(٩٤) .

وقد يتساءل متسائل : ما معنى ينافح بشدة ؟

---

(٩٢) السابق ص ٢٢٤ .
(٩٣) السابق ٢٢٤ .
(٩٤) السابق ٢٢٤/٢٢٥ .

حدد العيب علميا فعلم اللغة الآن منهجه علمى يقوم على التجربة والدراسات ونظريابة تحمل الطابع الموضوعى الدقيق فاين عيوب دراسات هاياكاوا وما أخطاؤها ــ وكيف الطريق الى الصواب ؟

ولكنه ينتقل أيضا الى علماء آخرين لا صلة لهم بالدراسات العربية مثل السابقين ويعددهم ويعيب عليهم أنهم ضد الرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية فيقول :

« وروبرت هول R.Hall وادجار سترتفنت E. Sturtevant كلاهما يردد مقوله واحدة فى الدفاع ضد هذه النظرية ويستعملان الأمثلة نفسها وان كان الكلام عند الأول أوضح وسنورده لأن فيه غناء حيث يقول : ان معنى كل صيغة لغوية اعتباطى تماما » (٩٥) .

هو يقول نتيجة ما عنده من أبحاث ودراسات أخرج انت ما عندك من علم ضد ما قاله ..

ولكنه ينتقل الى يسبرسن ويقول عنه :

« ويسبرسن Jespersen من اللغويين الذين أسلفنا أنهم يرون استحالة اثبات المناسبة الطبيعية بين الصوت والدلالة فى كل الكلمات وفى كل اللغات فى جميع الأوقات» (٩٦) ثم يقول «ولكنه لاينكر هذه العلاقة البتة »(٩٧)

وما علاقة ذلك بابن جنى وما عيب أعماله من الوجهة المنهجية العلمية .؟

ثم ينتقل بعد ذلك الى فندريس فيقول :

« وأما فندريس Vendryes فهو حائر فبعد أن يقول « من الحمق أن نحكم بوجود علاقة ــ ضرورية بين الحرفين ف ل ــ (FL) مجتمعين وفكرة السيلان ... نجده بعد ذلك لا يستطيع التغاضى عن الكلمات التى يستشعر فيها وضوح العلاقة بين أصواتها وما توحى به .. فيتذكرها متابعا ، » ولكن من الحق أن

---

(٩٥) السابق ص ٢٢٥ .
(٩٦) السابق ص ٢٢٦ .
(٩٧) السابق ص ٢٢٦ .

كلمة Fleuve نهر معبرة لأن الأصوات التى تكونها صالحة تمام الصلاحية لاثارة الصورة التى تمثلها » (٩٨) .

رضيت بأن بين هذه الكلمة وما ترمز اليه مناسبة طبيعية ، هكذا هل أجريت عليها تجربة ؟٠٠ هل عرضتها مثلا على طلابك وأقروا بأن حروفها ترمز الى معناها ٠٠ ؟ هل هذه الحروف عندما يسمعها العربى يجد فيها معنى النهر ٠ ؟

ثم هو بعد ذلك ينتقل الى فيرث ومما يقوله عنه :

«فالأستاذ فيرث يستشف بين الكلمات التى تبدأ بحرفين متجانسين علاقة ما ، وهى أقرب ما تكون الى الصلة الطبيعية بين اللفظ وشكل المدلول عليه فأصوات معينة قد يكون لها دلالة على شكل معين ولكنه ينبه الى هذا الأمر بحذر ودون اصرار فهو قد لايصل الى مرتبة الظاهرة العامة الثابتة التى تصدق على الكلمات ذات الملامح المتماثلة المبدوءة بحرفين متجانسين » (٩٩) .

أنظر ، الأمر يبدو وكأنك أمام باحث يستعرض وجهة نظر علماء بينهم تناقض وقد أجمعوا على موقف واحد ضد علماء العربية ٠٠ وهذا لا أساس له من الصحة ٠٠ وهنا تكمن الخطورة وهى أن يلقن الطلبة العلم على هذه الصورة ٠ ٠ ! !

ويأتى بعد ما سبق عنده عن ملاحظات فيرث ما يريد أن يثبت لفيرث مالا يثبته ليؤكد وجود المناسبة الطبيعية عند فيرث فيقول :

« اذن فهى ملاحظات عابرة يلقى بها فيرث بحاجة الى اختبارها والتحقق منها حتى تكتسب صفة الفرض العلمى » (١٠٠) .

فهو سوف يتمم لفيرث مالم يتممه فيرث لنفسه ويجرب فى اللغة الانجليزيةعلى بعض الكلمات المبدوءة بالحرفين ليؤكد ماظنه عند ابن جنى فى مادة (جبر) مثلا ٠٠ وغيرها مما لم يقل به ابن جنى ٠٠

---

(٩٧) السابق ص ٢٢٦ .
(٩٩) السابق ص ٢٣١ .
(١٠٠) السابق ص ٢٣١ .

يقـــول :

« ولم لا نجرب فنتعرف على معانى الكلمات التى استشهد بها ونرى مدى مطابقة صوتها لشكلها أو لشكل ماتدل عليه ونبـدأ بالكلمـات المبـدوءة بالحرفين SL (١٠١) ٠

ونأتى بما أتى به ونضعه بين يدى القارىء ليرى فيه رأيه ٠ يقول :

Slice شريحة Slide منحدر ـ مزلق ـ Slight اســتخفاف

Slim رقيق Sleet مطر مصحوب بالبرد ـ Slender نحيـل

ويعقب على الكلمات السابقة بقوله :

« وبشىء من التجاوز والتأويل نستطيع أن نقول : يجمعها الشكل الذى يغلب عليه الطول والنحافة »(١٠٢) ٠

وأسأل : هل يحس القارىء أن هناك معنى الطول والنحافة فى الكلمات السابقة حتى بعد أن عرف جوها العام ؟ أى طول أو نحافة فى كلمة استخفاف ـ أو فى كلمة مطر مصحوب ببرد ، أو فى كلمة شريحة أو منحدر ٠

واكتفى بهذا المثل وأمام القارىء بقية الأمثلة (١٠٣) ٠

وأقـــول ما هـــذا ؟ :

القضية أوضح بكثير ، هل الكلمات تشير الى عالم الماهيات ٠٠ وهـل الأسماء تنطلق الى المسميات على نحو ما مر فى محاورة قراطيلس مثلا ٠ ٠ ٠ أو فى نظرية التوقيف ٠

ثم ينتقل الباحث بعد ذلك الى ستيفن أولمان ويقول عنه :

« وأما ستيفن أولمـان فيعارض فـكرة الربط بين الأصـوات والمدلولات ويردد تقريبا ما قاله دى سوسير حيث يقول : لا يوجد فى اللفظ ما ينبىء عن

---

(١٠١) السابق ص ٢٣١ ٠

(١٠٢) السابق ص ٢٣١ ٠

(١٠٣) فى الصفحة المذكورة يقرؤها ويحكم عليها ٠

المدلول ، فبالاضافة الى عدم وجود أية علاقة ظاهرة بين الكلمة وما تدل عليه هناك شيئان يعارضان افتراض وجود أية صلة طبيعية بينهما الشئ الأول : يتمثل فى تنوع الكلمات واختلافها فى اللغات المختلفة ـ والثـــانى يتبلور فى الحقائق التاريخية » (١٠٤) ٠

ثم ينتقل بعد ذلك الى علماء اللغة العربية المحدثين ويشطرهم شطرين شطر مؤمن بها ، وشطر كافر بها ٠

ويبـــدأ ذلك من القرن التاسع عشر وأوائل هـذا القرن العشرين فيقول :

« فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن كان الاتجاه الغـــالب للغويين العرب هو القول بالصلة ـ الوثيقة بين الصوت والمعنى فنرى الشدياق (١٠٥) (١٨٠٤ ـ ١٨٨٨) على أساس أن كثيرا من الألفاظ انما ينشأ عن محاكاة الانسان لاصوات الطبيعة يتكلم عن العلاقة بين الحرف وما يرمز اليه من معنى ويتناول الحروف واحدا واحدا فيها على المعانى التى يوحى بها كل حرف وذلك فى قولـــه :

فمن خصائص حرف الحاء السعة والانبساط نحو البراح والأبطح ٠٠٠،٠٠ ثم يدخل جرجى زيدان تلك الدائرة علما بأن ما جاء به مما خاص بجرجى زيدان لا ينطبق على ما يذهب اليه ٠

ثم ينتقل بعد ذلك فيقول :

« نمضى قدما لنجد أن نظرية جديدة قد انبثقت على أساس من كـــلام الشدياق وزيدان أو كان ما قالاه كان مقدمة أو بذرة لنظرية جديدة فى الاشتقاق العربى نادى بها الأب مرمرجى الدومنكى وهى ثنائية أصول الكلمات العربية بدلا من ثلاثيتها الراسخة » (١٠٦) ٠

والواقع أن الأب مرمرجى الدومنكى ينادى بنظرية لغويــة ذات صـــلة باللغات السامية وقائمة على فكرة مقارنة مبعثها عـــلم اللغة المقارن وما كان

---

(١٠٤) السابق ص ٢٣٣ واقرأ الى صفحات ٢٣٦ ٠
(١٠٥) السابق ص ٢٣٦ واقرأ ما جاء عن الشدياق ص ٢٣٦ / ٢٣٧ ٠
(١٠٦) السابق ص ٢٣٨ ٠

يجب أن نزج هذه النظرية هكذا ولكننا أيضـا أمـام فرصـة لاضاعـة هـذه النظرية ٠

وقد ذكر هو مثل هذا ولكنه يصر على أن يزج بالدومنكى داخل هذه الدائرة حتى يظل يجد لها أنصارها من القديم ، حتى ولو أضاع فكر الرجـل وانظر أنت واحكم انه يقول : بنص قول الدومنكى وقد جاء به هو نفسه :
نص الدومنكى :

« الثنائية Biliteralism هى النظرية القائلة بأن الأصول فى العربية ـ وكذلك فى أخواتها السامية ـ ليست الالفاظ ذات الحروف الثلاثة بل ذواته الحرفين اذن من شأن الثلاثيات أن ترد الى الثنائيات » (المعجمية العربيـة ص ٦) ـ

ثم يقول الباحث بعد ذلك :

« وعلى أساس هذه النظرية يرى أن الالفاظ العربية كأخواتها السامية من أصل ثنائى ـ والثلاثى يجب أن يرد الى الثنائى وفى نظريته التى اخـذ يطبقها على الكلمات العربية رأى أن كل كلمة لابد أن تكون من حرفين أصليين لهما معنى أصلى وما زاد عليهما فهو لتفريع المعنى الأصلى وتنويعه » (١٠٧)٠

ويصل الى الدكتور صبحى الصالح ويقول :

« وأما الدكتور صبحى الصالح لشدة اعجابه بصنيع ابن جنى الذى أدرك فيه القيمة التعبيرية للحرف العربى فيرى فيـه « فتحـا مبينـا فى فقـه اللغات » (١٠٨) ٠

ثم يقـول :

والأستاذ محمد المبارك يؤيد هذا المذهب باندفاع ويرى فى ثقة تامة أنه ان لم يدل الحرف بصوته على المعنى قطعا ، فالصوت يوحى بـه على الاقل ». ويستشهد بقوله : « ونستطيع أن نقول فى غير تردد أن للحرف فى اللغـة

---

(١٠٧) السابق ص ٢٣٨ واقرأ الأمثلة فى نفس الصفحة ٠
(١٠٨) السابق ص ٢٤١ ٠

العربية ايحاء خاصا فهو إن لم يدل دلالة قاطعة على المعنى يدل دلالة اتجاه وايحاء ويثير فى النفس جوا يهيىء لقبول المعنى ويوجه اليه ويوحى به»(١٠٩)

وهكذا بعد أن يستعرض هذا الحشد من العلماء ٠
يأتى بعد قوله السابق مباشرة قوله الآتى : ــ

« ويقف على النقيض من هذا الاتجاه فريق من أساتذة الجامعات العربية وهم ممن تأثروا بالفكر اللغوى الحديث ، وهم الدكتور ابراهيم أنيس »(١١٠)

ثم ينتقل الى الدكتور حسن ظاظا : فيقول :

« وأما الدكتور حسن ظاظا فيقول : وقد خدع بعض الباحثين فى اللغات بظاهرة ضللتهم وهى أنه يوجد فى جميع اللغات ألفاظ تحمل معناها فى هيكلها المسموع نفسه أى فى جرسها الصوتى » (ص ٣٠/٣٣) ٠

ثم يعلق على الدكتور ظاظا بعد أن يذكر جزءا من مرجعه السابق بقوله :
« فهو يرى أن فى الدلالة الصوتية للالفاظ ظاهرة خادعة مضلله ويحـــاول كما رأينا توجيه الفاظ الانفعال والأتوماتوبيا توجيها يثبت خطأ تلك النظرية كما فعل دى سوسير تماما » (١١١) ٠

ثم يأتي بعد قوله السابق مباشرة نص قوله الآتى :
وفى السنوات الأخيرة ظهرت كتب ثلاثة يجمع فيها أصحابها عـــلى معارضة الصلة بين الصوت والمدلول وهى : (١١٢) ٠

كتاب فقه اللغة فى الكتب العربية للدكتور عبده الراجحى ــ ويذكر نص الدكتور الراجحى : « غير أن اقتناع ابن جنى بهذا الرأى واعجاب الدكتور صبحى الصالح به لا يمنع من التأكيد على أن أهل اللغة بوجه عام يطبقون على رفضـــه ويرون أنه ليست هناك مناسبة بين اللفظ ومدلوله وليست هناك علاقة بين الرمز والشىء الذى يرمز اليه » (ص ٦٨ ــ فقه اللغة فى الكتب العربية) ٠

---

(١٠٩) السابق ص ٢٤١ ٠
(١١٠) السابق ص ٢٤١ و٢٤٢ ٠
(١١١) السابق ص ٢٤٣ ٠

ثم كتاب الدكتور مصطفى مندور اللغة بين العقل والمغامرة ·

ويقول عن الدكتور مندور

« فالدكتور مندور فى النهاية ينفى الصلة بين الأصـــوات والمدلـولات، موافقا أولمـان فى اعتراضه على بوز Pos فى أنه من الصعب أن نتصور أن الفونيمات تحمل خصائص الالفاظ التى تتألف منها » (١١٣) ·

والكتاب الثالث هو : مدخل الى علم اللغة للدكتور محمود فهمى حجازى·

ويقـــول عنـــه :

« الذى يصر فيه الدكتور محمود فهمى حجازى على أن العلاقة بين اللفظ ومدلوله اصطلاحية وليست ذاتية طبيعية (١١٤) ويأتى باقتباس من عنـده يقول فيه :

« ان الرموز اللغوية لا تحمل قيمة ذاتية طبيعية تربطها بمدلولها فى الواقع الخارجى ـ فليس هناك أية علاقة بين كلمة حصان ومكونات جسم الحصان ـ والعلاقة كامنة فقط عند الجمـــاعة الانسانية التى اصطلحت على استخدام هذه الكلمة اسما لذلك الحيوان ـ ومعنى هذا أن قيمة هذه الرموز اللغوية تقوم على العرف أى على ذلك الاتفاق الكائن بين الأطراف التى تستخدمها فى التعامل ـ وهذا معناه أن المؤثر والمتلقى متفقان على استخـــدام هذه الرموز اللغوية المركبة بقيمتها العرفية » ·· ثم يعلق على قوله بالقول الآتى : ـ

وهكذا ينفى الدلالة الذاتية نفيا باتا والعلاقة بين اللفظ ودلالته لا تكون الا بالمواضعة من قبل مستخدمى اللغة فهى عرفية » (١١٥) ·

أى حيرة تصيب عقول الدارسين من شباب هذه الأمة بعد كل هذا

---

(١١٢) السابق ص ٢٤٣ ·
(١١٣) السابق ص ٢٤٤ ·
(١١٤) السابق ص ٢٤٤ ·
(١١٥) السابق ص ٢٤٥ ·

هذه الطائفة من أستاتذة الجامعات العربية المتعددة فى مختلف بلاد الوطن العربى على باطل تسير فى فلك عقول الغرب وما جاء فى كتبهم باطل وان اتفق مع العقل لأنه لم ير الا جانبا واحدا خطا أراد أن يرغم عليه الدنيا كلها ٠

فاما أن يعصب العلماء أعينهم ولا يروا الا ما يرى واما لا ٠
يا أخى ٠٠ انصف نفسك ٠٠ مانكتبه تقرؤه أجيال المستقبل ٠

وأهم ما فى ذلك كله أننا ضيعنا على علمائنا سبقهم وما وضعوه من نظريات وفكر خلاق ـ وشغلنا أنفسنا بجزئية ليست ذات بال ـ وليست وقفا على العربية وحدها حتى نعدها ميزة لها مثلا تسهم فى الرقى بها ـ أو فى الكشف عن جانب من جوانب اعجاز اللغة الخاص بالقرآن مثلا أو غير ذلك وانما جزئية لا تضر ولا تنفع ٠

أما ما وضعه علماؤنا السابقون من نظريات ففيها النفع ـ وقد أفردنا لها القسم الثانى بتمامه من هذا الكتاب ٠

الدكتور عبد السلام المسدى وقضية الرمزية الصوتية عند ابن جنى :

موقف الدكتور عبد السلام المسدى من القضية : ـ

تأثر الدكتور المسدى بما كتبه السيوطى فى مزهره عن ابن جنى والمناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها عنده ، فاتخذ من كلام السيوطى منطلقا بنى عليه نظرية المحاكاة الطبيعية عند علماء المسلمين واتخذ من أعمال ابن جنى شاهدا على نمو النظرية عندهم واكتمالها الى النهاية متاثرا بما قدمه السيوطى فى مزهرة تحت المسالة العاشرة عن المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله .

فالدكتور المسدى أخذ آراء السيوطى وعمقها واعتبر كل ما قام به ابن جنى من أعمال فى هذا الصدد انما هى من ايمانه بمبدأ المناسبة الطبيعية بين الالفاظ ومدلولاتهـــــا .

وزاد الدكتور المسدى على السيوطى بأنه حشد بقية الابواب المتصلة بهذا الموضوع فى خصائص ابن جنى واعتبرها كلها تدور فى فلك المناسبة الطبيعيـــة فى ترتيب وربط بينها ..

ولكن الدكتور المسدى لمح ببصيرته النافذة وبفهمه للدراسات اللغويـــة الحديثة أن أعمـــال ابن جنى فى هـــذا لاتدخل فى حقيقة مفهومهـــا تحت مبـــدأ الرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها .

فلما انتهى من عرض هذا المبحث كتب حاشية فى نهاية مبحثه ص ٨٥ جاء فيهـــا :

« فى اللسانيات المعاصرة فرع من فروع البحث مازال متذبذبا بين الاستقرار والتداعى يبحث عن تشريع نهائى له ، ويطلق عليه Lo morphonologie ou la morpho-phonologie ويتناول بالتدقيق أبنية الكلمات بالمعنى الدلالى للوظيفة ـ واذا لم يحظ هذا الفرع بعد بقانونه الاساسى ضمن الشجرة اللسانية فلأن اللغات التى يمارس اللسانيون عملهم عليها فى جلها من أسرة اللغـــات التركيبية التى تعتمد التاليف بالضم والتجاور سواء بين أصول من الكلمات أو بين جذع وزوائد ـ صدورا كانت أو حشوا أو كواسع ـ بينما توفر اللغة

العربية ـ وربما بقية اللغات ذات الأصل السامى النموذج الأوفق لاخصاب هذا الفن وتركيزه على قواعده النهائية » (١١٦) ٠

فهذا القول من الدكتور المسدى يعطى لابن جنى السبق والريادة فى اكتشاف فرع من فروع الدراسات فى علم اللغة لم ينته الباحثون اللغويون المحدثون بعد الى ارساء قواعده وأصوله وذلك راجع الى أن اللغات التى يجرون عليها دراساتهم لغات غروية أو الصاقية على حين أن ابن جنى توصل الى ماتوصل اليه من خلال درسه لخصائص اللغة العربية وهى لغة اعراب فما انتهى اليه ابن جنى عمل فيه سبق وفهم لروح العمل اللغوى وتعمق فى خصائص العربية وأسرارها فمن الظلم اذن أن ننسب عمله الى الرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها وذلك لأن السيوطى فهمها هكذا أو عرضها فى ضوء فهم العلماء المتأخرين أضف الى ذلك أن ليس كل ما قدمه الدكتور المسدى من أبواب عند ابن جنى يدخل تحت هذا النوع من الدراسة اللغوية الحديثة وانما هى على ما أوضحنا منها ما يدخل تحت هذا الفرع ومنها ما يدخل تحت نظرية الفونيم فى ضوء فهم ابن جنى لها وتطويره لدراسة مراحلها ومنها ما يدخل تحت أنواع أخرى على نحو ما قد سبق أن أوضحنا ٠ وعلى نحو ما سيأتى مفصلا فى القسم الثانى من هذا الكتاب ٠

وقد عرض الدكتور المسدى مبحث « المحاكاة الطبيعية » عرض الواعى الفاهم لأبعاد القضية الملم بأطرافها عند علماء العربية ٠

والذى يؤخذ عليه فى عرضه لأفكار ابن جنى هو تأثره بما جاء عند السيوطى على حين أنه أدرك أن أفكار ابن جنى عن نشأة اللغة واضحة ومحدودة فى مواضعها سواء مايتصل بالتوقيف أو المواضعة أو نظرية المحاكاة ٠ وأن ما جاء به من أبواب أخرى انما هى لأغراض فى البحث أخرى ٠

فالواجب تتبع نظريات ابن جنى فى استقلال دون خلط ٠

---

(١١٦) التفكير اللسانى فى الحضارة ٠ د٠ عبد السلام المسدى ٠ الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ـ ١٩٨١ ـ ص ٨٥ حاشية ٥٣ هامش نفس الصفحة ٠

واذا كان الأمر كذلك فبدل أن يدخل هذه الأبواب تحت نظرية المحاكاة على نحو ما صنع السيوطى فكان من الأولى أن يدخلها تحت نظرية التوقيف ـ ولكن الواقع أنها مباحث مستقلة لاتدخل هنا ولا هناك ٠ ويجب أن تدرس فى استقلال عنده على نحو ما أراد لهـــا ٠٠

ونعرض طرفا مما قاله الدكتور المسدى فى هذه القضية عند ابن جنى ٠

يقـــول :

« أما الذى أعطى قضية المحاكاة بعدها اللسانى الخالص ، وركز لها القواعد التأسيسية على مستويى التنظير والممارسة فانما هو ابن جنى الذى اكتمل معه فن أصول النحو ، وتتمثل غزارة استقراءات صاحب الخصائص فى تقليب الموضوع على مختلف أوجهة الممكنة فى اللغة حتى أنـــه استطـــاع سن نموذج نظرى خاص فى تفسير مظاهر الاشتقاق والتوليد فى صلب ظاهرة الكلام ، وقـد كان فى تحليله لموضوع المحاكاة واعيا بانه انتهى الى تحديد طريقة هى خميرة تفكيره الشخصى ولا أدل على ذلك من تحسسه العديد من المصطلحات الحاصرة لتصوراته فى الموضوع شأن كل مستنبط لنموذج فكرى جديد » (١١٧) ٠

وحديث الدكتور المسدى هنا عن باب الاشتقاق الاكبر عند ابن جنى وقد سبق أن أوضحنا أبعاده ـ وهو لايدخل فى نظرية المحاكاة (١١٨) ولا يدخل فى الرمزية الصوتية وانما هو يتحدث عن ارتباط أصل المادة بالمعنى التى تدور حوله يستوى فى ذلك الاشتقاق الأصغر والأكبر ومع ذلك فابن جنى يرى أن الظاهرة غير مطردة ٠٠

ثم يضيف الدكتور المسدى بعد السابق مباشرة :

« فالمنطلق هو فكرة المضاهاة (١١٩) ثم تتركز تحليليا بما يسميه امساس الالفاظ اشباه المعانى (١٢٠) أو سوق الحروف على سمت المعنى المقصود(١٢١) مشتقا منه فكرة المساوقة ويعنى مساوقة الصيغ للمعـــانى (١٢٢) ومتيمـــا

---

(١١٧) التفكير اللسانى (السابق) ص ٨١ ٠

(١١٨) أنظر ص   من هذا الكتاب ٠

(١١٩) يحيلك على الخصائص ج١ ص ٦٥ ٠

(١٢٠) الخصائص ج٢ ص ١٦٢ ٠

(١٢١) ويحيلك على السابق أيضا ج ٢ ص ١٦٢ ٠

مبدأ التعديل والاحتذاء (١٢٣) ثم مستطردا الى فكرة تقارب الحروف بتقارب المعانى (١٢٤) الى أن يجرد المصطلح المكثتر الأوفى فى مفهوم التصاقب (١٢٥).

ثم يستطرد شارحا بعد السابق مباشرة :

« وتنحل نظرية المحاكاة هذه عند ابن جنى الى جملة من المراتب أولها مرتبة المحاكاة الصوتية د وتتمثل فى ملاحظة تسمية الأشياء بأصواتها »

ثم يضيف :

«ويعمم ابن جنى هذا المبدأ على صعيد واسع من رصيد اللغة اعتبارا منه أن مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث ــ باب عظيم واسع ونهج متلئب عند عارفيه مأموم » ثم ينتهى الى المرتبة الثانية فيقول :

« وتتمثل المرتبة الثانية فى ظاهرة المحاكاة البنائية وذلك يصور هيكل اللفظ جملة دلالته ، أو يعكس بناؤه مراحل معناه ــ فيأتى اللفظ حاكيا مدلوله بمجرد قالبه اللغوى المحسوس فمن ذلك المصادر الرباعية»(١٢٦)٠٠ الى آخره

وقد تناولنا هذه الصيغ بالدراسة والتحليل وأوضحنا الرأى فيها وأنها أيضا ليست مرحلة من مراحل نظرية المحاكاة كما أنها ليست من الرمزية الصوتية ـ أو من مناسبة الالفاظ لمعانيها ــ

ثم ينتقل الى المرحلة الثالثة حيث يقول :

« أما المرتبة الثالثة من مراتب المحاكاة فيمكن أن نطلق عليها مصطلح المحاكاة التعاملية (Combinatoire) وتقوم على ضرب من تعامل دلالة الأصوات الفيزيائية ودلالة الهيكل الوزنى لقوالب الألفاظ ومن نماذجها فعل صر ــ الذى يطلق على صوت الجندب لما استشعر فيه من استطالة ومد ــ وفعل صرصر الذى خص به صوت البازى للتقطيع الذى يلهج به صوته المستطيل ٠

---

(١٢٢) السابق ١٥٥ ٠

(١٢٣) السابق ص ١٥٧ ٠

(١٢٤) السابق ص ١٤٦ ٠

(١٢٥) السابق ص ١٤٦ والتصاقب من أسماء الأضداد يعنى الاقتراب والابتعاد معا ٠

(١٢٦) التفكير اللسانى (السابق) ص ٨٢٥ ٠

- ومن ذلك أيضا تكرير صوت العين فى الفعل دليلا على تكرير الحدث (١٢٧) ثم يضيف :

« ويستطرد ابن جنى فى تأسيس ظاهرة التماثل ليجعل لها مقوما أصوليا يتجاوز مظاهر الاتفاق والصدفة حتى يخرج به من الاعتباطية الظاهرية مؤكدا : « نعم ، ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر والحكمة أعلى وأصنع ، وذلك أنهم قد يضيفون الى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالاحداث المعبر عنها بها وترتيبها وتقديم ما يضاهى أول الحدث وتأخير ما يضاهى آخره ـ وتوسيط ما يضاهى أوسطه سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب » .

ثم ينتهى الى آخر المراحل فيقول :

« وآخر مراتب المحاكاة ما يتنزل علىمستوى التركيب السياقى وهى عبارة عن تجاوز ظاهرة المحاكاة منزلة الألفاظ مجردة الى الألفاظ عندما تتفاعل فى صلب الخطاب لبناء التركيب الابلاغى أو الانشائى فهو اذن خروج من مستوى جدول الاختيار (la sélection) الى جدول التوزيع (la distribution) وبالتالى اسقاط لمحور العلاقات الاستبدالية (les rapports paradigmatiques) على محور العلاقات الركنية Les rapports syntagmatiques ويضرب ابن جنى نماذج عدة لهذه المرتبة من ظاهرة المحاكاة شارحا مظاهرها عند ارتباط الأبنية الحسية للكلام بابنيته الدلالية التأثيرية ـ ومن ذلك الآية « الم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا » (١٢٨) .

وتتضح حقيقة هذا الآراء وغيرها فى ضوء التحليل الذى اختص به القسم الثانى من هذا الكتاب .

فالى القسم الثانى :

---

(١٢٧) التفكير اللسانى (السابق) ص ٨٣ .

(١٢٨) التفكير اللسانى (السابق) ص ٨٤ .

القسم الثانى

العرض التحليلى التطبيقى

ان الموضوع الذى بين أيدينا الآن فى حاجة منا الى وقفة نجلى فيها ما اهتدى اليه علماء العربية القدماء من فكر خاص بهذه القضية وذلك من خلال عرض متون متعددة خاصة بها ونبدأ بباب فى تصاقب الألفاظ من خصائص ابن جنى الذى ينكشف من خلاله حقيقة ما ذهب اليه علماء العربية الأفذاذ فى هذا المجال وكيف أن وراء فكرهم نظرية صوتية محدثة استفاد منها الغربيون وان لم يصلوا الى ما توصل اليه علماؤنا حيث أن علماءنا وصلوا فى هذه النظرية الى مرحلة أعلى مكنتهم منها خصائص اللغة العربية وذلك لأن فهمهم منبثق عن فهم لسيكوجية اللغة العربية وسيكلوجية المتكلمين بها وذلك هو باب :

فى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى (٢) : ـ

ويعد هذا الباب الأساس الذى أقام عليه جلال الدين السيوطى مبحثه الخاص بالمناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها والذى بسببه أنساق وراءه الباحثون المحدثون ٠٠٠،٠٠ حيث جمع جلال الدين السيوطي كل ما أمكن جمعه مما قاله علماء العربية عبر أجيالهم المتعددة ليعضد به نظريته فى هذه القضية ٠٠،٠٠

واتخذ الباحثون المحدثون من هذا الباب نموذجا يحتذونه فى تاييد مايرونه خاصا بهذه القضية (٣) ٠

---

(١) السابق ـ ص ٥٥ ٠

(٢) كتاب الخصائص لابن جنى ح ٢ ص ١٤٥ وما بعدها ٠٠

(٣) الدكتور ابراهيم أنيس اتخذ أمثلة من هذا الباب تؤيد ما يراه ٠٠ والدكتور صبحى الصالح اتخذ منه نموذجا احتذاه فيما ذهب اليه٠٠،٠٠ وكذلك الدكتور محمد المبارك جعل نماذج هذا الباب المثل المحتذى ٠٠،٠٠ وعلى منواله نسج الأستاذ الأنطاكى ٠٠ وهكذا ٠٠

ورأينا فى هذا الباب أنه يتصل بمنهج الدراسات الصوتية الحديثة وبأبعادها المتصلة بالنظارية العامة باللغة مما يؤكد عمق النظرة اللغوية عند علماء العربية القدماء ..،..

وذلك على النحو الآتى : يقول ابن جنى :

هذا غور من العربية لا ينتصف منه (٤) ، ولا يكاد يحاط به ، وأكثر كلام العرب عليه ، وان كان غفلا مسهوا عنه وهو على أضرب : منها ..،.. ..،.. لكن من وراء هذا ضرب غيره ، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعانى . وهذا باب واسع .

من ذلك قول الله سبحانه : « ألم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٥) أى تزعجهم وتقلقهم . فهذا فى معى تهزهم هزا - والهمزة أخت الهاء ، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين - وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم فى النفوس من الهز - لأنك قد تهز مالا بال له ، كالجذع ، وساق الشجرة ، ونحو ذلك .

ومنه العسف (٦) والأسف ، والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسف (٦) النفس وينال منها ، والهمزة أقوى من العين ، كما أن أسف النفس اغلظ من التردد بالعسف . فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين .

ومنه القرمة وهى تحز على انف البعير - وقريب منه قلمت أظفارى ، لأن هذا انتقاص للظفر ، وذلك انتقاص للجلد . فالراء أخت اللام ، والعملان متقاربان .

وعليه قالوا : الجرفة وهى من جرف وهى أخت جلفت القلم ، اذا اخذت جلفته ، وهذا من جلف ، وقريب منه الجنف وهو الميل - واذا جلفت الشىء أو جرفته فقد أملته عما كان عليه وهذا من جنف .

---

(٤) انتصف منه : استوق منه حقه كاملا .
(٥) سورة مريم آية ٨٣ .
(٦) العسيف = والأسيف = الشيخ الكبير ، ومن اشتد به الأسف ، - وكانه يريد بالعسف هنا السير على غير طريق وهدى - ويناسبه قوله بعد « كما أن أسف النفس اغلظ من التردد بالعسف » -

ومثل تركيب (ع ل م) فى العلامة والعلم • وقالوا مع ذلك : بيضة عرماء ، وقطيع أعرم اذا كان فيهما سواد وبياض ، واذا وقع ذلك بأن أحد اللونين من صاحبه ، فكان كل واحد منهما علما لصاحبه وهو من (ع ر م) — قال أبو وجزة السعدى :

مازلن ينسبن وهنا كل صادقة باتت تباشر عرما غير أزواج (٧)

حتى سلكن الشوى منهن فى مسك من نسل جوابة الآفاق مهداج

ومن ذلك تركيب (ح م س) و (ح ب س) قالوا : حبست الشىء وحمس الشر اذا اشتد ، والتقاؤهما أن الشيئين اذا حبس أحدهما صاحبه تمانعا وتعازا فكان ذلك كالشريقع بينهما •

ومنه العلب : الأثر — والعلم : الشق فى الشفة العليا • فذاك من (ع ل ب) وهذا من (ع ل م) والباء أخت الميم — قال طرفة :

كأن علوب النسع فى دأياتها موارد من خلقاء فى ظهر قردد (٨)

---

(٧) البيتان فى صفة حمير الوحش — وقد وردن الماء ليلا فاثرن القطا حتى وردنه وأدخلن أرجلهن فيه وقوله : وهنا : أى حين أدبر الليل • ويريد بالصادقة القطاة لأن القطاة تصيح : قطاقطا • وهو اسمها فنسب اليها الصدق وقيل : أصدق من قطاة — وقد وصفها بأن بيضها عرم غير أزواج ، أفراد وكذلك بيض القطا — والشوى من الدابة : اليدان والرجلان — والمسك مايكون فى رجل الدابة كالخلخال — وأراد بجوابه الآفاق المهداج : الريح الأحنون — أراد أن الأتن أدخلن قوائمهن فى الماء فصار الماء لأرجلهن وأيديهن كالمسك ، ووصف بأن هذا الماء ماء مطر ساقته الريح — وأنظر اللسان فى مادة : هدج — ومسك — والبيت الأول فى الحيوان ح ٥ /٢٧٣ — والبيت الأول فى اللسان أيضا •

(٨) البيت من معلقة طرفة ، وهو فى وصف الناقة — والنسع : سير تشد به الرحال • والدأيات : أضلاع الكتف ، والموارد : طرق الواردين الى الماء • والخلقاء : الملساء — والقردد : ما ارتفع من الأرض ••

يصف آثار الحزام فى أضلاعها ، وشبهها بالطرق فى صخرة ملساء • وذلك من كثرة حل الرحل عليها •

ومنه تركيب (ق ر د) و (ق ر ت) قالوا للارض وتلك نباك (٩) تكون فى الأرض ، فهو قرد الشيء وتقرد اذا تجمع أنشدنا أبو على :

أهوى لها مشقص حشر فشبرقها وكنت أدعو قذرها الاثمد القردا (١٠)

أى أسمى الا ثمد القرد أذى لها • يعنى عينه •

وقالوا قرت الدم عليه أى جمد •

والتاء أخت الدال كما ترى • فاما لم خص هذا المعنى بذا الحرف فسنذكره فى باب يلى هذا بعون الله تعالى (١١) •

ومن ذلك العلز : خفة وطيش وقلق يعرض للانسان ، وقالوا (العلوص) لوجع فى الجوف يلتوى له الانسان ويقلق منه ـ فذاك من علز وهذا من علص والزاى أخت الصاد •

ومنه الغرب : الدلو العظيمة (وذلك لأنها يغرف من الماء بها) فذاك من (غرب) وهذا من (غرف) أنشد أبو زيد :

كان عينى وقد بانونى غربان فى جدول منجنون (١٢)

واستعملوا تركيب (جبل) و (جبن) و (جبر) لتقاربها فى موضع واحد ـ وهو الالتئام والتماسك منه : الجبل لشدته وقوته ـ وجبن : اذا استمسك وتوقف وتجمع ، ومنه جبرت العظم ونحوه : اى قوتيه (١٣) •

---

(٩) النباك : واحدها نبكة وهى التل أو الأكمة •

(١٠) فى مادة (هوى) فى اللسان نسبه الى ابن أحمر •
أهوى : هوى وانقض عليها وسقط ـ والمشقص : السهم العريض ـ والحشر: اللطيف الدقيق ـ وشبرقها : مزقها ـ يريد أن عينه أصابها سهم ففقأها ـ وكان من قبل مشفقا عليها حريصا على ألا ينالها شيء ، حتى ان الاثمد القرد كان يراه قذى لها ـ وفى رواية اللسان فى هوى : « مشقصا » •

(١١) هذا الباب يتصل بالباب التالى ولذلك أخرنا جزءا من الباب التالى فى الدراسة السابقة لأن مكانه الطبيعى ياتى بعد هذا •

(١٢) بانونى : بانواعنى وفارقونى ـ والمنجنون : مـا يستقى به وهو الدولاب ـ وأنظر نوادر أبى زيد ٦٠ •

(١٣) الخصائص (السابق) ح ٢ ص ١٤٩ •

وقد تعرض الدكتور ابراهيم أنيس لموضوع هذا الباب تعرضا خفيفا على النحو الآتى حيث قال عن ابن جنى انه : « يمثل له عادة بكلمات مثل : أز – وهز – والجثل – والجفل – ونحو هذا » – ثم أضاف فاجدر به أن يعد من الكلمات التى تطورت أصواتها – والتى تبحث عادة فى فصل القلب والابدال » (١٤)

ثم يعرض بعد ذلك مباشرة مبحثا تحت عنوان « القلب والابدال » (١٥) يتناول هذا الموضوع بدراسة تحليلية مفصلة بادئا بابن السكيت متسلسلا الى العلماء الذين جاءوا بعده مبينا أن هذا البحث عند علماء العربية اتخذ طريقين أحدهما على يد اللغويين والآخر على أيدى النحويين ...

وأوضح أبعاد قضية القلب والابدال الصوتى ومفهومها لدى علماء العربية القدماء ومفهومها لدى المحدثين وكيف تعالج وعرض لها علاجا تحليليا علميا دقيقا .

وتبين أمام البحث أن ما جاء عند الدكتور ابراهيم انيس فى مبحث القلب والابدال مخالف تمام المخالفة للفكرة التى تعرض ابن جنى لشرحها فى هذا الباب . فابن جنى يتحدث عن أصوات تتقارب فتتقارب المعانى ولكن تبقى لكل كلمة دلالتها المستقلة تماما – أما الدكتور أنيس فيتحدث عن القلب والابدال الذى يصيب الكلمات لأسباب متعددة يتضح ذلك على النحو الآتى : –

يعرض الدكتور ابراهيم أنيس لرسالة القلب والابدال عند ابن السكيت ويقول عن ابن السكيت : انه جمع فيها نحو ٣٠٠ كلمة من كلمات اللغة العربية تميزت هذه الكلمات بان كل اثنين منهما تعبران عن معنى واحد ، ولا يختلف لفظهما الا فى حرف واحد مثل التهتان – والتهتال ، فكل منهما تعنى سقوط المطر ، ولا يختلف اللفظ الا فى أن النون فى الأولى قد حلت محل اللام فى الثانية .

---

(١٤) من أسرار اللغة (السابق) ص ٥١ .
(١٥) السابق من ص ٥٢ وما بعدها .

ثم يذكر أن ابن فارس وهو من علماء القرن الرابع الهجرى يشير الى ظاهرة الابدال على أنها من سنن العرب فيقول (١٦) • ومن سنن العرب ابدال الحروف واقامة بعضها مقام بعض ويقولون : « مدحه ، ومدهه » وفرس « رفل ورفن » وهو كثير مشهور ألف فيه العلماء • وقد عرض الدكتور ابراهيم أنيس هذا الموضوع عرضا تحليليا مفصلا بين فيه أن القضية قضية كلمات اتحدت معانيها وأصابها نوع من التطور الصوتى فى بعض حالاتها ، أو أصابها تصحيف فى حالات أخرى ـ أو هى من المترادفات التى اختلفت صورها فى البيئة اللغوية الواحدة ـ أو انها اختلفت صورها نتيجة لاختلاف البيئات اللغوية •• ولكن ••• المعانى واحدة ••••،•••• (١٧) وهكذا يعكف الدكتور ابراهيم أنيس على قضية أخرى غير تلك التى يعالجها ابن جنى وان كان قد أدخل عمل ابن جنى فيما يعالجه فالواقع أنه لاعلاقة بين القضية التى يعرضها الدكتور أنيس والعمل الذى يقوم به ابن جنى فى بابه هذا •••

فابن جنى يعرض هنا موضوعا مخالفا تماما ، انه لايتعرض لترادفات ، انه يعرض كلمات اختلفت معانيها بسبب اختلاف حرف من أحرفها •

••،•• أنه يعرض نظرية الفونيم بمفهومها الحديث ـ فى أدق صورها • ويتدرج بها مرتبة تلو أخرى ••• انه تنبه الى مراحل فى نظرية الفونيم لم يصل اليها اللغويون المحدثون حتى اليوم • ولكنهم لا محالة سيتعرضون لها ولكن بعد حين من النضج فى البحث اللغوى أى أن فهم ابن جنى للغة العربية جعل العربية تمده بخصائص فى هذه النظرية لم يصل اليها اللغويون الغربيون حتى اليوم ••

---

(١٦) الصاحبى لابن فارس ص ١٧٣ •

(١٧) تستحب قراءة هذا المبحث فى المرجع السابق ص ٥٢ الى ص ٦٩ وقد عرضه الدكتور أنيس عرضا علميا تحليليا دقيقا تتبع فيه الظاهرة وكيف عالجها القدماء ، وكيف ينبغى أن ننظر اليها من وجهة نظر الدرس اللغوى الحـــديث •

أنه تحدث عن الوحدات الصوتية (الحروف) التى يتغير بموجبهـا معنى كلمة عن كلمة أخرى اتحدت حروفهما واختلف حرف واحد فيهما فاعطى كل واحدة منهما معنى مخالفا ـ فالصوتان يمثلان وحدتين صوتيين مختلفتين يتغير بموجبهما معنى الكلمتين (Minimal Pairs) .

ثم يتدرج مرحلة أعلى يبحث من خلالها الصوتين عندما يتقاربان ويحدث أن يختلفا ولو فى صفة واحـدة ويسلط ضوء البحث على مثل هذه الثنائيات الصوتية (Minimal Pairs) عندما يكون الاختلاف بينهما فى المخرج مثلا أو فى بعض الصفات الخاصة بالجهر أو الهمس أو الخاصة بكيفية مرور الهواء من حيث الشدة (Plosive) أو الرخاوة ... الى آخره ...،.. ويرى أنه : لـما تقارب الصوتان المختلفان فى الصفات تقارب المعنى العام للكلمتين ولـكن بقى لكل واحدة منهما معنى مخالف عن الأخرى أى أن الحرفين تقاربا لتقارب المعنى يقول ابن جنى (... أن تتقارب الحروف لتقارب المعانى وهذا باب واســـع).

من ذلك :

تؤز أزا = أز

تهز هزا = هز

اختلف الحرف الأول من الكلمتين ـ الأولى بدأت بالهمزة ـ والثانيـة بدأت بالهاء .

والأولى تـؤز بمعنى تزعج ، وتقلق ـ والثانيـة تهز من الهز فالمعنيـان مختلفان فأزعج أو أقلق شىء ـ أما هز فشىء آخر تماما لاشك فى ذلك ..

يقول ابن جنى : والهمزة أخت الهاء ـ فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة (وهو الاقلاق) لأنها أقوى من الهاء وهذا المعنى اعظم فى النفوس من الهز .. المعنيان مختلفان ولـكن ابن جنى يدخلهما تحت قانون التقارب لما حدث بين الحرفين المختلفين فيهما من تقـارب (١٨).

---

(١٨) سيأتى الحديث عن قانون التقارب .

ومنه أيضا : العسف = عسف

والأسف = أسف

ومعنى العسيف فى اللغة الأجير ـ ومعنى الأسيف الشيخ الكبير ومن اشتد به الأسف والمعنيان مختلفان أيضا وبينهما فرق كبير ، بين الاجير ـ وبين الشيخ الكبير أو من اشتد به الأسف ولكن ابن جنى يطبق عليهما قانون التقارب ويقول ابن جنى : والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها ٠ والهمزة أقوى من العين كما أن الأسف أغلظ من التردد بالعسف ، فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين ـ أنظر ماذا قال تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين قانون التقارب ، الالفاظ تقاربت فتقاربت المعانى ٠

أى ان الحرفين المختلفين تقاربا فى الصفات فتقارب المعنى العام للكلمتين لكن لكل واحدة منهما معناها الخاص بها ٠

وبعد أن عرض أمثلة يختلف فيها الحرف الأول من الكلمتين انتقل الى أمثلة أخرى يختلف فيها الحرف الثانى من أحرف الكلمتين فقال :

ومنه القرمة وهى الفقرة تحز على أنف البعير

٠٠ وقلمت أظفارى فمعناهما مختلفان على نحو ما هو واضح اختلافا بعيدا

قرم / ر /

قلم / ل /

ولكن ابن جنى يوجد بينهما قرابه على نحو ما مر ، فالقرابه بين المعنيين بسبب القرابة بين الحرفين المختلفين فى كل كلمة منهما ٠

ثم يعقب على المثل بقوله « فالراء أخت اللام والعملان متقاربان » ٠ أى أن المعنيين متقاربان لتقارب الحرفين ولكن لكل كلمة معناها الخاص بها ٠

ومثله : الجرفه وهى من = جرف

والجلفة وهى من = جلف = جلفت القلم

« وقريب منه » كما يقول : الجنف ـ وهو الميل = (جنف)

جرف / ر /

جلف / ل /

جنف / ن /

اتحدت حروف الكلمات الثلاث الا فى الحرف الثانى من كل كلمة وأختلفت المعانى نتيجة لاختلاف هذا الحرف·ولكن لقرب هذه الحروف الثلاثة المختلفةمن الصفات اقتربت معانى الكلمات الثلاث ولكن بقيت لكل كلمة دلالتها الخاصة بها · فالقرابة بين الأحرف المختلفة من الكلمات الثلاث قربت بين معانى الكلمات الثلاث وان بقيت لكل كلمة دلالتها ·

ومثال آخر للحرف الثانى عندما يختلف فى كلمتين اتحدت حروفهما فيختلف معناهما ·

ع ل م = من العلامة ـ والعلم ـ = ع / ل / م

ع ر م = من بيضة عرماء وقطيع أعرم = ع / ر / م

أنظر مدى اختلاف المعنى بين الكلمتين ولكن القرابة بين الحرفين المختلفين فيهما قربت معنييهما وان بقيت لكل دلالتها الخصة بها ·

ومن ذلك :

ح م س = من حمس الشر اذا شتد = ح / م / س

ح ب س = من حبست الشىء = ح / ب / س

اختلاف بين المعنيين ولكن قرابة بين الحرفين المختلفين قربت بين المعنيين العامين على نحو ما شرح ولكن بقيت لكل كلمة دلالتها الخاصة المستقلة بها ·

ثم ينتقل بعد ذلك الى أمثلة يختلف فيها الحرف الأخير من الكلمتين ولكن بين الحرفين المختلفين تقارب فيختلف المعنى : ومنه :

العلب = الأثر

والعلم = الشق فى الشفة العليا

والأول من : علب • عل / ب /

والثاني من : علم • عل / م /

والباء أخت الميم كما يقول • فالقرابة بين الباء والميم قربت بين معنى الكلمتين ولكن لكل واحدة دلالتها ••

ومنه : ق ر د = قالوا للارض قردد قر / د /

و ق ر ت = وقالوا قرت الدم قر / ت /

فالأول من قرد الشيء وتقرد اذا تجمع

والثاني من قرت الدم عليه أى جمد

ويقول : « والتاء أخت الدال كما ترى »

والمعنيان مختلفان كما هو واضح ـ ولكن القرابة بين التاء والدال قربت بين المعنيين على ما أوضح ذلك في شرحه الذى مر ـ ولكن بقيت لكل كلمة دلالتها المستقلة •

ومن ذلك : العلز

والعلص

والعلز : خفة وطيش وقلق يعرض للانسان = ع ل ز

وقالوا : العلوص = لوجع في الجوف يلتوى له الانسان ويقلق منه = ع ل ص ـ فالمعنيان مختلفان ـ ثم يضيف ابن جنى قائلا : « فذاك من علز وهذا من علص والزاى أخت الصاد » ـ

ومنه : الغرب غر / ب /

و الغرف غ ر / ف /

والغرب الدلو العظيمة

والغرف معروف

ثم يضيف قائلا : فذاك من غرب غ ر / ب /

وهذا من غرف » • غ ر / ف /

ومنه أيضا : جبل / ل /

جبن / ن /

جبر / ر /

ثلاث كلمات اختلف فيها الحرف الأخير فقط ولكن لتقاربه كما يقول ابن جنى تقاربت معانيها ، وهو الالتئام والتماسك :

منه الجبل لشدته

و الجبن اذا تماسك (جبن = استمسك وتوقف وتجمع)

و جبرت العظيم ونحوه أى قويته •

فتقارب الحروف المختلفة بينها قرب معناها ولكن بقيت لكل كلمة دلالتها الخاصة بها •

- فتلك دراسة صوتية (فونيمية) للواحدات الصوتية التى يتغير بها معنى الكلمة عن أختها ولكن ابن جنى هنا يرتقى بتلك الدراسة مرحلة أعلى تدخل تحت قانون التقارب وقانون التتابع عندما تتقارب الحروف المختلفة فى درس الفونيم تتقارب المعانى العامة للكلمات وان بقيت لكل واحدة دلالتها الخاصة بهـــا ••• ، •••

ومما تجدر الاشارة اليه أن ما يذهب اليه ابن جنى فى هذا الصدد يتفق مع مايراه العلماء المحدثون وما يصنعونه ويتوصلون اليه من قوانين علمية خاصة بقوى الادراك عند الانسان • فمثلا هناك قانون التشابه (law of similarity) ـ وقد جاء هذا القانون ضمن قوانين وضعها فير تيمر Wertheimer سنة ١٩٢٣ كعناصر فعالة فى تكوين أنماط الادراك الحسى عند الانسان •

ومؤدى هذا القانون : أن الأشكال المتشابهة تميل الى أن تتجمع فى وحدة أدراكية متكاملة •

وقد استخدم هذا القانون فى مجال التعلم وتبين من تطبيقه أن المعلومات المتشابهة والخبرات المتشابهة على اختلاف أنواعها سواء كانت خبرات معرفية أو خاصة باكتساب مهارة من نوع ما تميل الى التجمع لتكوين وحدات معرفية أو مهارة متكاملة يزيد فيها اتضاح المعنى •

ويمهد هذا القانون لقانون التقارب (Law of proximity) الذى على ضوئه يتضح أن تقارب الأشياء من العوامل المساعدة على ادراك المجموعات الحسية والتجربة التى توضح ذلك أنك عندما ترسم عددا من الخطوط المتوازية على صفحة بيضاء فان الخطوط المتقاربة تميل الى تكوين وحدات فمثلا : الخطوط المرسومة يدركها الانسان على هيئة مجموعات حسب تقاربها (١٩) يوحد ادراك الانسان بين كل مجموعة وأخرى وهكذا الشأن فى الادراك اللغوى بالنسبة للكلمات ٠

/// /// ///// // // ///

ويوضح ما نحن بصدده أيضا قانون التبعية (Law of belongingness) ومؤداه أن الفرد أقدر على تعلم الأشياء التى يرتبط بعضها مع البعض الآخر (٢٠)

فالادراك الحسى فى المجال اللغوى عند الانسان شأنه شأن الادراك فى بقية المجالات يربط بين الأشياء المتشابهة على اختلاف أنواعها ليكون وحدات معرفية أو مهارة معينة متكاملة ولتكن مهارة لغوية يزيد بسببها اتضاح المعنى وينتج عنها التداعى عند اللزوم سواء ما يتصل بالكلمات أو المعانى ولاسيما فى بيئه بدوية صحراوية تعتمد فيها المهارة اللغوية على الذاكرة وتداعى المعانى والكلمات ليمنبر بها المتكلم فى طلاقة ومهارة فى فصاحة ٠

فابن جنى قريب فى تفسيره من روح البيئة وطبيعة العصر ولاغرابة فى ذلك نمعايشته للأعراب والناطقين بالعربية فى بيئاتها الزمانية والمكانية معايشة اختلاط وتشرب لروح اللغة كشفت له أبعادها الحقيقية وبصرته بحقيقة اللغة (وسيكلوجيتها) و (سيكلوجية) الناطقين بها ٠ وهذا يريك كيف أن معانى الكلمات كانت ترتبط بما فى البيئة من محسوسات وتنبثق عنها وان هو الا تداعى ، وتقارب فينبثق معنوى من محسوس ويتفاعل

---

(١٩) أنظر كتاب التعلم : دراسة نفسيه تفسيرية توجيهية ٠ د٠ رمزية الغريب ٠ (الأنجلو المصرية) ص ٢٧٥ / ٢٧٦ واقرأ غير ذلك من قوانين تتصل بهذا ٠

(٢٠) السابق : التعلم دراسة نفسية ٠٠ ص ١٢٩ ٠

معنوى مع حسى فيتولد معنى جديد وهكذا تتتابع الرموز مع الأشياء مع المعانى فى تفاعل وتداع لايقدر على تتبعه الا من ألهم الاحاطة بها وعايش مستعملى اللغة فى زمانها ومكانها معايشة تشرب وفهم ودرس ووفق للمنهج ورزق البصيرة والجلد وهذا ما يكشف عنه عمل ابن جنى الذى بين أيدينا ...

ثم يعقب ابن جنى هذه المرحلة من البحث بمرحلة أعلى حيث يتغير فيها معنى الكلمتين بتغير أصلين من الأصول الثلاثة ويبقى أصل واحد فقط هو المتحد فى الكلمتين ـ مع ملاحظة وجوب وجود قانون التشابه السابق (law of similarity) أو قانون التقارب (law of proximity) الذى سبقت الاشارة اليه ـ فالأصلان اللذان تغير بموجبهما معنى الكلمتين متقاربان فقرب ذلك بين معنى الكلمتين ولكن بقيت لكل دلالتها الخاصة ـ وبقى لها معناها المميز .

يقول ابن جنى فى ذلك (٢١) : ـ

« وقد تقع المضارعة فى الأصل الواحد بالحرفين نحو قولهم : السحيل ، والصهيل ـ قال (٢٢) .

كان سحيله فى كل فجر على أحساء يمؤود دعاء (٢٣)

وذاك من (/ س / ح /)
وهذا من (/ ص / هـ /)

والصاد أخت السين ـ كما أن للهاء أخت الحاء

ونحو منه قولهم (سحل) فى الصوت و(زحر) والسين أخت الزاى كما أن اللام أخت الراء .

---

(٢١) بعد قوله السابق مباشرة . (الخصائص) : السابق ح٢ ص ١٤٩
(٢٢) زهير بن أبى سلمى فى قصيدة التى مطلعها :
عفا من آل فاطمة الجواء فيمن فالقوادم فالحساء
(٢٣) يتحدث عن الحمار الوحشى . وسحيله = صوته ـ ويمؤود : واد فى أرض عطفان والاحساء : الرمال يكون فيها الماء ـ وانظر الديوان بشرح ثعلب طبعة الدار ٧٠

وقالوا (جلف ـ وجرم) ـ فهذا للقشر ـ وهذا للقطع ـ وهما متقاربان معنى متقاربان لفظا ـ لأن ذاك من (ج ل ف) وهذا من (ج ر م)

وقالوا : صال يصول ـ كما قالوا : سار يسور :

ثم يعقب ابن جنى هذه المرحلة بمرحلة أعلى حيث يتغير معنى الكامتين بتغير الأصول الثلاثة ـ مع ملاحظة وجوب وجود قانون التشابه السابق ـ أو قانون التقارب ـ فتقارب الأصول الثلاثة رغم تغيرها قرب بين معنى الكلمتين وان اختلفت دلالة كل واحدة منهما عن الأخرى .

يقول ابن جنى متبعا قوله السابق (٢٤) .

« نعم وتجاوزوا ذلك الى أن ضارعوا بالأصول الثلاثة (الفاء والعين واللام) فقالوا : عصر الشيء ، وقالوا أزله ، اذا حبسه ـ والعصر ضرب من الحبس . وذاك من عصر ، وهذا من أزل ـ والعين أخت الهمزة والصاد أخت الزاى ـ والراء أخت اللام .

وقالوا الازم : المنع ـ والعصب : الشد ، فالمعنيان متقاربان ـ والهمزة أخت العين والزاى أخت الصاد ، والميم أخت الباء وذاك من أزم وهذا من عصب .

وقالوا : السلب والصرف ، واذا سلب الشيء فقد صرف عن وجهة فذاك من سلب وهذا من صرف والسين أخت الصاد واللام أخت الراء والباء أخت الفـــاء .

وقالوا : الغدر كما قالوا : الختل ، والمعنيـان متقـاربان ، واللفظـان متراسلان فذاك من غ در وهذا من خ ت ل فالعين أخت الخاء والدال أخت التاء والراء أخت للام .

وقالوا : زأر كما قالوا سعل لتقارب اللفظ المعنى .

وقالوا عدن بالمكان كما قالوا تأطر أى أقام وتلبث .

وقالوا : شرب كما قالوا : جلف لأن شارب الماء مفن له ، كالجلف للشيء

وقالوا : ألته حقه ، كما قالوا عانده وقالوا : الأرفة للحدبين الشيئين كما

---

(٢٤) الخصائص (السابق) ص ١٥٠ .

قالوا : علامة • وقالوا : قفز كما قالوا كبس • وذلك أن القافز اذا استقر على الأرض كبسها ـ وقالوا صهل كما قالوا : زأر •

وقالوا : الهتر ، كما قالوا : الادل (٢٥) وكلاهما : العجب •

وقالوا : كلف به كما قالوا تقرب منه ، وقالوا تجعد كما قالوا : شحط وذلك أن الشيء اذا تجعد وتقبض عن غيره شحط وبعد عنه ـ ومنه قول الأعشى :

اذا نزل الحى حل الجحيش شقيا غويا مبينا غيورا (٢٦)

وذاك من تركيب (جعد) وهذا من تركيب (شحط) فالجيم أخت الشين والعين أخت الحاء والدال أخت الطاء ـ

وقالوا (السيف)و(الصوب) وذلك أن السيف يوصف بأنه يرسب فى الضريبة لحدته ـ ومضائه ولذلك قالوا : سيف رسوب وهذا هو معنى : صاب يصوب اذا انحدر ـ فذاك من (سيف) وهذا من (صوب) فالسين أخت الصاد ـ والياء أخت الواو ـ والفاء أخت الباء •

وقالوا : جاع يجوع ـ وشاء يشاء ـ والجائع مريد الطعام لامحالة ـ ولهذا يقول المدعو الى الطعام اذا لم يجب : لا أريد ـ ولست اشتهى ـ ونحو ذلك • والارادة هى المشيئة فذاك من (ج و ع) وهذا من (ش ى أ) والجيم أخت الشين ـ والواو أخت الياء والعين أخت الهمزة •

وقالوا : فلان حلس بيته اذا لازمه ـ وقالوا ارز الى الشيء اذا اجتمع نحوه ـ وتقبض اليه ، ومنه : ان الاسلام ليارز الى المدينة وقال (٢٧) •

---

(٢٥) هذا صحيح فى الهتر • جاءت به اللغة ـ فاما الادل فهو وجع يأخذ فى العنق وهو أيضا اللبن الخاثر الشديد الحموضة •

(٢٦) فى رواية : حريد المحل غوياً غيورا •

وهو فى وصف رجل غيور على امرأته فاذا نزل بها فى السير اعتزل القوم بها ـ وأنظر الصبح المنير ٦٨ ـ واللسان (جحش) والجحيش يروى بالنصب على الظرفية أى المكان المنفرد ـ ويروى بالرفع أى زوجها المعتزل بها عن الناس•

(٢٧) زهير •

بآرزه الفقارة لم يخنها   قطاف فى الركاب ولا خلاء (٢٨)

فذاك من (ح ل س) وهـذا من (أرز) فالحاء أخت الهمزة واللام أخت الراء والسين أخت الزاى •

وقالوا : أفل • كما قالوا غبر لأن أفـل : غاب ، والغابر : غائب أيضـــا فذاك من (أ ف ل) ـ وهذا من (غ ب ر) فالهمزة أخت الغين والفــاء أخت الباء واللام أخت الراء •

وهذا النحو من الصنعة موجود فى أكثر الكلام وفرش اللغـــة ، وانما بقى من يثيره ويبحث عن مكنونه ـ بل من اذا أوضح له ، وكشفت عنده حقيقتـــه طاع طبعه لها فوعاها وتقبلها وهيهات ذلك مطلبا ، وعز فيهم مذهبا وقد قـال أبو بكر (٢٩) « من عرف ألف ـ ومن جهل استوحش » (٣٠) •

فابن جنى يتابع دراسة الظاهرة اللغوية التى هو بصدد استقصائها فى كل أوضاعها وجميع حالاتها رابطا واقع اللغة المحسوس بعالمها المعنوى مستخدما فى ذلك حسه اللغوى وتشربه لروح اللغة التى ملكت عليه مشاعره وأحاسيسه فوعاها وتمثلت خصائصها له فاخذ يقدمها فى منهج وصفى تحليلى •

وهو يرتقى مرحلة أعلى من الدرس والبحث والتامل فى بيان تلك الخاصة التى تعرف فى الدرس اللغوى الحديث بظاهرة « الفوينم » الواحدات الصوتية التى يتغير بموجبها معنى كلمة عن أخرى اتحدت حروفها وإختلف حرف واحد منها فأعطى كل واحدة معنى مخالفا وقد تحدث فى المرحلة التى مرت عن الثنائيات الصوتية (Minimal Pairs) أى عندما يكون الاختلاف بين الكلمتين فى حرف واحد (أو وحدة صوتية واحدة (Unit)

---

(٢٨) أرزه الفقارة : أى قوية ـ وهو من وصف الناقة وذلك أن فقارها آرز : متداخل مجتمع : وذلك من قوتها ـ « ومن لم يخنها » : لم ينقصها •
والتطاف : مقاربة الخطو ـ والخلاء فى الابل كالحران فى الدواب •
أنظر الديوان ـ بشرح ثعلب (الدار) ٦٣ •
(٢٩) ابن السراج •
(٣٠) الخصائص (السابق) ص ١٠٢ •

ولكنه ركز حديثه على الوحدات اللغوية المختلفة عندما تتقارب فيتم نتيجة لتقاربها تقارب فى المعنى ٠

وهو فى المرحلة التى بين أيدينا الآن يرتقى بالوحدات الصوتية المختلفة مرتبة أعلى فبدل أن تكون فى كل كلمة وحدة صوتية واحدة مختلفة يجعل الاختلاف بين وحدتين فى كل كلمة من الكلمتين أى يبقى حرف واحد فقط من الأصول الثلاثية للكلمة هو المتحد فى الكلمتين ويختلف من كل كلمة حرمان ولكن تجمعها صلة القربى اما فى المخرج واما فى الصفات ما بين عامة وخاصة وبسبب التقارب بين هذه الحروف المختلفة يتم تقارب بين المعانى العامة للكلمات ولكن تظل لكل كلمة دلالتها الخاصة بها ٠ ومن الأمثلة على ذلك ما يأتى به حيث يقول :

« وقد تقع المضارعة فى الأصل الواحد بالحرفين نحو قولهم :

السحيل س ح ل = سحل ٠

والصهيل ص هـ ل = صهل ٠

ثم يقول : الصاد أخت السين

كما أن الحاء أخت الهاء

السحيل = صوت الحمار الوحشى ٠

والصهيل = صوت الحصان ٠

ثم يقول : ونحو منه :

سحل س ح ل

وزحر ز ح ر

ثم يقول : والسين أخت الزاى

كما أن اللام أخت الراء

وقالوا : جلف

وجرم

فالأول للتشر ـ والثانى للقطع ٠

ثم يقول : وهما متقاربان معنىً ـ متقاربان لفظا •

لأن ذاك من جلف

وهذان جرم

وقـــالوا : صال يصول

كما قالوا : سار يسور

ثم يرتقى ابن جنى بالوحدات الصوتية المختلفة الى مرتبة النهاية فبعد أن كان الاختلاف بين وحدتين فى كل كلمة من الكلمتين أى أن الاتحاد كان فى أصل واحد من الأصول الثلاثية للكلمة يجعل الاختلاف بين الكلمتين فى الأصول الثلاثة ولكن تجمع هذه الثلاثة المختلفة صلة القربى اما فى المخرج أو الصفت ما بين عامة وخاصة ـ وبسبب هذا التقارب بين هذه الأصول الثلاثة فى الصفات العامة أو الخاصة تقاربت المعانى العامة للكلمتين وان ظلت لكل كلمة دلالتها الخاصة بها •• فتقارب الأصول رغم تنوعها قرب معنى الكلمتين ولكن ظل لكل كلمة معناها الخاص بها ومن الأمثلة على ذلك ما يأتى به ابن جنى حيث يقـــول :

« نعم وتجاوزوا ذلك الى ان ضارعوا بالأصول الثلاثة (الفاء والعين والـلام) (٣١) •

فقالوا : عصر الشيء = ع ص ر

وقالوا : ازله = أ ز ل اذا حبسه ـ

والعصر ضرب من الحبس :

فهذا من : ع ص ر

وهذا من : أ ز ل

والعين أخت الهمزة

والصاد أخت الزاى

والراء أخت اللام

---

(٣١) من الواضح أنه يتحدث عن بنيات شكلية وصيغ صرفية • دون أن يحدد مادة بعينها فهذا ينطبق على أى مادة ـ

وقالوا : الأزم = المنع = أزم

والعصب = الشد = ع ص ب

فالمعنيان متقاربان

والهمزة أخت العين

والزاى أخت الصاد

والميم أخت الباء

وذاك من أزم .

وهذا من عصب .

وقالوا : السلب = سلب

و الصرف = صرف

واذا سلب الشيء فقد صرف عن وجهه

فذاك من س ل ب

وهذا من ص ر ف

والسين أخت الصاد .

واللام أخت الراء .

والباء أخت الفاء .

وقالوا : الغدر = غ د ر

كما قالوا : الختل = خ ت ل

والمعنيان متقاربان .

واللفظان متراسلان .

فذاك من : غ د ر .

وهذا من : خ ت ل .

فالغين أخت الخاء

والدال أخت التاء

والراء أخت اللام

قالوا : ز ا ر = ز آ ر

كما قالوا : س ع ل = سعل

لتقارب اللفظ والمعنى .

وقالوا : عدن بالمكان ع د ن

كما قالوا : تاطر أى أقام وتلبث ا ط ر

وقالوا : شرب ش ر ب

كما قالوا : ج ل ف جلف

لأن شارب الماء مفن له ـ كالجلف للشيء

ش – ج

ر – ل

ب – ف

كما قالوا : ألته حقه = ا ل ت

كما قالوا : عانده = ع ن د

ا – ع

ل – ن

ت – د

وقالوا : الأرفة للحدبين الشيئين أ ر ف

كما قالوا : علامة ع ل م

ا – ع

ر – ل

ف – م

وقالوا : قفز = ق ف ز

كما قالوا : ك ب س = ك ب س

وذلك أن القافز اذا استقر على الأرض كبسها .

وقـــالوا : صهيل = ض هـ ل

كما قالوا : ز أ ر = ز أ ر

ص ـ ز

هـ ـ أ

ل ـ ر

وقـــالوا : الهتر هـ ت ر

كما قالوا : الادل ا د ل

وكلاهمـــا التعجب •

وقـــالوا : كلف به ك ل ف

كما قالوا : تقرب منه ق ر ب

ك ـ ق

ل ـ ر

ف ـ ب

وقـــالوا : تجعد = ج ع د

كما قالوا : شحط = ش ح ط

وذلك أن الشيء اذا تجعد وتقبض عن غيره شحط وبعد عنه •

وذاك من تركيب ج ع د

وهـذا من تركيب ش ح ط

فالجيم أخت الشين

والعين أخت الحاء

والدال أخت الطاء

وقالوا : السيف س ي ف

والصوب ص و ب

وذلك أن السيف يوصف بأنه يرسب فى الضريبة لحدته ومضائه ولذلك قالوا سيف رسوب وهذا هو معنى صاب يصوب اذا انحدر •

فذاك من سيف　　　س ى ف

وهــذا من صوب　　　ص و ب

فالسين أخت الصاد

والياء أخت الواو

والفاء أخت الباء

وقالوا : جاع يجوع

وشاء يشاء

والجائع مريد الطعام لا محالة ـ ولهذا يقول المدعو للطعام اذا لم يجبه لا أريد ـ والارادة هى المشيئة

فذاك من (ج و ع)

وهــذا من (ش ى أ)

والجيم أخت الشين

والواو أخت الياء

والعين أخت الهمزة

وقالوا : فلان حلس بيته اذا لازمه　　　ح ل س

وقالوا : أرز الى الشيء اذا اجتمع نحوه　　　أ ر ز

فذاك من ح ل س

وهــذا من أ ر ز

فالحاء أخت الهمزة

واللام أخت الراء

والسين أخت الزاى

وقــالوا : أفل　　　أفل

كما قالوا : غ ب ر　　　غبر

لأن أفل = غاب

والغابر = غائب أيضا

وهـذا من غبر

فذاك من أفـل

فالهمزة أخت الغين

والفاء أخت الباء

واللام أخت الراء

وان الذى جمعه السيوطى داخل فى هذه المرحلة ويمثل مرحلة عند ابن جنى وهى تلك المرحلة الأولى التى تعرف فى الدراسة اللغوية الحديثـــة بالفونيم (phonem) وهو الوحدة الصوتية الصغرى التى تختلف فى كلمتين اتحدتا فى المكونات فيتغير بموجب هذه الوحدة اللغوية الصغرى المعنى فمثلا قرم ، قلم = كلمتان اتحدتا فى المكونات ق م واختلفت الأولى بأن اختصت بالراء واختصت الثانية باللام فتغير بموجب هذه الوحدة الصغرى معنى الأولى عن معنى الثانية ·

ومثال آخر أيضا جرف ــ جلف ــ جنف الموكونات فى الكلمات واحـــدة الجيم والفاء فى الثلاث واختصت الأولى بالراء فتغير بموجبها معناها واختصت الثانية باللام فتغير بموجب هذه الوحدة الصوتية الصغرى وهى اللام معنى الكلمة الثانية ــ واختصت الثالثة بالنون فتغير بموجب هذه النون معنى الكلمـــة الثالثة ــ من ثم يعد هذا الحرف الذى يتغير بموجبه المعنى «فونيما» ــ فالفونيم هو الوحدة الصوتية الصغرى الذى يتغير بموجبه المعنى وهذا ما أوضحه ابن جنى ولكن ابن جنى زاد فى هذه النظرية المحدثة أن ارتقى فى دراستها مرحـــلة تلو مرحلة على نحو ما رأينا فابن جنى فى هذه الدراسة رائد ــ وتلك النظرية اللغوية المحدثة هى فى تراثنا ذات أبعاد ولها مراحل ومراتب لم يصل اليها الغربيون حتى اليوم وذلك بسبب ما تتمتع به العربية من خصائص لا توجد فى غيرهـــا ·

ومن ناحية ثانية فان السيوطى لم يزد فيما جمع من مادة تحت عنوان المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى عن هذه المرحلة الأولى عند ابن جنى التى تمثل نظرية الفونيم عند الغربيين وسوف يتبين من التحليل أن جميع المادة التى جمعها السيوطى عن أئمة اللغة فى هذا الصدد تتصل بتلك المرحلة ولاتزيد فهنا نظرية لغوية مستقلة وضع أسسها ابن جنى وجمع المادة الخاصة بهـا السيوطى ولهذه النظرية قيمتها فى الدراسة اللغوية وهى عند الغربيين من

أحدث نظرياتهم فى اللغة فمن الظلم للغتنا ولعلمائنا أن ندع ريادتهم فى اكتشاف النظريات اللغوية ووضع أسسها ونتشبث بما لا نقع فيه ـ وأن نحصر فكرنا داخل دائرة المناسبة أو الرمزية ٠

وندع ما توصل اليه ابن جنى من قوانين تتصل بهذه النظرية مما تمثل خصائص للعربية طبقها ابن جنى ولم يصل اليها غيره ونحصر فكره وفكر علمائنا داخل أوهام المناسبة بين اللفظ والمعنى ٠

فقد طبق ابن جنى بفطرته على بعض الظواهر اللغوية الموجودة بين أيدينا قوانين متعددة توصل اليها العلماء المحدثون اخيرا واستفادوا منها فى مجالات مختلفة (٣٢) ٠٠٠،٠٠٠ وقد جاء تطبيق ابن جنى لها معتمدا على دقته فى الملاحظة مع فهمه لروح اللغة ودقة حسه فيها وتفاعله تفاعلا قويا فى معايشته للناطقين بها وفهمه لاستعمالاتهم وربطهم بين الرمز اللغوى والشىء الدال عليه والمعنى المختزن له فى الذهن ٠

وان ما يعرف اليوم بقانون التبعية (law of belongingness) الذى مؤداه أن الانسان يتعامل مع الأشياء المحيطة به عن طريق ترابط يكون حالة اتباعية استجابات بين الادراك الحسى والمدركات ، وأن ادراك الانسان يربط الأشياء بعضها ببعض مما ينتهى بالمخزون المدرك عند الاستدعاء الى حالة تداعى المعانى حيث يدعو بعضه بعضا ٠

وبذلك تتحقق تبعية الاسجابات للمواقف ـ وقد استفيد من هذا القانون فى مجالات متعددة ومن أهمها مجال التعلم حيث ان التعلم يكون اسرع فى التكوين فى حالة تبعية الاستجابات للمواقف (٣٣) ٠٠٠وهذا له اليوم فى مجال الدراسات اللغوية النفسية أهمية بالغة ٠٠،٠٠ ـ فأين هى الرمزية الصوتية فى كل هذا ، فاذا جئنا اليوم وحصرنا هذا الجهد الخلاق فى مجال دائرة الرمزية الصوتية والعلاقة أو المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعانى نكون

---

(٣٢) منها ما يتصل بعلم النفس اللغوى (physcholinguitics) ومنها ما يتصل بالادراك الحسى عند الانسان والجهاز العصبى والوظائف العصبية Cellular functions ومنها ما يتصل بعملية التعلم ٠

(٣٣) اقرأ : التعلم (السابق) ـ ص ١٢٩ ٠

قد أساءنا الى تراثنا والى فكر علمائنا • وان ما صنعه ابن جنى فى هذا المجال يعد نوذجا يحتذى تطبق عليه أعمال اللغويين العرب القدماء الذى جمعه جلال الدين السيوطى واتخذ منه معضدا وسندا لايمانه بقضية المناسبة الطبيعية ••••،••: أو الرمزية الصوتية ••

ونتناول بالتحليل الأساس الذى بنى عليه الدكتور صبحى الصالح رأيه فى هذه القضية •

وأن نظرة واحدة على ما قدمه جلال الدين السيوطى تكشف عن مدى مسئوليته عما آل اليه الأمر فى هذه القضية ••••،•• فقد جمع حشدا من أقوال العلماء ليؤيد وجهة نظره فى هذه القضية التى صهرها فى بوتقة توقيفية اللغة واتخذ الدكتور صبحى الصالح منها أساسه ومنطلقه ـ

ونعرض نص ما جاء عند السيوطى •

فقد جاء بعد نصه السابق مباشرة وتكملة له قوله : (٣٤) •

« وقد عقد ابن جنى فى الخصائص بابا لمناسبة الالفاظ للمعانى وقال : اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته » •••،•••

وبعد أن استوفى من ابن جنى ما أراد جاء قوله :

« قلت ومن أمثلة ذلك ما فى الجمهرة : الخنن فى الكلام أشد من الغنن والخنة أشد من الغنة والأنيت أشد من الأنين ، والرنين أشد من الحنين •

وفى الابدال لابن السكيت يقال : القبصة أصغر من القبضة •

قال فى الجمهرة : القبص الأخذ بأطراف الأنامل والقبض الأخذ بالكف كلها •

وفى الغريب المصنف عن أبى عمرو : هذا صوغ هذا ، اذا كان على قدره ، وهذا سوغ هذا اذا ولد بعد ذاك على أثره ويقال نقب على قومه ينقب نقابة من النقيب وهو العريف ، ونكب عليهم ينكب نكابة وهو عون العريف •

وقال الكسائى : القضم للفرس ، والخصم للانسان •

وقال غيره : القضم باطراف الاسنان ، والخصم باقصى الاضراس •

وقال أبو عمرو : النضح بالضاد المعجمة : الشرب دون الرى ، والنضح بالصاد المهملة : الشرب حتى يروى والنشح بالشين المعجمة دون النضح بالضاد المعجمـــة •

وقال الأصمعى من أصوات الخيل : الشخير والنخير والكرير فالأول من الفم والثانى من المنخرين والثالث من الصدر •

وقال الأصمعى : الهتل من المطر أصغر من الهطل •

وفى الجمهرة الطعطه باهمال العين تتابع الأصوات فى الحرب وغيرها ، والنطنطة بالإعجام صوت غليان القدر وما اشبهه ـ والجمجمة بالجيم أن يخفى الرجل فى صدره شيئا ولا يبديه ـ والحمحمة بالحاء أن يردد الفرس صوتـــه ولايصهل والدحداح بالدال : الرجل القصير والرحراح بالراء : الاناء القصير الوأسع ، الجفجفة بالجيم : هزيز الموكب وخفيفه فى السير ـ والحفحفة بالحا حفيف جناحى الطائر ـ ورجل دحدح بفتح الدالين واهمال الحاءين : قصير ـ ورجل دخدخ بضم الدالين واعجام الخاءين : قصير ضخم والجرجرة بالجيم : صوت جرع الماء فى جوف الشارب ـ والخرخرة بالخاء : صوت تردد النفس فى الصدر ، وصوت جرى الماء فى مضيق ـ والدردرة حكاية صوت الماء فى بطـــون الأودية وغيرهـــا اذا تـدافع فسمعت لـــه صوتـــا ـ والغرغرة : صوت ترديد المـاء فى الحلق من غير مج ولا اساغة ـ والقرقرة : صوت الشراب فى الحلق ـ والهرهرة : صوت ترديد الأسد زئيره ـ والكهكهة : صوت ترديد البعير هديره ـ والقهقهة : حكاية استغراب الضحك ـ والوعوعة : صوت نباح الكلب اذا ردده ـ والوقوقة : اختلاط أصوات الطير ـ والوكوكة : هدير الحمام ـ والزغزغة بالزاى: اضطراب الأشياء بالريح ـ والرعرعة بالراء : اضطراب الماء الصافى والشراب على وجه الأرض ـ والزغزغة بالزاى واعجام الغين: اضطراب الانسان فى خفة ونزق ـ والكركرة بالكاف فى الضحك والقرقرة بالقاف: حكاية الضحك اذا استغرب الرجل

فيه — والزفرفة بالراء : صوت أجنحة الطائر اذا حام ولم يبرح — والزفزفة بالزاى : صوت خفيف الريح الشديدة الهبوب •

وسمعت زفزفة الموكب : اذا سمعت هزيزة والسغسغة باهمال السين : تحريك الشيء من موضعه ليقلع مثل الوتد وما اشبهه ومثل السن — والشغشغة بالاعجام : تحريك الشيء من موضعه ليتمكن يقال : شغشغ السنان فى الطخة اذا حركه ليتمكن — والو سوسة بالسين : حركة الشيء كالحلى — والوشوشة بالاعجام : حركة القوم وهمس بعضهم الى بعض » (٣٥) •

الى هنا وما عرضه جلال الدين السيوطى تكمن وراءه نظرية لغوية توصل الغربيون اليها وليس ببعيد أن يكون هاديهم الى اكتشاف تلك النظرية ماعرضه علماء العربية فى التراث مما هو خاص بهذه الظاهرة ••

وفى رأيى أن علماءنا كان من الممكن أن يتنبهوا الى تلك النظرية (٣٦) فهى بين أيديهم وفى تراثهم ومادتها مجموعة غير أن جلال الدين السيوطى قد حصر فكر الباحثين فى ذلك الوادى الذى حدد أبعاده حيث جاء بعد نصه السابق قوله الآتى : —

« فانظر الى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها ، وكيف فاوتت العرب فى هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة فى المعانى ، فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملاً أو صوتا •

وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملا وأعظم حسا » (٣٧) ••

ثم يتبع ذلك مباشرة بفيض من الأمثلة على نحو السابق مباشرة •

فيقول :

« ومن ذلك المد والمط فان فعل المط أقوى — لأنه مد وزيادة جذب فناسب

---

(٣٥) السيوطى : المزهر (السابق) ص ٥٢٥/٥٣ •

(٣٧) السيوطى (السابق) ص ٥٣ •

الطاء التى هى أعلى من الدال ـ قال ابن دريد : المدوالت والمط متقــاربة فى المعنى •

ومن ذلك الجف بالجيم وعاء الطلعة (٣٨) اذ جفت ـ والخف بالخاء : الملبوس ـ وخف البعير والنعامة :

ولاشك أن الثلاثة أقوى وأجلد من وعاء الطلعة فخصت بالخاء التى هى أعلى من الجيم •

ـ وفى ديوان الأدب للفارابى : الشازب : الضامر من الابل وغيرهــا ، والشاصب أشد ضمرا من الشازب ـ وفيه قال الأصمعى : ما كان من الرياح من نفخ فهو برد وما كان من نفح فهو حر ـ

ـ وفى فقه اللغة للثعالبى : اذا انحسر الشعر عن مقدم الرأس فهو أجلح ـ فان بلغ الانحسار نصف رأسه فهو فى أجلى وأجله (٣٩) •

وفيه النقش فى الحائط ـ والرقش فى القرطاس ، والوشــم فى اليــد ، والوسم فى الجلد والرشم على الحنطة والشعير ، والوشى فى الثوب •

وفيه الحوص : ضيق العينين ـ والخوص : غؤورهما مع الضيق •

وفيه : اللسب : من العقرب ، واللسع : من الحية •

وفيه وسخ الأذن : أف ـ ووسخ الأظفار تف •

وفيه اللثام : النقاب على حرف الشفة ، واللفام على طرف الأنف •

وفيه الضرب بالراحة على مقدم الرأس : صقع ـ وعلى القفا : صفع ـ وعلى الخد ببسط الكف لطم وبقبض الكف لكم وبكلتا اليدين لدم ـ وعلى الجبين بالاصبع : وخز ، وعلى الصدر والجنب وكز ولكز ومع الحنك والذقن : وهز ـ ولهز •

---

(٣٨) الطلعة واحدة نور النخل مادام فى الكافور •

(٣٩) الذى فى الثعالبى : اذا انحسر الشعر عن جانبى جبهته فهو نــزع فاذا زاد قليلا فهو أجلح •

وفيه : اذا أخرج المكروب أو المريض صوتا رقيقا فهو الرنين ، فان اخفاه فهو الهنين ، فان أظهره فخرج خافيا فهو الخنين ، فان زاد فهو الأنين ، فان زاد في رفعه فهو الخنين (٤٠) ٠

ثم بعد أن ينتهي السيوطي من نصه السابق يتبعه أيضا بقوله : « فانظر الى هذه الفروق وأشباهها باختلاف الحروف بحسب القوة والضعف ، وذلك في اللغة كثير جدا ، وفيما أوردناه كفاية » (٤١) ٠

ويتخذ الدكتور صبحي الصالح من هذه النصوص الأساس الذي بنى عليه ايمانه بقضية الرمزية الصوتية ٠

يقول : « أما الذي نريد الآن بيانه فهو مالا حظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها ، وما لحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية ، اذ لم يعنهم من كل حرف أنه صوت ، وانما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض ، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حل اجزائها الى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة ، فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص مادام يستقل باحداث صوت معين ، وكل حرف له ظل واشعاع اذا كان لكل حرف صدى وايقاع ٠

واثبات القيمة التعبيرية للصوت وهو حرف واحد في كلمة كاثبات هذه القيمة نفسها للصوت المراكب وهو ثنائي لا أكثر ، أو ثنائي ألحق به حرف أو أكثر ، أو ثلاثي مجرد ومزيد ، أو رباعي منحوت ، أو خماسي أو سداسي على طريقة العرب مشتق أو مقيس ٠

لكل حال من هذه الأحوال التي تبدو لك أول الأمر ألغازا معقدة أو طلاسم محيرة ذكر علماء العرب الأمثلة واحتجوا بالشواهد التي لا يسهل دفعها ، فقد مالوا الى الاقتناع بوجوب التناسب بين اللفظ ومدلوله ، في حالتي البساطة وطوري النشأة والتوليد ، وصورتي الذاتية والاكتساب ٠

---

(٤٠) السيوطي المزهر (السابق) ص ٥٤/٥٥ ٠
(٤١) السابق ص ٥٥ ٠

ـ ففى حال البساطة تراوا الحرف الواحد ـ وهو جزء من كلمة ـ يقع على صوت معين ، ثم يوحى بالمعنى المناسب ؛ سواء كان فى أول اللفظ أم وسطه أم آخره (٤٢) ٠

ويأتى بأمثلة من خصائص ابن جنى ومن تعليقاته لما وقع فى أول الكلمة ووسطها وآخرها فمما وقع فى أولها (٤٣) : ـ

صعد ـ وسعد (٤٣)

خضم ـ وقضم (٤٤)

وسد ـ وصد (٤٥)

وهذا هو الذى قلنا عنه انه يتصل بنظرية الفونيم بمفهومها الحديث ويتدرج بها مرتبة تلو أخرى فهو يتحدث عن الوحدات الصوتية التى بموجبها يتغير معنى كلمة عن معنى كلمة اتحدت حروفهما ٠

ونتناول بالتحليل هذه الأمثلة : ـ

صعـــد

سـعـد

ص ع د = فهذه لصعود الجسد ولما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجشمة ٠

س ع د = وهذه الثانية لصعود الجد ولما تعرفه النفس وان لم تره العين ٠

الحروف فى الكلمتين واحدة عدا وحدة صوتية واحدة اختلف بموجبها معنى كلمة عن الأخرى ـ فهل الصاد هى التى أعطت المعنى الأول ـ والسين هى التى أعطت المعنى الثانى ـ فالحروف الباقية متشابهة فى الكلمتين فهى واحدة ٠

---

(٤٢) دراسات فى فقه اللغة ٠ د٠ صبحى الصالح ـ دار العلم للملايين بيروت ط ٧ ص ١٤٢ ٠

(٤٣) الخصائص ١ / ٥٥٣ ٠

(٤٤) الخصائص ١ / ٥٤٩ ٠

(٤٥) الخصائص ١ / ٥٥٣ ٠

ان كان الأمر كذلك فلننظر فى الكلمتين اللتين يعدهما وهما :

ص د

س د.

هذه هى الصاد فى كلمة وتلك هى السين فى كلمة أخرى اتحدت مكونات الكلمتين واختلفت وحدة صوتية واحدة وهى الصاد فى الأولى والسين فى الثانية أيضا أين هو صعود الجسد وما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجسمة ـ وأين هو صعود الجد وما تعرفه النفس وان لم تره العين ·

أنظر : سد = السد للباب وقد يكون لثقب الكوز ورأس القارورة ·

وصد = الصد جانب الجبل والوادى والشعب ·

فأينت هى المناسبة الطبيعية هنا بين الحرف وما يرمز اليه ـ سواء بين الصاد والسين أو بين بقية الحروف المجتمعة فى الكلمتين ·

ان النظرية واضحة وقد اهتدى اليها علماء العربية القدماء وهى التى تعرف اليوم فى الدراسة اللغوية الحديثة بنظرية « الفونيم (Phoneme) وهى الوحدة الصوتية الصغرى التى بموجبها يتغير معنى كلمة عن معنى كلمة أخرى اتحدت مكوناتهما واختلفت وحدة صوتية صغرى واحدة فيهما فيتغير بموجبها معنى الكلمتين (Minimal Pairs)

خضم

قضم

الخضم لأكل الرطب

القضم للصلب اليابس

ق ت ر

ق ط ر

ق د ر

وســـيلة

وصيـــلة

قد تكون الوحدة الصوتية التى يتغير بموجبها معنى الكلمتين فى أول الكلمة ، على نحو ما مر فى المثال الأول ـ وقد تكون فى وسطها على نحو مانرى فى هذه الأمثلة وقد تكون فى آخرها على نحو هاتين الكلمتين الآتيتين :

ن ض ح

ن ض خ

ولكن الدكتور صبحى الصالح بدل أن يرى الأمر من هذه الزاوية الواضحة يطالعك تعلتيه الآتى :

« واذا كان علماء العربية قد استشهدوا بالأمثلة السابقة على القيمة التعبيرية للحرف الواحد وهو بسيط يقع فى أول الكلمة تارة ، وفى وسطها تارة أخرى ، وفى آخرها أحيانا ـ فما جاءوا بشواهدهم تلك سدى ولا ألقوا بها جزافا ، بل اعتقدوا أن فى تقديم ما قدم منها وتأخير ما أخر وترتيبها على نحو معين أسرارا مدهشة يعجب الباحث اليوم كيف تنبهوا اليها واستنبطوها ويكاد يسلم بها ولو استشعر فيها الكثير من التكلف » (٤٦) ٠

الواقع أنه ليست هناك أسرار مدهشة ، ولكن الباحث حقا يعجب بنظرات علماء العربية الصائبة فى اللغة ويسلم لهم بالسبق والريادة فى مجال الدراسات اللغوية ونظرياتها ولا يستشعر فيها لا كثيرا من التكلف ولا قليلا ٠

وان كان الدكتور هنا يصفها بالكثير من التكلف علىنحو ما سبق أن وصفها بها الدكتور ابراهيم أنيس ـ فكيف يقرها من جانب ويحس بتلق ازاءها من جانب آخر ٠٠ الا أن يكون الأمر فى حاجة الى اعادة نظر من جانبه فاذا نظر اليه من زاويته الصحيحة فلا يستشعر قلقا ولا يجد تكلفا لا كثيرا ولا قليلا ٠٠،٠٠

ولكن فكرة المناسبة الطبيعية بين الحرف وما يرمز اليه تسيطر على الدكتور سيطرة تامة ٠

---

(٤٦) دراسات فى فقه العربية (السابق) ص ١٤٥ ٠

فيقول : « والآن فلتختلط هذه الحروف ولتمتزج ولتتقلب فى تركيب ثلاثى تقاليبها العقلية الستة المحتملة ولينظر فى النهاية الى الحرف الواحد من أحرفها حيثما كان موضعه منها على أنه صوت ما يزال بسيطا له دلالته التعبيرية الخاصة وليستطرف الباحثون ما استنتجه علماؤنا من أمر هذه اللغة التى لايكاد يعلم بعدها ولا يحاط بقاصيها فما برح هذا الحرف البسيط كما يتصورون يوحى بمعناه الذاتى من خلال صوته وايقاعه » (٤٧) ٠

أى أن معنى ذلك أن الحرف أينما وضع داخل الكلمة فى أولها أو وسطها أو آخرها محتفظ بدلالة (حيثما كان موضعه منها على أنه صوت ما يزال بسيطا له دلالته التعبيرية الخاصة) وهذا أمر لا يمكن أن يكون ــ ويستطيع القارىء أن يضع أمامه قوائم متعددة على نحو ما مر ولا يجد أبدا للحرف دلالة تعبيرية خاصة ــ واللغة أمامنا حية ــ وكما يقولون : « الماء يكذب الغطاس » ٠

فليس للحرف من خلال صوته وايقاعه دلالة ٠

أليست لغات العالم كلها مكونة من حروف ذات صوت وايقاع ان كان الحرف من خلال صوته وايقاعه له دلالته المعبرة فى اللغة العربية ــ فاين هى تلك الدلالة المعبرة فى بقية اللغات ــ ولماذا اختلفت فى العربية عنها فى غيرها من بقية اللغات ــ وأين اذن المناسبة الطبيعية ــ أليست هى اعتباطية الحدث اللغوى كما جاء فى كتب التراث عندنا وكما يذهب اللغويون المحدثون اليوم ٠

ومع ذلك نجد الدكتور يختم حديثه فى هذه بنصه الآتى :

« كأنه يومىء الى أنه شاهد على وجود العلاقة الذاتية الطبيعية بين اللفظ ومدلوله أو بعبارة أدق بين صوت الحرف البسيط وقيمته البيانية » (٤٨) ٠

الدكتور حصر القضية فقط داخل دائرة اللغة العربية وسيطر عليه جانب العاطفة وحسب أمرها خاص بالفكر العربى وحده واعتبرها ملكا لتراثنا فاندفع

---

(٤٧) دراسات فى فقه اللغة (السابق) ص ١٤٦ ٠

(٤٨) السابق ص ١٤٧ ٠

يدافع عنها ـ ومن هنا استثار حماس القارىء على حين أن القضية ليست خاصة باللغة العربية فالقضية موجودة فى الفكر الانسانى من قديم ، موجودة عند علماء اليونان على نحو ما مر ـ والرومان وغيرهم ووجد من بين علماء العربية القدماء فى التراث الاسلامى من رفضها وفند أفكارها على نحو ما مر أيضا ـ كما وجد منهم من أقرها ودافع عنها وحاول سد ثغراتها فالقضية قديمة ولا تخص الفكر الاسلامى وحده .

وما لاحظه علماء اللغة العربية القدماء فى اللغة العربية هو نظرية متكاملة الأبعاد عندهم على مستوى الفكر اللغوى الانسانى بصفة عامة اهتدى اليه فكر ابن جنى اللغوى وتابعه فيه غيره من بقية العلماء ـ وكان من الممكن أن تؤصل فيه نظرية الوحدة الصوتية الصغرى التى بموجبها تتغير دلالة الكلمات ـ وتتبع فيه أبعاد النظرية مما هو خاص باللغة العربية الا أن جلال الدين السيوطى جمع ما قاله العلماء مما هو خاص بتلك النظرية وحصره داخل تلك الدائرة الضيقة ..

وجاء الدكتور صبحى الصالح ومن تبعه واندفع يحافظ على تلك النظرة داخل دائراتها تلك ويخضع جهود ابن جنى لها .

فهو يقو مثلا :

« بل نجد ابن جنى فى موضع آخر من خصائصه يبذل جهدا مشكورا فى توضيح هذا الراى وتقريره .

فيخصه ببحث قيم عنوانه « باب فى امساس الألفاظ أشباه المعانى » ويستهل الباب بقوله : اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته ـ قال الخليل : كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومد فقالوا : صر ـ وتوهموا فى صوت البازى تقطيعا فقالوا صرصر ـ قال سيبويه فى المصادر التى جاءت على الفعلان أنها تأتى للاضطراب والحركة نحو النقزان والغليان والغثيان ـ فقابلوا بتوالى حركات المثال توالى حركات الأفعال ووجدت أنا (ابن جنى) من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حذياه ومنهاج ما مثلاه وذلك أنك

تجد المصادر الرباعية المضعفة تاتى للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة والصلصلة والقعقعة والجرجرة والقرقرة ـ وجدت أيضا الفعلى فى المصادر والصفات أنما تاتى للسرعة نحو البشكى والجمزى والولقى (٤٩) (الخصائص ح أ ص ٥٤٤)

ثم يعلق د٠ صبحى الصالح بعد ذلك على هذا النص بقوله :

« هذا النص عظيم الفائدة شديد الايحاء وحسبنا أننا عرفنا منه أن هذه المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله قد تنبه اليها علماء اللغة القدامى كالخليل وسيبويه ، بل لقد نبه عليها الأخيران تنبيها شديدا سمح لابن جنى أن يقول: ان هذا الموضع الشريف تلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته»(٥٠)٠

وأنا أقول ليس هنا ولا فى النص السابق حديث عن المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله لامن الخليل ولا من سيبويه ولامن ابن جنى على نحو ما سبق أن أوضحنا وعلى نحو ما سياتى

فان اعتبرنا ما قاله الخليل مما جاء فى اللغة يمثل أسماء الأصوات أو نظرية المحاكاة ٠

فان ماقاله سيبويه يمثل بنيات شكلية ذات أوزان صرفية معينة يتشكل فى ضوئها ما يستجيب لها من صيغ فان وزن (الفعلى) فى المصادر والصفات يجىء للسرعة فليس هنا رمز صوتى بعينه يرتبط بدلالة بعينها ـ وأنما هنا أوزان صرفية وقوالب لغوية توضع بداخلها أية حروف فتحدث الدلالة التى تراها الجماعة اللغوية ٠

وكذلك ما قاله ابن جنى وقد سبقت مناقشته وتوضيحه (٥١) ٠
وكله على نحو ما رأينا بنيات لغوية وأوزان صرفية ذات قوالب معينة توضع بداخلها أية رموز صوتية فيتشكل المعنى على ضوئها وفق ما اتحد عليه رأى الجماعة اللغوية ٠

---

(٤٩) اقرأ دراسات فى فقه اللغة السابق ص ١٤٩ / ١٥٠ ٠
(٥١) اقرأ ـ السابق من ص ٣٠ وما بعدها ٠

وتستطيع فى ضوء التحليل اللغوى للمادة التى عرضها اللغويون العرب القدماء واتخذ منها جلال الدين السيوطى الأساس الذى بنى عليه ايمانه بمبدأ المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعاينها أو ما عرف بمبدأ الرمزية الصوتية فى الدرس اللغوى الحديث ـ تلك التى بنى عليها الدكتور صبحى الصالح ومن تبعه من اللغويين المحدثين ايمانهم الذى لا يرد بمبدأ الرمزيـة الصوتيـة أو المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعاينها ـ أن نتبين حقيقة أفكارهم وأبعـاد نظريتهم فى ذلك وكلهم حصروا أنفسم داخل نظرية واحدة لها اليوم مكانها داخل الدرس اللغوى الحدث نجد بذورها فى الباب الذى عرضه عند ابن جنى ـ غير أنه بقى لابن جنى بعد ذلك أبوابه الباقية فى كتابه الخصائص والتى يمثل كل واحد منها نظرية مستقلة مترامية ذات أبعاد وأصول نجدها عند اللغويين اليوم ـ وليس ببعيد أن يكونوا قد استفادوها من أعمال ذلك اللغوى العبقرى.

يقول السيوطى فى نصه السابق ، ومن أمثلة ذلك ما فى الجمهرة :

الخنن

والغنن

وقبل أن نستطرد فى التحليل نلاحظ أن العلماء الذين ذكرهم السيوطى هم: ابن دريد فى الجمهرة ـ وابن السكيت فى الابدال ـ وأبو عمرو فى الغريب المصنف ـ والكسائى ، والأصمعى ، والفارابى فى ديوان الأدب ـ والثعالبى فى فقـه اللغة ـ وضرب أمثلة متناثرة جاءت فى أقوالهم فى غير هذا الغرض وجعل من ذكرهم لها فى مصنفاتهم شاهدا على صحة روايتها فيما جاءت عليه ـ فهو جمع منهم المادة فقط وهو الذى قال بفكرة المناسبة ولذلك فتلك مسئوليته فى القديم والحـديث .

الخنن

والغنن ـ الخنن أشد من الغنن

والخنة أشد من الغنة

خـ نن

غـ نن

خ نــة

غـ نــة

فالذى حدث أن حرفا واحدا فى الكلمتين اختلف فاختلف بموجبــه المعنى ــ أما بقية البنية فهو متحد فى الكلمتين ــ ومعنى ذلك أن الجزء الثابت فى الكلمتين واحد ولا دور له فى تغير المعنى وأن وحدة صوتية واحدة فى كل من الكلمتين تغير بموجبها المعنى ـ فالخاء فى الكلمة الأولى (فونيم) والغين فونيم آخر ـ تغير بموجب كل واحد منهما المعنى ـ وبين المعنين تقــارب وبين الحرفين تقارب ــ وهذا ماعبر عنه ابن جنى : بتصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى ــ وهذا خاضع لقانون التقارب وقانون التبعية ــ وهو بدوره راجع للمتكلمين باللغة فعندما وضعوا الخاء فى بنية هذه الكلمة أعطت هذا المعنى ــ وعندما وضعوا الغين فى بنية الكلمة الأخرى أعطت المعنى الآخر ـ واختاروا الخاء لمــا هو شديد سواء فى الفعل أو الاسم أو المصدر .

والخــــاء : حنكى قصى احتكاكى مهموس

والغين : حنكى قصى احتكاكى مجهور

ومثله المثال الثانى : الأنيت ــ والأنين .

والأنيت أشد من الأنين .

فمكونات البنيتين على النحو الآتى :

أنيــ ت

أنيــ ن

اتحدت المكونات ماعدا وحدة صوتية صغرى يمثلها فى الكلمة الأولى حرف التاء وفى الثانية حرف النون واختيرت التاء لمــا هو أشد ــ ولكن ليست التاء فى حد ذاتها هى الأنين الأشد وليست النون فى حد ذاتها الأضعف ـ فلو نطقت التاء منفردة عن بنية كلمتها تلك لمــا عرف السامع المقصود ـ ولو نطقت النون وحدها منفردة عن بنية كلمتها ما استطاع السامع أن يميز المقصود كذلك ــ

وقد أدرك علماء العربية القدماء ذلك ونصوا على أن المعنى خاص ببنية الكلمة وليس بوحدة صوتية واحدة فيها •

وكذلك المثال الثالث = الرنين ـ والحنين

والرنين اشد من الحنين •

فمكونات الكلمتين متحدة ماعدا وحدة صوتية واحدة تغير بموجبها المعنى هى فى الكلمة الأولى حرف الراء وفى الكلمة الثانية حرف الحاء •

اذن فنحن أمام بنيات تمثل ثنائيات اتحدت فى كل مكوناتهما ماعدا وحدة صوتية صغرى تغير بموجبها المعنى •

وتلك هى نظرية الفونيم فى الدرس اللغوى الحديث غير أن علماء العربية زادوا عليها بعدا جديدا وهو بعد التقارب بين الوحـــدة المتغيرة المغيرة الذى تقاربت بموجبه الدلالة بين البنيتين • وهذا بعد جديد من الأبعاد التى أضافها علماء العربية القدماء لتلك النظرية •

فالذى استخرجه السيوطى من كتاب الجمهرة وغيره يعزز هـذه النظرية التى وضع أسسها ابن جنى فى بابه (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى) ـ وهى ما تعرف اليوم بنظرية (الفونيم) الا أنها عند علماء المسلمين القدماء أقدم وأرسخ وذات أبعاد متنوعة لم يطرقها اللغويون الغربيون حتى اليوممماهو خاص بسيكلوجية اللغة العربية الناطقين بها مما لا نظير له فى غـــيرها من اللغات الأخرى ولاسيما اللغات الهندوأوربية •

وكذلك ما جاء فى كتاب الابدال (٥٢) لابن السكيت مما ذكره السيوطى مما هو خاص بهذه النظرية أيضا •

فالقبضة

والقبصة

---

(٥٢) سواء كان الابدال مصدر ابدل ابدالا أم الأبدال جمع بدل ـ فالذى أمامنا وحدات صوتية صغرى يتغير بموجب كل واحدة منها المعنى •

القبصة أصغر من القبضة

قبـ / ص /

قبـ / ض /

وفى الجمهرة قال : القبص الأخذ بأطراف الأنامل

والقبض الأخذ بالكف كلها

فالكلمتان اتحدتا فى مكوناتهما ماعدا وحدة صوتية صغرى واحدة جاءت فى النهاية وهى فى الكلمة الأولى (الصاد) وفى الكلمة الثانية (الضاد) .

فالصاد جعلت القبصة أصغر من القبضة ـ والضاد جعلت القبضة أكبر من القبصة » .

والقبض فى اللغة الأخذ بالكف كلها والقبص فى اللغة الأخذ بأطراف الأنامل على نحو ما ذكره ابن دريد فى الجمهرة .

وكذلك ما ذكره السيوطى من الغريب المصنف عن ابى عمرو هو أيضا ضمن هذه النظرية فقد ذكر من الغريب المصنف عن أبى عمرو :

هذا صوغ هذا اذا كان على قدره .

وهذا سوغ هذا اذا ولد بعد ذلك على أثره .

صوغ / ص / و غ

سوغ / س / و غ

ونكتفى بعد ذلك بأن نضع الفونيم وهو الوحدة الصوتية التى يتغير بموجبها المعنى بين خطين مائلين على نحو ما هو متعارف عليه بين اللغويين فى هذا المجال ـ ويتبين القارىء أن المكونات واحدة وأن الذى اختلف فتغير بموجبه المعنى هو ما بين المائلين .

وقد ذكر السيوطى بعد السابق مباشرة :

يقال : نقب على قومه ينقب نقابة من النقيب وهـــو العريف ـ ونكب عليهم ينكب وهو المنكب وهو عون العريف .

نقب ـــــــ نـ / ق / ب

نكب ـــــــ ن / ك / ب

مكونات الكلمتين واحدة غير أن وحدة صوتية واحدة اختلفت فاختلف بموجبها المعنى وهذه الوحدة جاء موقعها فى الوسط ـ ومن قبل جاءت فى أول الكلمة ـ وفى السابقة عليها جاءت فى النهاية وفى الاسبق جاءت فى البداية وهكذا على نحو ما مر ـ

ومما ذكره السيوطى أيضا ما قاله الكسائى :

القضم للفرس

والخضم للانسان ٠

قضم / ق / ضم

خضم / خ / ضم

المكونات فى الكلمتين واحدة سواء كان فعلا أو مصدرا والذى بين الخطين المائلين هو الفونيم الذى تغير بموجبة المعنى ٠

وكل الأمثلة التى ذكرها السيوطى خاصة بنظرية الفونيم وجاءت وفق قانون واحد وهو التقارب ٠

واليك بقية الأمثلة التى جاءت عند السيوطى :

« وقال غيره : القضم بأطراف الأسنان ٠

والخضم بأقصى الأضراس ٠

/ قـ / ضم
/ خـ / ضم

ففى الحالتين سواء كان المعنى هذا أو ذاك ـ (وتعدد المعنى دليل على اعتباطية الحدث) ٠

فان الذى حدث هو أن المعنى تغير نتيجة لوحدة صوتية صغرى ـ وبقية

المكونات فى الكلمتين واحدة ـ وأن تغير المعنى جاء نتيجة لهذا الذى اختلف وهو فى الأولى القاف وفى الثانية الخاء فاذا كان بين الخاء والقاف تقارب فى الصفات أو الخصائص أو المخرج وحدث نتيجة لذلك تقارب فى المعنى فهذا خاضع لقانون التقارب وهو الذى تتطلبه البيئة الأمية التى تعتمد على الذاكرة وعلى تداعى الألفاظ نتيجة لقانون التتابع على نحو ما أوضحنا .

وكذلك بقية الأمثلة ـ قال أبو عمرو :

النضح بالضاد المعجمة الشرب دون الرى .

والنصح بالصاد المهملة الشرب حتى يروى .

والفعل والمصدر فى ذلك سواء :

نضح   نـ / ض / ح

نصح   نـ / ص / ح

نشح   نـ / ش / ح

على نحو ما هو واضح مما بين الخطين المائلين ، الكلمات الثلاث اتحدت فى المكونات و اختلف وحدة صوتية واحدة فى كل كلمة منها .

وبين الضاد والصاد بعض الصفات الصوتية المتقاربة فتقارب المعنى وهذا التقارب أمر خاص باللغة العربية وبالناطقتين بها وبين الصاد والشين بعض الصفات الصوتية المتقاربة كذلك وبذلك حدث نوع من التقارب فى المعنى تطلب ذلك قانون التداعى والتذكر وقانون التقارب فى البيئة الأمية .

وما انطبق على السابق ينطبق على ما قاله الأصمعى :

الهتل من المطر أصغر من الهطل ـ المصدر ـ والفعل ـ

هتل   هـ / ت / ل

هطل   هـ / ط / ل

الذى بين الخطين المائلين هو الوحدة الصوتية الصغرى التى اختلفت فتغير المعنى بموجب اختلافها .

وكذلك بقية الأمثلة :

الزعزعة بالزاى اضطراب الأشياء بالريح •

والرعرعة بالراء اضطراب الماء الصاف والشراب علىوجه الأرض

والزغزغة بالزاى واعجام الغين ــ اضطراب الانسان فى خفة ونزق ــ

الزعزعة / ز / ع / ز / ع /

/ ر / ع / ر / ع /

/ ز / غ / ز / غ /

والكركرة بالكاف الضحك • والقرقرة بالقاف : حكاية الضحك اذا استغرب الرجـــل فيــه •

كركر / ك / ر / ك / ر كركرة

تــرقــر / ق / ر / ق / ر

قرقر / ق / ر / ق / ر قرقرة

والرفرفة بالراء : صوت أجنحة الطائرة اذا حـــام ولم يبرح ــ والزفرفة بالزاى : خفيف الريح الشديدة الهبوب وسمعت زفزفة الموكب اذ سمعت هزيزة•

رفرف / ر / ف / ر / ف

زفزف / ز / ف / ز / ف

والسفسفة باهمال السين تحريك الشىء من موضعه ليقلع مثل الوتد وما أشبه ومثل السن ، والشغشغة بالاعجام : تحريك الشىء فى موضعه ليتمكن يقـــال شغشغ السنان فى الطعنة أذا حركة ليتمكن •

سفسغ / س / غ / س / غ

شغشغ / ش / غ / ش / غ

والوسوسة بالسين : حركة كالحلى ، والوشوشة بالاعجام : حركة القوم وهمس بعضهم الى بعض •

وسوس   و / سـ / و / س /

وشوش   و / شـ / و / ش /

أى أن كل الذى عرضه السيوطى خاص بنظرية واحدة وجاء وفقا لقوانين وقواعد خاصة بعلم النفس اللغوى ٠ فالمسألة أبعادها واضحة ٠

وهناك تقارب فى المعانى لتقارب فى صفات الحروف وقد جاء هذا عند ابن جنى واضحا : تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى ـ وبقى لابن جنى بقية النظريات اللغوية الأخرى التى تمثلها الأبواب المختلفة التى عرضناها فى هذا القسم من الكتاب على النحو الذى جاءت عليه ٠

● ويعد السيوطى هو المسئول الأول عما آل اليه الأمر فى هذه القضية ٠ فبعد أن جاء السيوطى بهذه الأمثلة جاء تعقيبة الآتى :

فانظر الى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها ـ كيف فاوتت العرب فى هـــذه الألفاظ المقترنة المتقاربة فى المعانى فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لمــا هو أدنى وأقل وأخف عملا أو صوتا ٠٠

وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لمــا هو أقوى عملا وأعظم حســـا ٠

وهذه كلمة حق ـ ولكن بسبب قصر النظر عليها ضاعت معالم النظريـــة وقوانينها عند السيوطى وعند من تبعه من علماء اللغة المحدثين ٠

ثم يعقب السيوطى على ما سبق بأمثلة تؤكد صدق رأية يقول : (٥٣) ٠

« ومن ذلك المد والمط فان فعل المط أقوى لأنه مد وزيادة جذب فناسب الطاء التى هى أعلى من الدال ٠٠

مد	المد	م/د/
مط	المط	م/ط/
مت	المت	م/ت/

---

(٥٣) المزهر السابق ص ٥٣ ٠

قال ابن دريد المد والمت والمت متقاربة فى المعنى .

ثم يقول : ومن ذلك الجف بالجيم : وعاء الطلعة (٥٤) اذا جفت ـ والخف بالخاء : الملبوس ، وخف البعير والنعامة ولا شك أن الثلاثة أقوى وأجلد من وعاء الطلعة ـ فخصت بالخاء التى هى أعلى من الجيم ..

الجف /ج/ف

الخف /خ/ف

وفى ديوان الأدب للفارابى الشازب : الضامر من الابل وغيرها ، والشاصب: أشد ضمرا من الشازب ..،..

شازب شا / ز / ب

شاصب شا / ص / ب

وفى فقه اللغة للثعالبى : اذا انحسر الشعر عن مقدم الرأس فهو أجلح . فان بلغ الانحسار نصف رأسه فهو أجلى وأجله .

أجلح أجل/ح/

اجلى ـ اجله أجلـ/هـ/ = اجلـ/ى/

وفيه : النقش فى الحائط / ن / قش

والرقش فى القرطاس . /ر/قش

والوشم فى اليد و/ش/م

والوسم فى الجلد و/س/م

والرشم على الحنطة والشعير /ر/شـ/م

والرشم على الحنطة والشعير /ر/شم

والوشى فى الثوب و/ش/ى/

---

(٥٤) الطلعة : واحدة الطلع ، والطلع : نور النخل مادام فى الكافور .

وفيه الحوص : ضيق العينين /ح/و ص

والخوص : غؤورهما مع الضيق /خ/و ص

وفيه اللسب : من العقرب ، لســـ/ب/

واللسع : من الحية • لســ/ع/

وفيه وسخ الأذن : أف /أ/ف

ووسخ الأظفار : تف /تــ/ف

و فيه : اللثام : النثاب على حرف الشفة لـ/ث/ام •

واللثام : على طرف الأنف • لـ/فـ/ ام

وفيه : الضرب بالراحة على مقدم الرأس : صقع صـ/قــ/ع

وعلى القفا : صفع صـ/فــ/ع

وعلى الخد ببسط الكف : لطم لـ/ط/م

وبقبض الكف : لكم لـ/ك/م

وبكلتا اليدين : لدم لـ/د/م

وعلى الجنب بالاصبع : وخز و/خ/ز

وعلى الصدر والجنب : وكز ــ ولكز و/ك/ز لـ/ك/ز

وعلى الحنك والدقن : وهز ــ ولهز و/هـ/ز لـ/هـ/ز

وفيه يقال : خذفة بالحصى • /خ/ذف

و حذفه بالعصا • /ح/ذف

و قذفه بالحجر • /قــ/ذف

فهذه المجموعات كليا تدور حول معنى عام يجمعها وهو الضرب ــ ولكن كل مجموعة تقاربت فى صفات حروفها وتقاربت فى معناها ولكن أين هو التقارب العام بينها ؟ أليس كله خاص بالضرب •

وفيه اذا أخرج المكروب أو المريض صوتا رقيقا فهو : الرنين /ر/نين

فان أخفاه فهو : الهنين /ه/نين

فان أظهره خافيا فهو : الحنين /ح/نين

فان زاد فهو : الأنين / أ / نين ٠

فان زاد فيه فهو : الخنين / خ / نين ٠

ثم يختم قولــــه :

« فانظر الى هــذه الفروق وأشباهها باختــلاف الحرف بحسب القــوة والضعف (٥٥)٠

فعلى الرغم من أن للسيوطى التفاتات ذكية كان من الممكن أن تنمى ويتخذ منها انطلاقة جديدة نحو آفاق رحبة فى دراسة الخصائص الصوتية للحــرف العربى من خلال بنية الكلمة مما يتصل بتغير معانى الكلمات ويدخـــل تحت نظرية الفونيم فى اللغة بصفة عامة على أن تفهم النظرية فى ضوء الدرس اللغوى العربى مما ينبثق عن العربية ويتصل بخصائصها وتمثل فيه النظرية مراحل رتبت بعضها اثر بعض ٠٠،٠٠ مما كان فى مقدوره أن يعطى للدراسة اللغويــة العربية أبعادا وأعماقا لا توجد فى نظيراتها من بقية اللغات ٠٠،٠٠ وذلك يجىء وفق دراسة مبنية على أسس علمية ، ووفق مناهج تتميز من خلالها العربية بخصائص تتجلى من خلال نظرية علمية قائمة على دراسة مستقصية لامجال فيها للعاطفـــة ٠

الا أننا مع ذلك بكل أسف حصرنا القضية داخل دائرة ضيقة وألبسناها رداء الانفعال العاطفى وأخذنا ندور فى تلك الدائرة الضيقة المغلقة التى لا تقدم نفعا للعربية ـ ولا للنظرية اللغوية بصفة عامة ٠

وكان ذلك سببا فى ضياع نظريات لغوية أخرى اهتدى اليها ابن جنـى وسجل أسسها ومبادئها العامة فى كتابه الخصائص وقد عرضنا بعض هذه

---

(٥٥) المزهر (السابق) ص ٥٥ ٠

النظريات من خلال أبوابها على نحـو ما هو واضح فى هذا القسم من هـذا الكتاب (٥٦) ٠

غير أننا وجدنا من علماء العربية المحدثين من أصر على أن يحصر كل ابداع لابن جنى داخل تلك الدائرة دائرة المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله ٠٠ بل وادخل غيره من العلماء معه فى هذه الدائرة ٠٠ ونأتى ببعض أمثلة سريعة تسبق عرض الأبواب الأخرى عند ابن جنى التى تتمثل من خلالها نظرياته المتعددة داخل النظرية اللغوية العامة ٠

فمثلا عندما يقول ابن جنى فيما يتصل بنشأة اللغات : « وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها انما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبى ونحو ذلك ٠٠ ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندى وجـه صالح ومذهب متقبل » (٥٧) ٠

يأتى الدكتور صبحى الصالح ويأخذ هذا الرأى الواضح فى مجالة هنـــا وهو خاص بنشأة اللغات ، كما يراها ابن جنى وله فيها نظرية ذات أبعـــاد متكاملة جمعت بين نظريات متعددة هى فى مجموعها غاية فى الدقة والاصابة وليس ببعيد أن المحدثين أفادوا منه بخصوصها كثيرا ، فابن جنى عنده دقة وأمانة فهو يقول هنا : « وذهب بعضهم » ٠٠ أى أنه لايدعى أنه مبدع هذا القـــول ٠٠

وهكذا شأنه فى البقية :

ولكن الدكتور صبحى الصالح يأخذ هذا القول الذى يمثل هذا فى مجاله ٠٠ ثم يضيف له بعد ذلك مباشرة قوله الآتى : « بل نجد ابن جنى فى موضع آخر من خصائصه يبذل جهدا مشكورا فى توضيح هذا الرأى وتقريره فيخصه ببحث

---

(٥٦) أنظر الأبواب من صفحات

(٥٧) الخصائص لابن جنى ح ١ ص ٤٤/٤٥ ـ

قيم عنوانه : « باب فى أمساس الألفاظ أشباه المعانى » (٥٨) وهذا لا صلة له بهذا على نحو ما مر

وسوف نتناول هذا الباب بالتحليل ويتبين منه القارىء أنه يحمل أبعاد نظرية متكاملة أخرى وضع ابن جنى أسسها واهتدى اليها بحسه اللغوى وتمكنه التام من العربية ومعرفته بخصائصها وأن للعربية فيها سمات تتفرد بها بين اللغات (٥٩) ٠

والأكثر من ذلك أننا نجد الدكتور صبحى الصالح يدخل أعمال ابن فارس فى كتابه مقاييس اللغة ، وفى كتابه مجمل اللغة ٠٠ داخل دائرة الرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعاينها ٠٠

ويطالعك نص قوله الآتى :

فهذا ابن فارس فى المقاييس يرد أصل باب القاف والطاء وما يثلثهما الى معنى القطع فيراه فى قطع الذى يدل على صرم وابانة شىء من شىء ٠ وفى قطف الذى يدل على أخذ ثمرة من شجرة ـ وفى قطم : الذى يدل على قطع الشىء أيضا فالعين والفاء واللام والميم جاءت أحرفا زائدة على الأصل الثنائى (قط) فخصت معنى القطع ونوعته بين الصرم والابانة والأخذ ، وردته تبعا لأصواتها بين درجات الشدة والغلظة فى احداث القطع » ٠

ثم يضيف بعد ذلك :

« وهذا ابن فارس أيضا يرد أصل باب الفاء والراء وما يثلثهما الى معنى التمييز والافراد ، واذ بهذا المعنى يصير تفتحا فى الشىء وشقا فى (فرج) بسبب الجيم ويصير بمعنى التوحد فى (فرد) بسبب الدال وبمعنى عزل الشىء عن غيره فى (فرز) لمكان الزاى ـ وبمعنى الدق فى (فرس) لمكان السين وبمعنى اقتطاع شىء عن شىء فى (فرص) بواسطة الصاد وبمعنى تأثير شىء فى شىء من حز أو غيره فى (فرض) لصوت الضاد وبمعنى ازالة شىء من مكانه وتنحيته

---

(٥٨) دراسات فى فقه اللغة ص ١٤٩ ٠

(٥٩) أنظر ماجاء بخصوصه من تحليل فى القسم الثانى من هذا الكتاب٠

عنه فى (فرط)لقوة الطاء وبمعنى التمييز والتنزيل بين شيئين فى (فرق) .للاصيل المجهور المقلقل فى القاف » .

ثم يأتى بعد ذلك أيضا قوله :

ومن ذلك أنه يرد باب الجيم والذال وما يثلثهما فى المجمــل الى معنى الأصل فتجده واضحا فى (جذر) ومنها جذر اللسان : أصله » ـ

ثم يضيف معقبا على ما سبق مباشرة قوله :

« بيد أن معنى الأصل يتفاوت قوة وضعفا وكثرة وقلة وقربا وبعدا بين هذه المواد المذكورة كأن الحرف المزيد الذى ثلث أصلها الثنائى تد عين كيفهـــا ووصف كمها ورسم حدها .

فالجذل أصل عام للشجر ، ولكنه للنخل جذع ـ والعين الحلقية أقوى من اللام المذلقــة .

والجذر : أصل الحساب حين تقول مثلا عشرة فى عشرة مئة ـ ولكن الجذع من الابل هو الذى أتى له خمس ، ومن الشاء ما تمت له سنة ففى الراء فى معنى التكرار مالا نظير له فى العين على قوتها ـ اذا العين كجميع أخواتها الحلقية تخرج من الخلق دفعة واحدة تنبر بها نبرا ولا ريب أن فى التكرار مضــاعفـــة وكثرة وأن فى النبرة الواحدة تضاؤلا وقله » (٦٠) ـ

لايكاد يقترب حتى يبعد بسبب « الرمزية الصوتية » أو « المناســـبة الطبيعية » التى يصر عليها ويريد أن يلحقها بالحروف ، أعد قوله « التى تخرج من الحلق دفعة » .. ...الخ وغاب ما جاء بخصوص نظرية الفوينم وهـــو واضح : ـ

الجذل	=	أصل عام للسجر
الجذع	=	للنخل

---

(٦٠) دراسات فى فقه اللغة ص ١٥٦/١٥٧/١٥٨ .

الجذع = من الابل هو الذى أتى له خمس ـ ومن الشاء ما تمت له سنه

الجذر = أصل الحساب ـ

وحدة صوتية صغرى واحدة تغيرت فتغير بموجبها المعنى وقد يحدث تقارب فى المعنى وتقارب فى الصفات فبين الجذع تغير فى الحركات تغير بموجبه المعنى ولكن العين الحلقية هى هى فى الجذع والجذع ـ واللام المزاقة ، أعطت معنى العين الحلقية العام فى الجذل ولكنه يصر على أن يقول العين الحلقية اقوى من اللام المزلقة ٠

ويقول : فى الراء معنى التكرار مالا نظير له فى العين على قوتها ٠

اذ العين كجميع أخواتها الحلقيات تخرج من الحلق دفعة واحدة تنبر بها نبرا ولا ريب أن فى التكرار مضاعفة وكثرة وأن فى النبرة الواحدة تضاؤلا وقله ٠ وهذا كله كلام لا يمثل فى الدراسات الصوتية أى حقائق علمية ولا معنى له عند المحدثين فى علم الأصوات فهو لايمثل مضمونا وانما يمثل اندفاعا عاطفيا وأنها تخرج من الحلق دفعة تنبر بها نبرا فهذا كلام لم يقل به أحد من العلماء فى القديم أو الحديث على السواء ولا مفهوم له لأنه لا وجود له عند القدماء ولا عند المحدثين فى علم الأصوات فهو لايمثل مضمونا وانما يمثل اندفاعا فقط ٠

وفوق هذا وذاك أليس الجذع للنخلة

والجذع من الابل ـ ومن الشاء ـ

أليست الحروف واحدة ؟ ـ أليست المعانى متعددة ؟ اذن أين المناسبة الطبيعية بين اللفظ وتلك المعانى المتعددة لكن أنظر أن أخذتها من زاوية الفونيم تجد أن الفتحة والكسرة تمثل فونيما فى موقعها ـ الجذع بالكسر والسكون غير الجذع بالفتح ـ أى أن الحركة فونيما تعطى معنى جديدا للكاملة وهذا بعدمن أبعاد نظرية الفونيم ومادتها مجموعة لدينا فى اللغة العربية وعلماء العربية القدماء قدموا المادة والملاحظة ـ وفهمها عنهم الغربيون وأخرجوا نظرية الفونيم بكل

أبعادها التى هى فى المادة الى بين أيدينا : لنا الله نحن الذين نسىء الى أنفسنا ، وما ظلمهم الله ٠٠

ثم يستشهد من ابن فارس فى مقاييسه وفى مجمله فيقول :

« فهذا ابن فارس فى المقاييس يرد أصل باب القاف والطاء وما يثلثهما الى معنى القطع فيراه فى قطع ، الذى يدل على صرم وابانة شىء من شىء»(٦١) وبعد أن ينتهى مما أورده فى هذه المادة يقول :

« وهذا ابن فارس أيضا يرد أصل (باب الفاء والراء وما يثلثهما) الى معنى التمييز والافراد » (٦٢) .

ثم ينتقل الى مجمل اللغة لابن فارس بعد أن ينتهى من عرض ما يعرضه من هذه المادة فيقول :

« ومن ذلك أن يرد باب الجيم والذال وما يثلثهما فى المجمل الى معنى الأصل فتجده واضحا فى جذر ... الخ » (٦٣) .

وعندما نعود الى كتب ابن فارس نجدها لا تتجه اتجاها مخالفا لما عليه بقية الكتب التى فى مجالها ولا تقول بالدلالة الطبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها ولا تتعرض للرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية ولنأخذ كتاب المجمل الذى أرجعنا اليه الباحث :

(باب الجيم والذال وما يثلثهما) ـ (٦٤) فنجد المادة تسير على النحو الآتى :ـ

جذر : الجذر الأصل وأصل اللسان جذره ..

والمجذر = الرجل القصير بفتح الجيم وتضعيف الذال ـ والجؤذر = ولد البقرة ....،..

والجذر = قال الخليل : (٦٥) أصل الحساب . يقال عشرة فى عشرة مئة

---

(٦١) ابن فارس : مقاييس اللغة ج ٥ ص ١٠١ .

(٦٢) المقاييس (السابق) ج ٤ ص ٤٩٨ ـ / ٥٠٠

(٦٣) مجمل اللغة لاحمد ابن فارس ج١ ص ١٤٦ / ١٤٧ .

(٦٤) مجمل اللغة ـ لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوى ت ٣٩٥ هـ دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان مؤسسة الرسالة ط أولى ١٤٠٤/١٩٨٤ م ج١ ص ١٨٠ ـ نهر (٢) .

(٦٥) العين ج٢ / ١٢٣ .

جذع : الجذع : جذع النخلة ـ والجذع من قولك : جذعت الشى اذا عفسته ودلكته ..

وجذع : اسم رجل ... .. ، ..

جذف : جذفت الشيء قطعته ...

جذم : جذم : جذم الشيء : أصله ـ والجذمة : القطعة من الحبل وغيره.. (بكسر الجيم وسكون الذال)

والأجذم : المقطوع اليد ...

وانجذم الحبل : انقطع ...

الاجذام : سرعة السير ...

جذو : الجذوة : الجمرة الملتهبة والجمع جذى ـ وجذى ... بكسر الجيم فى الألى وضمها فى الثانية

ولو أخذنا كل مجموعة على حدة لوجدناها تدور حول دلالات متباعدة على الرغم من اتحاد الأصول فمادة جذر مثلا أو جذع أو حذم كل واحدة تدل على معانا كثيرة متباعدة فأين هى المناسبة ، ولا أجد فى هذه المادة التى عرضها ابن فارس فى مجمله مايشير من قريب أو من بعيد الى ما يدل على وجود علاقة طبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها ـ ولا يختلف مجمل ابن فارس عن أى معجم لغوى آخر فى عرض المادة وبيان اشتقاقاتها ومعانيها دون أن يربط بين طبيعة الألفاظ ومدلولاتها لاتصريحا ولا تلميحا ..

فاذا تركنا المجمل ورجعنا الى المقاييس (٦٦) وكشفنا عن الفاء والراء فنجده يقول :

فر : الفاء والراء أصول ثلاثة فالأول الانكشاف وما يقاربه من الكشف عن الشيء ، والثانى جنس من الحيوان ـ والثالث دال على خفة وطيش .

فالأول قولهم فر عن أسنانه ـ وافتر الانسان اذا تبسم ...،..

والأصل الثانى : الفرير : ولد البقرة ـ ويقال : الفرار من ولد المعزة ماصفر جسمه واحده فرير ...

---

(٦٦) معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥ هـ تحقيق : عبد السلام محمد هارون دار الفكر ح ٤ ص / ٤٣٨ .

والثالث : الفرفرة : الطيش والخفة · يقال رجل فرفار ـ وامرأة فرفارة ـ والفرفارة : شجرة ·

فز : الفاء والزاء أصيل يدل على خفة وما قاربها ···

فس : الفاء والسين ليس فيه شيء الا كلمة معربة يقولون : الفسفسة الرطبة ··

فش : الفاء والشين يدل على انتشار وقلة تماسك ····

فص : الفاء والصاد كلمة تدل على فصل بين شيئين ـ من ذلك الفصوص هى مفاصل العظام كلها قال أبو عبيد : الا الأصابع ـ واحدها : فص ···

فض : الفاء والضاد أصل صحيح يدل على تفريق وتجزئة من ذلك فضضت الشيء : اذا فرقته ··

فظ : الفاء والظاء كلمة تدل على كراهة وتكره ···

فغ : الفاء والغين ليس فيه كلام أصيل وهو شبه حكاية لصوت · يقولون: الفغفغة (٦٧) ··

وما جاء فى المقاييس لا يختلف عما جاء فى المجمل لا من حيث المادة ولا من حيث المنهج ولم يجىء فيه تصريحا ولا تلميحا شيء عن المناسبة الطبيعية

ولا نجد فى هذه المادة التى عرضها ابن فارس فى مقاييسه ما يشير من خلاله الى مايدل على علاقة طبيعية بين الألفاظ ومدلولاتها · ومثل معجمة فى ذلك مثل بقية المعاجم يعرض للكلمة واشتقاقاتها والمعانى التى تدور حولها ··· على نحو ما رأينا وعلى نحو ما هو معروف ·

ولست أدرى من أين جاء الدكتور صبحى الصالح بما نسبه لابن فارس الذى يظهر انه اعتنق فكرة وذهب يبحث لها عما يؤيدها ··· بكل وسيلة

فاذا تتبعته فالأمر على نحو ما نرى ···

---

(٦٧) وأنظر بقية ج٤ من ص ٤٨٥ مادة فرز ـ فرس ـ فرش ـ فرص ـ فرض ـ فرط ـ فرع ـ فرغ ـ فرق ـ فرك ـ فرم ـ فره ـ فرى ـ فرت ـ فرث ـ فرج ـ فرح ـ فرخ ـ فرد من ص ٤٨٥/٥٠٠ ·

ولنعد الآن الى معجم ابن فارس المقاييس لنتتبع القاف والطاء ومـــا يثلثهما حسبما أرجعنا (٦٨) •

قطع : القاف والطاء والعين أصل صحيح واحد ، يدل على صرم وابانة شيء من شيء ...،..

قطف : القاف والطاء والفاء أصل صحيح يـــدل على أخـــذ ثمرة من شجرة ...،...

قطل : القاف والطاء واللام أصل صحيح يدل على قطع الشيء ...،..

قطم : القاف والطاء والميم أصل صحيح يدل على قطع الشيء ، وعـــلى شهوة ... ، ...

قطن : القاف والطاء والنون أصل صيح يدل على استقرار بمكان وسكون. يقال قطن بالمكان أقام به ... ، ...

قطو : القاف والطاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على مقاربة فى المشى. يقال : القطو : مقاربة الخطو وبه سميت القطاة وجمعها قطا ...،..

قطب : القاف والطاء والباء أصل صحيح يدل على الجمع ـ يقال : جاءت العرب قاطبة اذا جاءت باجمعها ...،...

قطر : القاف والطاء والراء هذا باب غير موضوع على قياس ـ وكلمـه متباينة الأصول وقد كتبناها ـ فالقطر : الناحية ـ والأقطار : الجوانب • ويقال طعنه فقطره أى القاه على احد قطرية وهما جنباه ..،..،... (٦٩)..

وهكذا نجد المادة التى يرجعنا اليها ليس فيها غير الفونيم وما يتصل بها من قوانين خاصة بالتقارب أو التتابع •

ق ط / ع /	ق ط / ل /	قط / ن /	قط / ب /
ق ط / ف /	قــ ط / م /	قط / و /	قط / ر /

---

(٦٨) المقاييس ح٥ / ص ١٠١ •

(٦٩) اقرأ المادة فى الباب من ص ١٠١/١٠٦ •

وهكذا راجت قضية المناسبة الطبيعية على حساب نظريات علمية متعددة وضع أسسها علماؤنا منها : نظرية الوحدة الصوتية (الفونيم) ، ولقى رأى الدكتور صبحى الصالح رواجا بما استثاره من عاطفة قومية نحو التراث ـ وقد كان بموقفه هذا فى الواقع يهدم أعظم ما قدمت عبقرية علماء العربية مما هو خاص بعبقرية اللغة العربية • ويسهم فى خدمة دراسات اللغات الانسانية وفى نظرية اللغة العامة •• فضلا عن أنه أضاع على علمائنا دورهم الريادى الذى حققوه باخلاصهم لربهم فى خدمة لغتهم •• لغة كتاب الله الكريم ••

ويأتى الدكتور محمد المبارك صاحب كتاب فقه اللغة وخصائص العربية ويندفع فى قوة مؤيدا ومناصرا قضية المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى ، ويحصر أفكار علماء العربية القدماء داخل تلك الدائرة ••،••

ويفرد فى كتابه مبحثين كاملين لتلك القضية (٧٠) •

فهو مثلا يقول تحت مبحث : الوظيفة البيانية والقيمة التعبيرية للحروف فى اللغة العربية :

« لاحظ بعض الباحثين قديما وحديثا أن اشتراك كلمات فى حرفين من الحروف الأصلية يفيد اشتراكهما فى شىء من المعنى أو فى معنى عام جامع لمعانيها مثل جمع ـ وجمل ـ وجمد ـ وجمر ـ ففيها كلها معنى الجمع ـ ومثلها كسر ـ وكسف ـ ثم أمنعوا النظر فى تتبع الحرف الواحد فى الألفاظ فوقعوا على عدد من الأمثلة يبدو فيها معنى عام مشترك فى الألفاظ التى تشترك بينها فى حرف واحد كافادة الراء معنى الاستمرار والتكرار فى : مر ـ وجر ورد ـ ورعى ـ ورقى ـ وعرف ـ وافادة الغين معنى الاستتار فى غار ـ وغاص ـ وغاض ـ وغمض ـ وغمر ـ وغيم ـ وغطى •

وافادة القاف معنى الشدة والانفصال أو الاصطدام فى مثل : قد ـ وقط ـ

---

(٧٠) الأول من ص ١٠١ تحت عنوان : القيمة التعبيرية للحرف الواحد فى اللغة العربية ص ١٠١ / ١٠٦ والثانى تحت عنوان الوظيفة البيانية والقيمة التعبيرية للحروف فى اللغة العربية من ص ٢٥٩ الى ص ٢٦٣ •

وقتل ـ وقطع ـ وقطف ـ وقصل ـ ودق ـ وطق ـ وشق ـ وفرق ـ وقلق ـ ونقر ـ ونقف » (٧١) ٠

ويأتى بعد ذلك مباشرة نص قوله الآتى : ـ

« وقد نبه ابن جنى فى مواطن كثيرة وأبواب متعددة من كتابه الخصائص الى التقابل بين المعانى والحروف فى الكلمات ٠ وعقد فصلا عنوانه « فى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى » ٠ وفصلا آخر بعنوان : (فى أمساس الألفاظ أشباه المعانى) » (٧٢) ٠

ثم يأتى تعقيبه الآتى بعد قوله السابق مباشرة عن ابن جنى :

« وتكلم فى هذا الموضوع كلاما يفهم منه تعميم هذه النظرة فى اللغـــة واطراد القول فى التقابل بين كل صوت فى الكلمة وجزء من أجزاء معناها بحيث أن المعنى العام للكلمة ناشىء عن اجتماع معانى الحروف المركبة لها » (٧٣) ٠

ونتابع ما جاء عند الأستاذ محمد المبارك حيث يقول : « ونرى أن ثمة أمثلة كثيرة فى العربية تدل على التناسب الصوتى والتقابل الموسيقى فى تركيب الكلمات وحروفها ، ولكن هذه الملاحظات والأمثلة التى أوردها بعض اللغويين قديما وحديثا لاتكفى لاقامة نظرة عامة واستنباط قانون عام قبل توسيع أفق الملاحظة والاستقراء ، وهى على كل حال تدل على ما فى اللغة العربيـــة من الخصائص الموسيقية فى تركيب كلماتها وعلى ما بينها وبين الطبيعة من تقابل صوتى وتوافق فى الجرس ـ وذلك أول دليل تقدمه لنا العربية من خاصتها الطبيعية وعلى أنها بنت الفطرة والطبيعة » (٧٤) ٠

أنظر بأى شىء اهتم اهتم بالسطح بالشكل الخارجى خصائص موسيقية مناسبةطبيعيةتقابل صوتى توافق فى الجرس ٠٠٠/٠٠٠ ، كلام ، وترك الجوهر

---

(٧١) السابق ص ٢٥٩ / ٢٦٠ ٠

(٧٢) السابق ص ٢٦٠ ٠

(٧٣) السابق ص ٢٦٠ ـ

(٧٤) فقه اللغة وخصائص العربية (السابق) ص ٢٦١ ٠

ثم يأتى بعد ذلك مباشرة بهذا القول الفصل :

« ونستطيع أن نقول فى غير تردد أن للحرف فى اللغة العربية ايحاء خاصا فهو ان لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى يدل دلالة اتجاه وايحاء ويثير فى النفس جوا يهىء لقبول المعنى ويوجه اليه ويوحى به » (٧٥) ٠

وهذا الكلام الأخير أيضا لا نقبض منه على شىء ـ ولكن الاستاذ المبارك فى الواقع أثار أفكارا كثيرة متداخلة تحتاج كل واحدة منها الى وقفة خاصة بها لمناقشتهـــــا ٠

فهو مثلا يتحدث عن الوظيفة البيانية والقيمة التعبيرية للحرف فى اللغــة العربية ٠٠ أليست لغات العالم كلها مكونة من حروف ؟ ! أليس الحرف هو الحرف ؟ ! أليست من الحروف تتكون الكلمات فى العربية وغيرها من اللغات اذن الأمر ليس خاصا بالعربية وبأبنائها ـ فاينت هى المناسبة الطبيعية اذن التى تجعل الحرف فى ذاته يستدعى المعنى ؟ ! ان استدعاءه عندنا استدعاء عندهم ٠

ثم هو فى فكرة أخرى يقلب القضية أو كما يقولون يجعل العربة أمـــام الحصان فيقول : ان اشتراك كلمات فى حرفين من الحروف الأصليــة يفيـــد اشتراكها فى شىء من المعنى أو فى معنى عام جامع لمعانيها ـ ويضرب على ذلك المثـــل :

جمع جمل جمد جمر فالبنية متحدة واختلف حرف واحد فالجزء المتحد موجود فى الجميع ـ فهل هو وحده يعطى معنى ؟ ننظر اذن وقد وضعت الكلمات وضعا رأسيا وننطق الجزء المتحد فى كل الكلمات ماذا أفاد وهل اختلف من كلمة الى الأخرى ـ الذى أفاد هو الوحدة الصوتية التى بموجبها تحدد المعنى ٠

جم / ع /
جم / ل /
جم / د /
جم / ر / المقاطع وحدها عديمة المعنى على أى من الجانبين

---

(٧٥) السابق ص ٢٦١ ٠

فهذه هى نظرية الفونيم الوحدة الصوتية الصغرى التى يتغير بموجبها المعنى ويؤدى فيها قانون التقارب والتتابع وظيفته •

هل الاشتراك فى الحرفين معا هو الذى أعطى المعنى العام الجامع - هل لو وقفنا عند الحرفين معا فقط نستفيد شيئا ؟ •

الحرف الثالث فقط هو الذى بموجبه تغير المعنى •

ثم ادى قانون التقارب وقانون التتابع وظيفته •

ومثل المثال السابق مثال : كسر - وكسف •

كســ / ر /

كســ/ ف /

وأما قوله عن أفادة الراء معنى الاستمرار والتكرار فى : مر - وجر ، ودر، روغى ، ورقى ، وعرف • فهذا لا يخضع لنظرية واحدة ولا لقانون واحد - ففيه من نظرية الفونيم مع قوانين التقارب والتشابه والتداعى والراء وحدها لم تفد المعنى العام وانما الذى أفاد المعنى هو حروف الكلمة مجتمعة - ولو وقف الأمر عند الراء وحدها ما عبر عن معنى ولا عرف السامع مقصدا - فلكل كلمة دلالتها وتنقسم مجموعات على النحو الآتى :

ج / ر /　　　　ر / ع / ا　　غرف

م / ر /　　　　ر / ق / ا

د / ر /

ومثله كلامه عن الغين • فهل الغين وحدها أفادت معنى الاستتار فى

غا /ص/　　غمـ / ض /　　غفر　غيم　غطى

غا / ر /　　غمـ / ر /

غا /ض/　　غمـ / ز /

حروف الكلمة مجتمعة أفادت المعنى - والغين وحدها لم تفد معنى الغياب والحرف الذى اختلف فى كل كلمة هو الذى حدد نوع المعنى المطلوب - والتقارب

بين الحروف هذا خاضع لقوانين معروفة لدى الدراسين وما تشترك فيه الكلمات من معنى عام فهذا راجع لقوانين خاصة سبقت الاشارة اليها مثل قانون التقارب ... الى آخره مما هو وثيق الصلة بطبيعة المتكلمين بالعربية وبخصائص العربية نفسها ومثله ما جاء بخصوص افـــادة القاف الشـــدة والانفصال أو الاصطدام فانه يجمع أى مادة ويحاول أن يوجد بينها أى تقـارب لأوهى الأسباب .

قـ / د /   قـ/تـ/ل   قط/ع/   /د/ق   فـ / ر / ق ـ قلق
قـ / ط /   قـ/صـ/ل/   قط/فـ/   /ط/ق
/ش/ق
نـ/ق/ر/
ذ/ق/فـ/

مادة جمعت أى جمع على غير قانون ـ مع محاولة الربط بينها بأوهى الأسباب .

● وأما ما جاء من أقوال له خاصة بابن جنى فتلك قضية أخرى يوضح تحليل كل باب من الأبواب الخاصة بابن جنى حقيقة مايريده صاحبه بشأنها .

فمن الممكن الرجوع الى ما جاء فى باب « فى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعـــانى » .

وباب فى امساس الألفاظ أشباه المعانى .

بل وغير ذلك من الأبواب الأخرى التى تعرضنا لها .

وأما قوله عما أورده اللغويون قديما وحديثا من ملاحظات وأمثلة وأنها لا تكفى لاقامة نظرة عامة واستنباط قانون عام

اعتراف صريح باهـــدار جهود علماء العربية فى القديم ـ وباضاعة كل ماقدموه من نظريات ودور ريادى وتجديد لمـا فى التراث .

● أما عن جهود المحدثين : ـ اذن ففيم كل هذا الجهد ان كنت بعد كل هذا لا يمكن أن تخرج منه بقانون أو اقامة نظره عامة ـ هل هو اضاعة وقت وجهد .
اذن فلننفض اليد

أو نمعن النظر .

● ألا يعقل أن يكون الطريق قد ضاع ٠

ان من يعرف الطريق يجد النظرية متكاملة الأبعاد وأن هناك أسساً انبعثت عنها النظرية وهناك قوانين تحكمها على نحو ما أوضحنا ٠

أما قوله : وهي على كل حال تدل على ما في اللغة العربية من الخصائص الموسيقية في تركيب كلماتها ، فهو كلام لا نحصل من ورائه على طائل وليس فيه كبير نفع ٠

وكذلك قوله : انها تدل على ما بين كلماتها وبين الطبيعة من تقابل صوتى وتوافق في الجرس وذلك أول دليل تقدمه لنا العربية من خاصتها الطبيعية وعلى أنها بنت الفطرة والطبيعة » ٠

فهو كلام له رنين غير أنه لا يمثل أمام الباحث أو طالب العلم أى معلم على طريقة ٠

ونقدم عرضا تحليليا تطبيقيا لباب فى أمساس الألفاظ أشباه المعانى ـ

باب فى امساس الألفاظ أشباه المعانى (١)

يترسم ابن جنى فى هذا الباب خطوات الخليل وسيبويه على نحو ماينص هو على ذلك ثم ينطلق فى عرض قوالب لغوية عامة وبنيات شكلية من خلال صيغ صرفيه يدخل ضمنها ما يستجيب لها من معان ٠٠٠٠٠ على نحو ما مر فى الباب السابق ـ ولكن فى شىء من التفصيل والموازنة التى يتطلبها المقام

يقول ابن جنى : ـ

« اعلم أن هذا موضع شريف لطيف ٠ وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته ٠

قال الخليل : كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : صر وتوهموا فى صوت البازى تقطيعا فقالوا : صرصر ٠

وقال سيبويه (٢) فى المصادر التى جاءت على الفعلان : انها تأتى للاضطراب والحركة ، نحو : النقزان ، والغليان ، والغثيان ، فقالوا : بتوالى حركات المثال توالى حركات الأفعال ، ٠ ثم يتابع ابن جنى نصه قائلا :

« ووجدت انا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ماحداه ، ومنهاج ما مثلاه :

---

(١) الخصائص (السابق) ح ٢ ص ١٥٢ ٠

(٢) الكتاب ح ٢ ص ٢١٨ ـ عبارة سيبويه فى الكتاب : « ومن المصادر التى جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعانى قولك : النزوان والنقزان والقفزان ٠ ـ وانما هذه الأشياء فى زغزغة البدن واهتزاز فى ارتفاع ٠ ومثله العسلان والرتكان ٠٠٠،٠٠

ومثل هذا الغليان لأنه زغزغة وتحرك : ومثله الغثيان لأنه تجيش نفسه وتثور :

ومثله الخطران واللمعان لأن هذا اضطراب وتحرك ٠ ومثل ذلك اللهبان والوهجان لأنه تحرك الحر وتثوره ـ فانما هو بمنزلة الغليان ٠

وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتى للتكرير ، نحو : الزعزعة ، والقلقة ، والصلصلة ، والقعقعة ، والصعصعة ، والقرقرة ٠

ووجدت أيضا الفعلى فى المصادر والصفات انما تأتى للسرعة نحو : البشكى ، والجمزى ، والولقى ٠ قال رؤبة :

أو بشكى وخذ الظليم النز (٣) ٠

وقال الهذلى (٤) :

كأنى ورحلى اذا هجرت على جمزى جازىء بالرمال
أو أصحم حام جراميزه حزابية حيدى بالدحال (٥)

فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر ــ أعنى باب القلقلة ٠

والمثال الذى توالت حركاته للافعال التى توالت الحركات فيها ٠

ومن ذلك وهو أصنع منه ــ أنهم جعلوا استفعل فى أكثر الأمر للطلب ، نحو : استسقى ، واستطعم ، واستوهب ، واستمنح ، واستقدم عمرا ــ واستصرخ جعفرا فرتبت فى هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال (٦) ٠

وبعد أن يفسر ابن جنى كيف جعلوا (استفعل) فى أكثر الأمر للطلب يقول :

« فجاءت الهمزة والسين والتاء زوائد ــ ثم وردت بعدها الأصول الفاء والعين واللام فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك ــ وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعى فيه والتأتى لوقوعه تقدمه ــ ثم وقعت الاجابة اليه ــ

---

(٣) الديوان ٦٥ ــ الظليم النز : يقال ظليم نز : لا يستقر فى مكان ٠
(٤) فى اللسان فى جمز : هو أمية بن أبى عائذ ٠ وأنظر الهذليين ١٧٦/٢
(٥) الجمزى : حمار وحش : وجازى : يستغنى بالرطب عن الماء ــ والأصحم : حمار وحش أيضا من الصحمة وهى سواد الى صفرة ــ وجراميزة : جسده ونفسه ، يحميها من الصائد ، حزابية = غليظ ــ حيدى = يحيد من سرعته ــ والدحال : جمع الدحل ، وهو هوة ضيقة الأعلى واسعة الأسفل ٠
(٦) الخصائص (السابق) ج ٢ ص ١٥٣ ٠

فتبع الفعل والسؤال فيه والتسبب لوقوعه ـ فكما تبعت أفعال الاجابة أفعال الطلب تبعت حروف الأصل الزائدة التى وضعت للالتماس والمسألة ـ وذلك نحو : استخرج ، واستقدم ، واستوصب ، واستمنح ، واستعطى واستدنى.

فهذا على سمت الصنعة التى تقدمت فى رأى الخليل وسيبويه الا أن هذه أغمض من تلك ، غير أنها وان كانت كذلك فانها منقولة عنها ، ومعقودة عليها ومن وجد مقالا قال به وان لم يسبق اليه غيره .

فكيف به اذا تبع العلماء فيه ، وتلاهم على تمثيل معانيه (٧) .

ثم يذكر أنهم جعلوا تكرير العين فى المثال دليلا على تكرير الفعل .

فيقول :

« ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين فى المثال دليلا على تكرير الفعل فقالوا : كسر ـ وقطع ـ وفتح وغلق ـ وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعانى فاقوى اللفظ ينبغى أن يقابل به قوة الفعل والعين أقوى من الفاء واللام ...،...

... فلما كانت الأفعال دليلة المعانى كرروا أقواها وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به ، وهو تكرير الفعل كما جعلوا تقطيعه فى نحو صرصر وحقحق دليلا على تقطيعه ...،...

... ، ... وقد اتبعوا اللام فى باب المبالغة العين اذا كررت العين معها فى نحو :

دمكمك ، وصمحمح ، وعركرك ، وعصبصب ، وغشمشم ، والموضع فى ذلك العين ، وانما ضامتها اللام هنا تبعا لها ولاحقة بها .

ألا ترى الى ما جاء عنهم للمبالغة من نحو :

اخلولق واعشوشب ، واغدودن ، واحمومى ، واذلولى ، وافطوطى

---

(٧) السابق ح ٢ ص ١٥٥ .

وكذلك فى الاسم ، نحو : عثوثل ، وغدودن ، وخفيدد ، وعقنقل ، وعبنبل وهجنجل قال :

ظلت وظل يومها حوب حل   وظل يوم لأبى الهجنجل (٨)

فدخول لام التعريف فيه مع العلمية يدل على انه فى الأصل صفة كالحارث، والعباس ، وكل واحد من هذه المثل قد فصل بين عينيه بالزائد لا باللام .

فعلمت أن تكرير المعنى فى باب صمحمح انما هو للعين ، وان كانت اللام فيه أقوى من الزائد فى باب : افعوعل ــ وفعوعل ــ وفعيعل ــ و وفعنعل .

لأن اللام بالعين أشبه من الزائد بها . ولهذا أيضا ضاعفوها كما ضاعفوا العين للمبالغة نحو : عتل ، وصمل ، قمد ، حزق .

الا أن العين اقعد فى ذلك من اللام ــ هذا هو الباب .

فأما : اقعنسس : واسنحكك ــ فليس الغرض فيهما التوكيد والتكرير لأن ذا إنما ضعف للالحاق فهذه طريق صناعية .

وباب تكرير العين هو طريق معنوية .

ألا ترى انهم لما اعتزموا افادة المعنى توفروا عليه ، وتحاموا طريق الصنعة والالحاق فيه ــ فقالوا : قطع ــ وكسر ــ تقطيعا وتكسيرا .

ولم يجيئوا بمصدره على مثل فعللة فيقولوا : قطعة ــ وكسرة . كما قالوا فى الملحق بيطر بيطرة ــ وحوقل حوقلة ، وجهور جهوره .

ويدلك على أن افعوعل لما ضعفت عينه للمعنى انصرف به عن طريق الالحاق تغليبا للمعنى على اللفظ ــ واعلاما أن قدر المعنى عندهم أعلى وأشرف من قدر اللفظ .

---

(٨) حوب : زجر للابل الذكور منها ــ وحل : زجر لاناثها ــ ومعناه : أنه يريد : ظل يومها مقولا فيه : حوب حل ــ وورد هذا الرجز مع صلة له فى شرح التبريزى للحماسة ٣٣٣/١ تحقيق : الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد .

أنهم قالوا فى افعوعل من رددت : آرددود ولم يقولوا : اردودد فيظهروا التضعيف للالحاق ـ كما أظهروه فى باب اسحنكك ، واكلندد ـ لما كان للالحاق باحرنجم واخرنطم ٠

ولا تجد فى بنات الأربعة نحو : آحروجم ، فيظهروا (افعوعل) من رددت فيقال اردودد ـ لأنه لا مثال له رباعى فيلحق به ٠

فهذا طريق المثل واحتياطاتهم فيها بالصنعة ودلالتهم منها على الارادة والبغيـــــة (٩) ٠

يتخذ ابن جنى مما قدمه الخليل وسيبويه منهجا يحتذيه فى البحث ويقدم فى ضوئه صيغا مختلفة تمثل أبعادا متنوعة ٠

ويقول : « ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ماحداه ومنهاج ما مثلاه » ٠

وذلك على النحو الآتى : ــ

١ ــ المصادر الرباعية المضعفة تأتى للتكرير ٠

الفعل الرباعى	مصدر الفعل الرباعى	وزن الفعل	وزن مصدره
زغزغ	زغزغة	فعلل	فعللة
قلقل	قلقلة	فعلل	فعللة
صلصل	صلصلة	فعلل	فعللة
قعقع	قعقعة	فعلل	فعللة
صعصع	صعصعة	فعلل	فعللة
قرقر	قرقرة	فعلل	فعللة

فكل المصادر الرباعية السابقة التى جاءت فى قالب

---

(٩) الخصائص (السابق) ح ٢ ص ١٠٦/١٥٧ ٠

فعللة مصدر فعلل جاءت للتكرير

فعلل فعللة = التكرير • أي أن المثال المكرر للمعنى المكرر -

٢ ـ • ـ وزن الفعلى في المصادر والصفات للسرعة

الفعلى مثل البشكى تفيد السرعة

الفعلى مثل الجمزى تفيد السرعة

الفعلى مثل الولقى تفيد السرعة

ثم يقول ان : المثال الذى توالت حركاته (فـ ـعـ لى) • للافعال التى توالت الحركات فيها ••

● فهو قالب شكلى معين يستجيب لأى أصل قابل لأن يتقولب فيـــه فيستجيب له المعنى وليس هنا ربط رمز صوتى معين بدلالة وقفت عليه وانما تجمعات صوتية مختلفة أفادت معنى واحدا •

٣ ـ • ـ استفعل	فى أكثر الأمر للطلب	الوزن
استسقى	طلب السقيا	استفعل
استطعم	طلب الطعام	استفعل
استوهب	طلب الهبة	استفعل
استمنح	طلب منحا أو منحة	استفعل
استقدم عمرا	طلب قدوم عمرو	استفعل
استصرخ	طلب الاغاثة بالصراخ	استفعل

أى أن ا س ت + الأصول (أى أصل كان وذلك على النحو الآتى)

ا س ت + ف ع ل

ا ســـت + ط ع م

ا ســـت + و هـ ب

ا ســـت + صرخ

ا ســـت + خرج

ا ســـت + دنـــو

فهى صيغ شكلية قابلة لأن تستجيب لأى أصول تتغير المعانى بمقتضاها وليست وقفا على أصلٍ واحد – أو رمز صوتى معين فننسبها للرمزية الصوتية أو نقول انه يربط بين دال بعينه ومدلول بعينه ·

٤ – ٠ – فعّل = تكرير العين دليلا على تكرير الفعل (فعل)

كسّر = تكرير العين دليلا على تكرير التكسير (كسر)

قطّع = تكرير العين دليلا تكرير التقطيع (قطع)

فتّح = تكرير العين دليلا على تكرير التفتيح (فتح)

غلّق = تكرير العين دليلا على تكرير التغليق (غلق)

وهذا قالب شكلى أيضا يستجيب لأى أصل يتغير المعنى بمقتضاه – وليس وقفا على أصل واحد وانما هو قاعدة يتشكل فى ضوئها ما يستجيب لها من صيغ فليس هنا ربط رمز صوتى بعينه بدلالة بعينها ·

٥ – ٠ – أتبعوا تكرير العين فى باب المبالغة أن كرروا اللام أيضا ·

فعلعل كررت العين – وكررت اللام · فاللام جاءت تبعا للعين ولاحقة بهـا : –

اتبعوا تكرير العين فى المبالغة تكرير اللام ولذلك فصيغ فعلعل فى المبالغة أقوى من افعوعل – وفعوعل – وواضح أنه يتحدث هنا عن بنيات شكلية على نحو ما يأتى مفصلا : –

٦ – ٠ –

(١)	(٢)	(٣)
فعلعل	افعوعل	فعوعل
دمكمك	اخلولق	عثوثل
صمحمح	اعشوشب	غدودن
عركرك	إغدودن	خفيدد

عصبصب	احمومى	عقنقل
غشمشم	اذلولى	عتنتل
	افطوطى	هجنجل

الهجنجل) دخول (ال)

التعرف فيه يدل على انه فى الأصل صفة كالحارث والعباس ·

فى الأول فصل بين عينيه باللام ــ (فهو أقوى)

وفى الثانى والثالث فصل بين عينيه بالزائد وهو الواو ·

تكرير المعنى فى الأول (صمحمح) انما هو للعين · وان كانت اللام فيه أقوى من الزائد فى باب افعوعل ــ وفعيعل ــ و فعنعل ·

٧ ــ · ــ وكما ضاعفوا العين للمبالغة ضاعفوا اللام للمبالغة كذلك نحو : ــ

فعل	=	فعلل	ضم الاول والثانى وتضعيف الثالث
عتل	=	عتلل	
صمل	=	صملل	
قمد	=	قمدد	
خزق	=	خزقق ·	

وكذلك نماذج المثال السادس ـ والمثال السابع تتحدث عن بنيات شكلية وصيغ وأوزان صرفية ولا تتحدث عن رموز صوتية معينة أو ألفاظ يربط بينها وبين مدلولاتها رابط ضرورى طبيعى ·

٨ · ــ أما اقعنسس ، واسحنكك فالتضعيف للالحاق وليس للتوكيد والتكرير والالحاق طريق صناعية أى تلحق صيغة بصيغة عن طريق صناعى(صرفى)أما تكرير العين فهو طريق معنوى أى هدفه مرتبط بالدلالة لا بالصنعة فالالحاق يهتم بالصيغ الشكلية وتضعيف العين يرتبط بالدلالة توضيح ذلك :

منهم عندما يريدون افادة المعنى يتحامون طريق الصنعة والالحاق فيه .
مثال ذلك : ـ أنهم لم يجيئوا بمصدره على فعللة .

الفعل	المصدر	
فعـل	تفعيلا	
قطـع	تقطيعا	لا × قطعة
كسر	تكسيرا	لا × كسرة

٩ . ـ أما الملحق

الفعل	المصدر	الوزن	المصـدر
بيطـر	بيطرة	فيعل	فيعلة
حـوقل	حوقلة	فوعـل	فـوعلة
جهـور	جهورة	فعـول	فعـولة

١٠ . ـ افعوعل لما ضعفت عينه للمعنى أنصرف به عن طريق الالحـاق تغليبا للمعنى على اللفظ .

افعوعل من رددت .

اردود بتضعيف الدال الأخيرة ولم يقولوا أدودد

فيظهر التضعيف للالحاق كما أظهروه فى باب اسحنكك .

اكلندد لما كان للالحاق باجر نجم واخر نطم .

ولا تجد فى بنات الأربعة نحو :

احروجم فيظهروا لفعوعل من رددت فيقال

اردودد ـ لأنه لامثال له رباعى فيحلق هذا به . .

نماذج المثال الثامن والمثال التاسع والمثال العاشر يوازن بين حالات يكون فيها التضعيف بهدف شكلى صرف بحت - (التضعيف) وبين التضعيف عندما يكون استجابة لدلالة داخل البنيـة الشكلية (التضعيف للتوكيد والتـكرير) وكيف يترتب على ذلك اختلاف ف البنيات الشكلية من حيث الأوزان الصرفية .

ومن خلال العرض السابق يتبين أن النماذج التى عالجها ابن جنى داخل هذا الباب انما هى بنيات شكلية وصيغ وأوزان صرفية قابلة لأن تحتوى الأصول التى تتواءم معها لتنبثق عنها ما تقتضيه الدلالة المشار اليها .

وهكذا أوضح ابن جنى معالم منهج ورسم طريقا للبحث بنماذج وأمثلة نتيجة تتبع واع لما يعرض له من ظواهر لغوية ف أوضاع استعمالاتها المختلفة متخذا من صيغ الاستعمال وبنياتها الشكلية المختلفة ما يحدد أبعادها سـواء ما يتصل منها بالصنعـة أو ما يتصل منها بالدلالة والمعنى وترك للباحث من بعده طريقا هو على بينة فيه من امره - أو على حد عبارة ابن جنى نفسـه : فهذا طريق المثـل واحتياطاتهم فيها بالصنعة ودلالتهم منهـــا على الارادة والبغية » (١٠) .

اذن فنحن أمام نظرية لغوية عامة تكشف عن جانب هام من جوانب اللغة ، وهى التى تعرف ف علم اللغة اليوم باسم morphonologie Ou la morpho phonologie معالمها واضحـة عند ابن جنى وأبعادها محـددة ، وقد أعـانه على صياغتها والتمثيل لها ورسم حدودها طبيعة اللغة العربية فهى لغة تصريفية اعرابية - لذلك فالنظرية واضحة مستقرة ، وكان على اللغويين أن ينتبهوا لها قديما أو حديثا لتاخذ مكانها ف حقل الدرس اللغوى - فدراسة البنيات الشكلية على هذه الصورة الصرفية الصوتية الدلالية لم يصـل اليها علم اللغة - حتى اليوم الا بصورة غير كاملة ولذلك مازال الدرس اللغوى العربى رائدا فيها - وذلك لان طبيعة لغات الغربيين لم تسعفهم بأبراز معالم هذه النظرية على حين

---

(١٠) الخصائص (السابق) ح ، ص ١٥٧ .
(١١) الخصائص (السابق) ح ، ص ١٤٥ .

أن اللغة العربية أو الساميات عامة تعطى النماذج التى تسهل ابراز معالم النظرية مما يدفعنى الى القول بأن علماء اللغة الغربيين استفادوا فكرة هذه النظرية ـ وفكرة الدراسة الخاصة بها مما هو موجود لدى علمائنا فى التراث ـ وبنوع خاص مما هو موجود فى أعمال ابن جنى ولا سيما تلك الاعمال التى هى بين أيدينا ٠

دراسة البنيات الشكلية ذات الصور الصوتية الدلالية

وبعـــــد :

فان الموضوع الذى ننتقل له الآن عند ابن جنى يتصل بتلك القضيـــة الكبرى التى نحن بصدد علاجها ، وينبثق عنها ٠ وقد جاء فى كتاب الخصائص تحت عنـــوان :



باب فى قوة اللفظ لقوة المعنى (١)

وهم يدخلون هذا الباب عند ابن جنى ضمن قضية الرمزية الصوتية (٢)

* ويطلعنا ابن جنى من عرضه لهذا الباب على ظاهرة لغوية فى العربية جديرة بأن تأخذ حظها من عناية الدارسين لما تقوم به من دور وظيفى على المستوى الدلالى من ناحية ومستوى الصيغة وبنية الكلمة من ناحية أخرى ·

وخلاصة فكرة هذه الظاهرة عنده تتحدد أبعادها على النحو الآتى :

يقول ابن جنى :

« هذا فصل من العربية حسن ـ منه قولهم : خشن واخشوشن · فمعنى خشن دون معنى اخشوشن · لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو · ومنه قول عمر رضى الله عنه : اخشوشنوا وتمعددوا أى اصلبوا وتناهوا فى الخشنة (٣)

وكذلك قولهم : أعشب المكان ، فاذا أراد كثرة العشب فيه قالوا : أعشوشب
ومثله : حلا واحلولى · وخلق واخلولق · وغدن واغدودن ·
ومثله باب فعل وافتعل نحو : قدر واقتدار ·
فاقتدر أقوى معنى من قولهم قدر · كذلك قال أبو العباس وهو محض القياس ·

قال سبحانه : « أخذ عزيز مقتدر » (٤) فمقتدر هنا أوفق من قادر من حيث كان الموضعْ لتفخيم الأمر وشدة الأخذ ـ وعليه ـ عندى قول الله ـ عز وجل ـ « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (٥) ···· /···· ···· / ·····
فعلم بذلك قوة فعل السيئة على فعل الحسنة · ولذلك قال ـ تبارك وتعالى ـ :

---

(١٢) على نحو ما سيتبين فيما بعد ان الدكتور أنيس يرى فى كيفية علاجه رأيا آخر مخالفا لما يراه ابن جنى وكذلك للدكتور صبحى الصالح رأى آخر بخصوصه على نحو ما سيأتى ··

(ا) الخصائص (السابق) ح ٣ ص ٢٦٤ ·

(٢) الخشنة : مصدر خشن كالخشونة ·

(٣) سورة القمر آية ٤٢ ·

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٦ ·

« تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا » (٥) . فاذا كان فعل السيئة ذاهب بصاحبه الى هذه الغاية البعيدة المترامية ـ عظم قدرها . وفخم لفظ العبارة عنها فقيل : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » . فزيد فى لفظ فعل السيئة لما ذكرنا .

ومثله سواء . بيت الكتاب :

أنا اقتسمنا خطتينا بيننا فحملت برة واحتملت فجار (٦)

فعبر عن البر بالحمل ـ وعن الفجرة بالاحتمال ـ وهذا هو ما قلناه فى قوله ـ عز اسمه : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ـ لا فرق بينهما .

وذاكرت بهذا الموضع بعض أشياخنا من المتكلمين فسر به وحسن فى نفسه

ومن ذلك أيضا قولهم : رجل جميل ، ووضىء فاذا أرادوا المبالغة فى ذلك قالوا : وضاء ، وجمال ـ فزادوا فى اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه ـ قال (٤) :

والمرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكريم وليس بالوضاء

وقال (٧) :

تمشى بجهم حسن ملاح أجم حتى هم بالصياح

وقال :

منه صفيحة وجه غير جمال وكذلك حسن وحسان

ضم الأول وتضعيف الثانى .

قال (٨) :

دار الفتاة التى كنا نقول لها يا ظبية عطلا حسانة الجيد

وكان أصل هذا أنما هو لتضعيف العين فى نحو المثال ، نحو قطع وكسر وبابهما وانما جعلنا هذا هو الأصل لأنه مطرد فى بابه أشد من اطراد

---

(٥) سورة مريم آيتا ٩٠ ، ٩١ .

(٦) أبو صدقة الدبيرى اللسان مادة وضا ـ والمخصص لابن سيدة ١٥ / ٨٩ .

(٧) البيت فى اللسان ـ مادة : ملح : والحديث عن أمرأة . ويعنى بالجهم : فرجها .

(٨) الشماخ : وهو من قصيدة فى ديوانه يهجو فيها الربيع بن علباء ـ والعطل ـ التى لا حلى عليها .

باب الصنعة • وذلك نحو قولهم قطع وقطع ـ وقام الفرس وقومت الخيل ـ ومات البعير وموتت الابل ـ ولأن العين قد تضعف فى الاسم الذى ليس بوصف • نحو : قبر (٩) وتمر (١٠) وحمر (١١) •

••• / ••• ونحو منتكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتـاد حاله •

وذلك فعال فى معنى فعيل نحو : طوال فهو أبلغ معنى من طويل ، وعراض فانه أبلغ معنـى من عريض • وكذلك خفـاف من خفيف ، وقـلال من قليـل ، وسراع من سريع •

ففعال لعمرى وان كانت أخت فعيل فى باب الصفة ـ فان فعيلا أخص بالباب من فعال ـ ألا تراه أشد انقيادا منه ـ تقول : جميل ـ ولا تقول : جمال ـ وبطىء ولا تقول : بطاء ـ وشديد ولا تقول : شداد ـ ولحم غريض ولا يقال : غـراض •

فلما كان فعيل هى الباب المطرد وأريدت المبالغة عدلت الى فعال ، فضارعت فعال بذلك فعال ـ والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله ، أما فعال فبالزيادة بتضعيف العين •

وأما فعال فبالانحراف به عن فعيل (١٢) •

بعد أن استعرضنا مع ابن جنى أبعاد فكرة هذا الباب عنده نستطيع أن نخلص بالحقائق الآتية : ـ

● يتتبع ابن جنى فى هذا الباب ظاهرة لغوية يعرضها من خلال صيـغ صرفية وبنيات شكلية ••• ، فالقضية اللافتة لابن جنى قضية قوالب لغـوية عامة تستجيب الدلالة لها وتتغير المعانى بمقتضاها ـ من خلال تغير الصيغ •

من ذلك :

• ـ فعل وافعوعل

(٩) القبر : هو من الطيور وواحدته قبرة •
(١٠) والتمر : جمع التمرة ـ وهو طائر أصغر من العصفورة •
(١١) والحمر : هو طائر أيضا ـ واحدته حمرة •
(١٢) كتاب الخصائص (السابق) ح ٣ من ص ٢٦٤ / ٢٦٨•

خشن واخشوشن

نفعل دون أفعوعل لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو ـ ومثله :

خـلق واخلولق

حـــلا واحلولى

• ـ فعــــل وافعوعل ـ بكسر عين فعل

غـــدن واغدون

• ـ أفعــل وافعوعل

أعشب واعشوشب

• ـ فعــل وافتعل ـ بفتح عين فعل

قـــدر واقتدار

اقتدر أقوى من قدر من قولهم = « أخذ عزيز مقتدر » ٠

كسب واكتسب = « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ٠

حمــل واحتمل = « فحمــلت بــرة واحتملت فجار » ٠

• ـ فعيل وفعال ـ بضم الفاء وتضعيف العين فى فعال

جميل وجمــال

وضـــئ ووضاء

مليـح وملاح

• ـ فعــل وفعال ـ فتح الفاء والعين فى فعل وضم الفاء وتضعيف العين فى فعــال ٠

حســن وحسان = حسانة الجيد ٠

• ـ العدول عن معتاد الحال فى فعال فى معنى فعيــل

فعيــل وفعال

طـويل	طـوال
عـريض	وعــراض
خفيف	وخفــاف
قليــل	وقلال
سريـــع	وسراع

ضارعت فعال بذلك ـ ضم الفاء وفتح العين فى الأولى ـ وضم الفاء وتضعيفه العين فى الثانية ـ والمعنى الجامع بينهما خــروج كل واحــد منهمــا عن أصله فعال ـ بالزيادة ـ وفعال بالانحراف عن فعيل ٠

ويأتى قول ابن جنى جامعا لخلاصة فكرته ازاء ما نحن بصدده فيقول :

« وبعد فاذا كانت الألفاظ أدلة المعانى ثم زيد فيها شى أوجبت القسمةله زيادة المعنى به ـ وكذلك أن انحرف به عن سمته وهديته (١٣) كان ذلك دليلا على حادث متجدد له وأكثر ذلك أن يكون ما حدث له زائدا فيه لا منتقصا منه (١٤) ٠

وواضح أنه لا صلة بين الظاهرة اللغوية التى عرضها علينــا ابن جنى فى بابه السابق ـ وبين قضية الرمزية الصوتية ٠

فالقضية التى مــرت عند ابن جنى قضية قوالب لغوية وبنيــات شــكليه تستجيب لها الدلالة وتتغير المعــانى بمقتضاها ٠٠ من خلال صيغ صرفيــة ذات أوزان معلومة صالحة لأن يدخل ضمنها ما يستجيب لها من معان وليست قاصرة على معنى مادة واحدة محدودة ٠٠ / ٠٠ وانما معنى أى مادة شئت ينطبق عليه القانون اذن هو قانون عام ٠

ومعنى ذلك أن ابن جنى وضع أيضا بين أيدينا منهجــا ـ وقدم نمــاذج تحتذى فى البحث والدرس ـ وأضاف بعدا آخر من أبعاد نظرية القوالب الشكلية

---

(١٣) الهدية : الطريقة والسيرة ٠

(١٤) الخصائص (السابق) ح ٢ ص ٢٦٨ ٠



وقريب من هذه النظرة عند ابن جنى ـ ولكن من زاوية أخرى نظرته لموضوع آخر يعرضه علينا تحت عنوان :

باب فى السلب (١)

يطلعنا ابن جنى من خلال بابه هنا على ظاهرة لغوية جديدة فى العربية الى اليوم لم تنل حظها لدى الباحثين وخلاصة فكرة هذه الظاهرة عنده :

أن زيادة تطرأ على الكلمة فتكسبها معنى مضادا لما عليه معانى أصل المادة وقد تكون هذه الزيادة : حرفا ـ أو تضعيفا ـ أو حركة ٠٠ فيتحول المعنى بواحدة منها الى الضد ـ وأطلق على هذه الظاهرة : ظاهرة السلب ، من قبل أن السلب معنى حادث على اثبات الأصل الذى هو الايجاب ـ ثم يعلل ذلك بقوله :

« فلما كان السلب معنى زائدا حادثا لاق به من الفعل ما كان ذا زيادة من حيث كانت الزيادة حادثة طارئة على الأصل الذي هو الفاء والعين واللام » (٢) ٠

وبناء على ذلك فالسلب عنده تحدثه وحدات لغوية تزاد على الكلمة فتكسبها معنى مضادا ٠

فاذا نظرنا الى هذه الظاهرة فى ضوء الدرس اللغوى الحديث نجدها تقترب من فكرة الفونيم Phoneme وان كان الخلاف بينهما كبيرا ٠

فوظيفة الفونيم أو الوحدة الصوتية Unit التمييز بين الكلمات وأعطاؤها قيما لغوية مختلفة أهمها القيمة الدلالية ؟ وقد تكون له قيمة صرفية أو قيمة نحوية ٠

---

(١) الخصائص ح ٣ ص ٧٥ / ٠٠٠
(٢) الخصائص ح ٣ ص ٨٠ / ٠٠٠

وعلى نحو ما مر ينبهنا ابن جنى الى أن هذا الموضوع ليس له فيقول :
« نبهنا ابو على ـ رحمه الله ـ من هذا الموضوع على ما أذكره وأبسطه لتعجب من حسن الصنعة فيه » •

اعلم أن كل فعل أو اسم مأخوذ من الفعل أو فيه معنى الفعل ، فان وضع ذلك فى كلامهم على اثبات معناه لاسلبهم اياه •

وذلك قولك : قام فيذا لاثبات القيام ، وجلس لاثبات الجلوس ، وينطلق لاثبات الانطلاق ، وكذلك الانطلاق ، ومنطلق جميع ذلك وما كان مثله انماهو لاثبات هذه المعانى لا لنفيها ، ألا تـرى أنك اذا أردت نفى شىء منهـا ألحقته حرف النفى فقلت : ما فعل ، ولن يفعل ، ولا تفعل ونحو ذلك •

ثم انهم مع هذا قد استعملوا ألفاظا من كلامهم من الأفعـال ومن الأسماء الضامنة لمعانيها فى سلب تلك المعانى لالاثباتها •

ألاترى أن تصريف (ع • ج • م) • أين وقعت فى كلامهم انما هـو للابهام ، وضد البيان ، من ذلك : العجم لانهم لا يفصحون :

وعجم الزبيب ونحوه لاستتاره فى ذى العجم :

ومنه عجمة الرمل لما استبهم منه على سالكيه فلم يتوجه لهم :

ومنه عجمت العود ونحوه اذا عضضته : ـ لك فيه وجهان :

ان شئت قلت انما ذلك لادخالك اياه فى فيك واخفائك له •

وان شئت قلت : ان ذلك لأنك لما عضضته ضغطت بعض ظاهر أجزائه فغارت فى المعجوم فخفيت •

ومن ذلك أستعجمت الدار اذا لم تجب سائلها • قال (٤) •

صـــم صداها وعفا رسمها   واستعجمت عن منطق السائل

(ا) القول لامرئ القيس •

ومنه جرح العجماء جبار (٥) لان البهيمة لا تفصح عما فى نفسها •

ومنه قيل : لصلاة الظهر والعصر : العجماوان لانه لا يفصح فيهما بالقراءة وهذا كله على ما تراه من الاستبهام وضد البيان •

ثم أنهم قالوا أعجمت الكتاب اذا بينته وأوضحته فهو اذا لسلب معنى الاستبهام لا لاثباته ،، (٦) •

من عرض ابن جنى لمثاله السابق تتضح أمامنا حقيقتان يركز ابن جنى عليهما :

الأولى : أنه يركز على أن مشتقات المادة كلها تدور حول معنى أصل المادة ويوضح ذلك من خلال عرض الاستعمالات اللغوية لمشتقات المادة ــ يتضح هذا من واقع الاستعمال ومن عرف الجماعة اللغوية • وليس هذا من الرمزية الصوتية فى شىء ••• / •••

الثانية : أن الهمزة عندما أضيفت الى أصل المادة (ف • ع • ل) = (ع • ج • م) سلبت أصل المادة معناها الأساسى وأعطتها معنى الضد •

تفسير ذلك أن كل مشتقات مادة (ع•ج•م) انما هو للابهام الذى هو ضد البيان ــ ولكن عندما زيدت الهمزة ــ فصارت (أع • ج • م) • صارت لازالة العجمة أى لاعطاء معنى البيان والتوضيح •

فدور الهمزة الدلالى داخل هذه الكلمة انما هو لسلب معنى الاستبهام ، أى أنها وحدة صوتية ذات وظيفة دلالية •

ويعرض ابن جنى أمثلة أخرى أدت فيها الهمزة هذا الدور الوظيفى : ــ يقول : « ومثله تصريف (ش ك و) فأين وقع ذلك فمعناه : اثبات الشكو ، والشكوى ، والشكاة ، وشكوت ، واشتكيت •

---

(٥) ومقصود القول : أن البهيمة العجماء اذا تفلتت من صاحبها وأتلفت شيئا فلا ضمان على صاحبها • وأما الجبار فمعناه الهدر •

(٦) الخصائص (السابق) ج ٣ ص ٧٦ •

فالباب فيه كما تراه لاثبات هذا المعنى :

ثم انهم قالوا : أشكيت الرجل اذا أزلت عنه ما يشكوه •

فهو اذا لسلب معنى الشكوى لا لاثباته •

أنشد أبو زيـــد :

تمـد الأعناق أو تلويهـا   وتشتكى لو اننا نشكيها

مس حوايا قلمـا تجفيهـا (٧)

وفى الحديث (٨) : شكونا الى رسول الله صلى الله عله وسلم حر الرمضاء فلم يشكنا ، أى : فلم يفسح لنا فى ازالة ما شكوناه من ذلك اليه ، (٩) •

ومنه حكاية الفراء عن أبى الجراح :

بى اجل – فاجلونى – أى داوونى ليزول عنى •

والاجل : وجـع فى العنق (١٠) •

فالهمزة أدت وظيفة واحدة فى الأمثله المختلفة فاين هى الرمزية أو العلاقة الطبيعية ؟

أما الزيادة التى تاتى نتيجة للتضعيف فتؤدى الدور الوظيفى السابق – فيوضحها قول ابن جنى الآتى : حيث يقول :

---

(٧) جاء : قال ابن الشيرافى : « وصف ابلا قد أتعبها السير ، فهى تمـد أعناقهـا » •

والابل اذا أعيت ذلت ومدت أعناقها أولوتها •

وأما قوله : (مس حوايا) : مفعول تشتكى – والحوايا جمع الحـوية : وهى كساء محشو حول سنام البعيـر •

– وقوله : (نجفيها) : أى نزيل عنها الحوايا – وذلك بترك الرحيل – حاشية (٣) – السابق – وانظـر الخزانة ح ٤ ص ٥٣٠ – واللسان : مادة (جفـو) •

٨ – رواه مسلم فى أوقات الصلاة • والرمضاء الذى اشتدت حرارته – وكانوا سالوه تاخير صلاة الظهر – وقيل : ان هذا نسخه حديث الابراد • أنظر شرح النووى – والخصائص حاشية (٤) ص ٧٧ •

(٩) الخصائص (السابق) ح ٣ ص ٧٧ •

(١٠) لخصائص (السابق) ح ٣ ص ٧٨ •

ومنه تصريف (م رض) ـ انها لاثبات معنى المرض نحو :

مرض ـ يمرض ـ وهو مريض ـ ومارض ـ ومرضى ـ ومراضى ٠

ثم انهم قالوا : مرضت الرجل تضعيف الراء : أى داويته من مرضه ـ حتى أزلته عنه ـ أو لتزيله عنه ٠

وكذلك تصريف : (ق ٠ ذ ٠ ى) أنها لاثبات معنى القذى : منه قذت عينه ، وقذيت وأقذيتها ٠

ثم انهم مع هذا يقولون :

قذيت عينه : اذا أزلت عنها القذى ٠ (تضعيف الذال) ٠

وهذا لسلب القذى لا لاثباته (١١) ٠

ومعنى ما قاله ابن جنى هنا : أن تضعيف العين فى مادة (م ر ض) أى تصييرها (مرض) وتضعيفها ايضا فى مادة (ق ٠ ذ ى) أى تصيرها (قذيت) ميز الصيغ من حيث الدلالة وأعطاها قيما لغوية مختلفة ـ والتضعيف هو زيادة فى كمية الصوت الصحيح تحدث نتيجة لتوتر فى موضع النطق به ـ أى هى زيادة صوتية ذات وظيفة دلالية ٠٠

ودور تضعيف العين داخل هذه الكلمات انما هو لسلب المعنى الذى عليه أصل المادة (أى لاعطاء الضد) ويضرب ابن جنى مثلا آخر بهذا الخصوص فيقول

ومنذلك تصريف (أ ث م) أين هى وقعت لاثبات الاثم : نحو :

أثم ـ يأثم ـ وآثم ، وأثيم ، وأثوم ـ والمأثوم ـ وهكذا كله لاثباته ٠ ثم انهم قالوا :

تأثم : أى ترك الاثم (بتضعيف الثاء) ٠

ومثله : تحوب : أى ترك الحوب ،، (١٢) ٠

---

(١١) الخصائص (السابق) ح ٣ ص ٧٦ / ٧٧ ٠
(١٢) الخصائص (السابق) ح ٣ ص ٧٨ ٠

ومنه تصريف (ب ط ن) انما هو لاثبات معنى البطن : نحو : بطن وهو : بطين – ومبطان •

ثم قالوا : رجل مبطن للخميص البطن • (بتضعيف الطاء) •

فكأنه لسلب هذا المعنى •

قال الهذلى :

* مخطوف الحشا زرم *

وهذا مثله سواء (١٤) • فالزيادة الصوتية نتيجة للتضعيف أدت وظيفة دلالية وهو سلب المعنى الذى عليه الاصل واعطائه الضـد •

أما الزيادة التى تأتى نتيجة للحركات – وتؤدى على أثرها الدور الوظيفى السابق – أى تسلب المعنى الأصلى من المادة الأساسية – وتعطيهـا معنى الضد • فيوضحها قول ابن جنى الآتى :

« وكان أبو على رحمه الله يذهب فى الساهر الى هذا – ويقول : أن قـولهم : سهر فلان : أى نبا جنبه عن الساهرة – وهى وجه الأرض • وقال عز وجل : فاذا هم بالساهرة (١٥) – فكأن الانسان اذا سهر قلق جنبه عن مضجعه ولم يكد يلاقى الارض ، فكأنه سلب الساهرة » •

ويوضح ابن جى أن الزيادة فى هذا المثال جاءت تيجة لبعض الحركات فيه فيقول فأما سهر فانه فى بابه : وأنه خرُج الى سلب أصل الحرف بنفسه من غير زيادة فيه •

---

(١٣) جاء : هو ساعدة بن جؤبة – والبيت بتمامه :
موكل بشدوف الصوم يرقبه   من المعازب مخطوف الحشازرم •
والصوم : شجر على شكل الانسان •   وشدوفة : شخوصـه •
والمعازب : الأمكنة البعيدة •
ومخطوف الحشا : ضامره – وزرم : لايثبت فى مكان – وهو يصف ثورا •
قال الأصمعى : انه يرقب شجر الصوم يخشى أن يكو نانسانا
حاشية (١٠) – السابق ص ٧٩ – وانظر الأمالى ح ١ ص ٢٥ •
(١٤) الخصائص (السابق) ص ٧٩ •
(١٥) سورة النازعات آية ١٤ •

فلك فيه عـذران :

● ان شئت قلت : انه وان عرى من زيادة الحروف فانه لم يعر من زيادة ماهو مجار للحرف : وهو مافيه من الحركات • وقد عرفت من غير وجه مقاربة الحروف للحركات ، والحركات للحروف : فكأن فى سهر الفا وياء حتى كانه (ساهـير) •

فكانه اذا ليس بعار من الزيادة ؟ اذ كان فيه ما هو مضـارع للحـرف • أعنى الحركة •

● وان شئت قلت خرج (سهر) منتقلا عن أصـل بابه الى سلب معناه منه ••• / •••

••• ومثل (سهر) فى تعريه من الزيادة قوله (١٦) •

« يخفى (١٧) التراب بأظلاف ثمانية »

وابن جنى يرى هنا أن السلب فى مادة (سهر) حدث من المعنى الأصلى الى الضد باحد طريقين :

١ ـ الاول بحركات هو يقدرها •• والطريق الثانى انه خرج منتقلا عن أصل بابه الى سلب معناه بدون زيادة ، ولكن الرأى الذى أراه أنه اذا حدث سلب المعنى بدون وجود وحدة لغوية مهما قلت حتى وان كانت حركة أو صفـة

---

(١٦) الخصائص (السابق) ح ٣ ص ٨٠ •

(١٧) قول عبدة بن الطيب ـ والبيت بتمامه •

يخفى التراب بأظلاف ثمانية   فى أربع مسهن الأرض تحليل •

والبيت من قصيدة طويلة مفضلية ، يصف فيه ثورا وحشيا صارع كلاب الصيد ، ونجـا منها وأسرع السير ؟ وهو فى عدوه يستخرج التراب ، ويظهره بأظلافه الثمانية فى أربع قوائمه • فى كل قائمة ظلفان : وذكر أن القوائم تلمس الارض لمسا خفيفا ، كمن يفعل الشىء لتحليل القسم على فعله • لا رغبة فيه •

وانظر حاشية (٣) ص ٨١ ـ السابق •

(١٨) الاخفاء : هو الستر ـ ولكن يخفى هنا بمعنى يثير ـ فالثور يظهر باظلافه التراب ويثيره لذا فهذا على نحو ما أوضحنا من الاضداد وليس من السلب •

تتصل بها من نحو زيادة فى الكمية أو تفخيم أو غيره أو اختلاف فى النوع من حركة خلفية ضيقة الى أمامية ضيقة مثلا ... / ... الخ فان ذلك عندى يدخل ضمن باب الأضداد ويطرح من هذا الباب (باب السلب) ... / ...

ويظل هذا الباب تحدثه نوع من الوحدات اللغوية على اختلاف أنواعها ما بين حرف أو صوت أو زيادة فى الكمية بتضعيف الصحيح - أو اطالة الحركة (العلة) أو وجود صفات صوتية أخرى .. طالما أن الاستعمال اللغوى فى عصور الاحتجاج أو جدها ... / ... وتكشف عنها الدراسة الخاصة بهذا الباب ... / ...

ومعنى ذلك أن ابن جنى وضع بين أيدينا منهجا ، وقدم نماذج تحتذى فى الدرس اللغوى .. هى اليوم من أهم النظريات اللغوية عند اللغويين وهم لم يصلوا بعد الى كل تلك الأبعاد التى عرض مادتها ابن جنى على نحو ما تدمه ونرى .

وأخـــــيرا :

فمن الواضح انه لا صلة هناك بـين هذا الموضوع هو الآخـر وقضية الرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعانى ...

وانه لمن الظلم البين لهذا الفكر المبدع الذى انتهى اليه عباقرة من اسلافنا العلماء رضوان الله عليهم أن نحصر ابداعهم داخل دائرة الرمزية الصوتية التى لا تقدم للغة العربية من حيث الظواهر أو الخصائص شيئا يذكر وليست خاصة بالعربية وحدها فقد ناقشها اللغويون فى كل العصور وطبقوها على كل اللغات.

أما النظرية التى انتهى اليها هذا العالم فله فضل السبق فيها وهو رائـد فيها وهى نظرية لغوية تباهى بها الغربيون وفى اللغة العربية أبعاد تميـزها عن غيرها من اللغات .

وبهذا يكون قد رد الحق لأصحابه ونال الفضـل مستحقوه فابن جنى عالم عربى مبدع والعربية منفردة بخصائصها داخل النظريات اللغوية العامة التى توصل اليها علم اللغة المحدث وفق مناهجه فيظل لعلماء العربية السبق وللعربية التفرد بخصائصها بين اللغات داخل النظريات اللغوية عامة التى تجمع كل اللغات فهى مسايرة للمنهج ونافعة للدرس اللغوى ومقرة الحق لصاحبه .

وان ما صنعه ابن جنى فى باب : ـ .

فى تلاقى المعانى على اختلا الأصول والمبانى (١)

يبين كيف أن ابن جنى استفاد من معايشته للبيئة اللغوية زمانيا ومكانيا فى احاطة واعية بسيكوجية اللغة ، وسيكلوجية المتحدثين بها ... / ...

وهذا الباب فى حاجة لأن يسلط عليه ضوء التحليل اللغوى ،وذلك لاعتبارات متعددة ... / ... على نحو ما يتبين فيما ياتى :

يقول ابن جنى :

هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة قوى الدلالة على شرف هذه اللغة ، وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة ، فتبحث عن أصل كل اسم منها،فتجده مفضى المعنى الى معنى صاحبه (٢) .

وذلك كقولهم : (خلق الانسان) فهو فعل من خلقت الشىء أى ملسته ومنه صخرة خلقاء للملساء ومعناه أن خلق انسان هو ما قدر له ورتب عليه ، فانه أمر قد استقر وزال عنه الشك ، ومنه قولهم ـ فى الخبر : « قد فرغ الله من الخلق والخلق » . (بضم الخاء واللام فى الثانية) .

والخليقة : فعيلة منه .

وقد كثرت فعيلة فى هذا الموضع . وهو قولهم : (**الطبيعة**) وهى من طبعت الشىء أى قررته على أمر ثبت عليه ، كما يطبع الشىء كالدرهم والدينار ـ فتلزمه أشكاله ، فلا يمكنه انصرافه عنها ، ولا انتقاله .

---

(١) كتاب الخصائص (السابق) ح ٢ ص ١١٣ .

(٢) حديثه هنا عن ظاهرة الترداف فى اللغة العربية ، ويتناولها تناولا مخالفا لسابقيه أو اللاحقين من بعده حيث يوجد علاقة تبعية وتقارب بين الالفاظ المتباعدة المترادفة التى تدور حول المعنى الواحد ويحلل ويربط فى توضيح ينضوى وفق مفهوم الدراسة الحديثة تحت قوانين علمية لم يتوصل لها المحدثون اليوم الا متاخرا ... / ...

ومنها **النحيتة** : وهى فعيلة من نحت الشىء أى ملسته وقررته على ما أردته منه فالنحتية كالخليقة • هذا من نحت وهذا من خلقت •

ومنها **الغريزة** : وهى فعيلة من غـرزت كما قيـل لها طبيعة لأن طبـع الدرهم ونحوه ضرب من وسمه وتغريزه بالآلة التى تثبت عليه الصورة • وذلك استكراه له وغمز عليه كالطبع •

ومنها **النقيبة** : وهى فعيلة من نقبت الشىء ، وهو نحو من الغريزة •

ومنهـا **الضريبة** : وذلك أن الطبـع لابد معـه من الضرب لتثبت له الصورة المرادة •

ومنها **النحيزة** : وهى فعيلة من نخرت الشىء أى دققته ـ ومنه المنحـاز : الهاوون لأنه موضوع للدفن به والاعتماد على المدقوق • قال (٣) •

« ينحزن من جانبها وهى تنسلب » (٤) •

أى تضرب الابل حـول هذه الناقة للحاق بهـا ، وهى تسبقهن وتنسلب أمامهن •

ومنها **السجية** : وهى فعيلة من سجا يسجو اذا سكن ، ومنه طـرف ساج ، وليل سـاج ، ، قال :

---

(٣) ذو الرمة •

(٤) وصدره : « والعيس من عاسج أو واسج خببا » •

والعيس : الابل البيض يخالط بيـاضها شقرة ، والعاسج : المسرع ـ وكذلك الواسج ـ والانسلاب : المضاء فى السير ـ والبيت من القصيدة التى مطلعهـا : ـ

ما بال عينك منهـا الماء ينسكب كأنه من كلى مغرية سرب

انظر : اللسان مادة نحز ـ وانظر الديوان / ٨

يا حبذا القمراء والليل الساج   وطرق مثل ملاء النساج (٥)

وقال الراعى :

ألا اسلمى اليوم ذات الطوق والعاج   والدل والنظر المستانس الساجى (٦)

وذلك أن خلق الانسان أمر قد سكن اليه واستقر عليه ، ألا تراهم يقولون فى مدح الرجل : فلان يرجع الى مروءة ، ويخلد الى كرم ، ويأوى الى سداد وثقة

فيأوى اليه هو هذا ، لأن المأوى خلاف المعتمل ، لأنه انما يأوى الى المنزل ونحوه اذا اراد السكون •

ومنها **الطريقة** : من طرقت الشىء أى وطأته وذللته : وهذا هو معنى ضربته ونقبته وغرزته ، ونحته ، لأن هذه كلها رياضيات وتدريب واعتمادات وتهذيب •

ومنها السجيحة : وهى فعيلة من سجع خلقه ، وذلك أن الطبيعة قد قرت واطمانت فسجحت (٦) • وتذللت • وليس على الانسان من طبعه كلفة ـ وانما الكلفة غيدا يتعاطاه ويتجشمه ، قال حسان :

ذروا التخاجؤ وامشوا مشية سجحا   ان الرجال ذوو عصب وتذكير (٧)

وقال **الأصمعى** : اذا استوت اخلاق القوم قيل : هم على سرجوجة واحدة (٨) ومرن واحد •

ومنهم من يقول **سرجيحة** : وهى فعليلة من هذا فسرجوجة : فعلولة من

---

(٥) البيت فى الكامل ١ / ٢٤٤ (طبعة شاكر) وفى اللسان : مادة سجا ـ والملاء : جمع ملاءة •

شبه خيوط الطرق فى ضوء القمر بخيوط الملاءة •

(٦) الراعى : اسمه عبيد بن حصين ، عاصر جريرا والفرزدق ـ ونضل الفرزدق فهجاه جرير مات سنة ٩٠ هـ •

وفى الشعر والشعراء : ١٥٦ ان اسمه حصين بن معاوية •

(٦) الاسجاح : حسن العفو اذا ملكت فاسجح ـ ومشية سجح : سهلة •

(٧) التخاجؤ فى المشى : التباطؤ ويريد بهما هنا التبختر والخيلاء ـ وفى الصحاح : (دعوا التخاجؤ) مادة خجأ وأنظر الديوان : ١٢٣ •

(٨) وكذلك هى فى الصحاح (مادة سرج) •

لفظ السرج ، ومعناه ـ والتقاؤهما أن السرج انما أريد للراكب ليعدله ويزيل اعتلاله وميله ـ فهو من تقويم الأمر ـ وكذلك اذا استتبوا على وتيرة واحدة فقد تشابهت أحوالهم • وزاح خلافهم ، وهذا أيضا ضرب من التقرير والتقدير ـ فهو بالمعنى عائد الى النحيتة والخليقة لأن هذه كلها صفات تؤذن بالمشابهة والمقـــاربة •

والمرن مصدر كالحلف والكذب ، والفعل منه مرن على الشيء اذا ألفه، فلان له ، وهو عندى من مارن الانف لالان منه فهو أيضا عائد الى أصل الباب ، ألا ترى أن الخليقة والنحيتة والطبيعة والسجية وجميع هذه المعانى التى تقدمت تؤذن بالالف والملاينة **والاصحاب والمتابعة** •

ومنها **السليقة** : وهى من قولهم فلان يقرأ بالسليقة أى بالطبيعة وتلخيص ذلك أنها كالنحيتة ـ وذلك أن السليق ما تحات من صغار الشجر ـ قال :

تسمع منها فى السليق الأشهب ... معمعة مثل الأباء الملهب (٩)

وذلك أنه اذا تحات لان وزالت شدته ، والحت كالنحت ـ وهمـا فى غاية القرب ـ ومنه قول الله سبحانه « سلقوكم بالسنة حداد » (١٠) ، أى نالوا منكم وهذا هو نفس المعنى فى الشيء المنحوت المحتوت • ألا تراهم يقولون : فلان كريم النجار والنجر ، أى الأصـل ، والنجر ، والنحت ، والحت ، والضرب ، والـدق والنحز ، والطبـع ، والخلق ، والفـرز ، والسلق كله التمرين على الشيء وتليين القوى ليصحب وينجذب •

فاعجب للطف صنع البارى سبحانه فى أن طبع الناس على هذا ، وأمكنهم

---

(٩) الشهبة : البياض الذى غلب على السواد •

والأباء : جمع أباءة كعباءة وهى القصبة •

وانظر سر الصناعة ٧٨ / ٧٩ فيما فاؤة وعينه همزتان •

والملهب : لسان النار ـ ولهب الرجل : عطش فهو لهبان وهى لهبى ـ والهب الفرس اضطرم جريه •

(١٠) سورة الاحزاب ٣٣ / ١٩ •

من ترتيبه وتنزيله وهداهم للتواضع عليه وتقريره (١١) ٠

ومن ذلك قولهم : للقطعة من المسك : الصوار بضم الصاد وكسرها ٠ قال الأعشى :

اذا تقــوم يضــوع المسك أصورة والعنبر الورد من أردانها شمل

فقيل له : صورا لأنه فعال من صاره يصوره اذا عطفه وثناه ـ قال الله سبحانه : « فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك » (١٣) وانما قيل له ذلك لأنه يجـذب حاسة من يشمه اليه ، وليس من خبــائث الأرواح فيعرض عنــه ، وينحرف الى شق غيره (١٤) ألا ترى الى قوله :

ولو أن ركبا يمموك لقــادهم نسيمك حتى يستدل بك الركب (١٥)

وكذا نجد أيضا معنى المسك ٠ وذلك أنه فعــل : من أمسكت الشيء كانه لطيب رائحته يمسك الحاسة عليه ولا يعدل بها صاحبها عنه (١٦) ٠

---

(١١) رأى ابن جنى فى نشأة اللغة : أتوقيف هى من الله أم تواضع واصلاح ٠٠٠ ، ٠٠٠ قد مر ٠

(١٢) البيت من قصيدة الاعشى التى مطلعها :
ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل ؟
ورواية الديوان : والزنبق الورد ٠٠ ، ٠٠ والاردان : الاكمــام ـ والورد ماكان بلون الورد أى أحمر ٠

(١٣) سورة البقرة ٢٦ والآية فصرهن اليك ـ اى وجهن ٠ وفى اللســان : الصور : الميل ـ وصرت الى الشيء وأصرته : أملته ـ وفى حديث عمر عن العلماء : « تنعطف عليهم بالعلم قلوب لا تصورها الارحام » أى لا تميلها ٠

(١٤) فى اللسان : الصوار : القليل من المسك : وقيل القطعة منه ـ والجمع أصورة ـ فارسى (وهنا نظر) ٠

(١٥) يمموك : اى وجهوك ، قادهم نسيمك : أى عطفهم وأمالهم ـ وفى الخصائص للمحقــق أن المناسب أن تــكون الرواية يستــدل به الركبا ٠

(١٦) ذكر الجواليقــى : المسك فارسى ـ وهــو عند العرب المشمــوم ـ (المزهر) (٢) / ١١٦ / وكتاب المعرب ـ للجواليقى وفى اللسان : مادة مسك : قال الجوهرى : المسك من الطيب : فارسى معرب ، وكانت العرب تسميه المشموم ٠

ومنه عندى قولهم للجلد (المسك) هو فعل بفتح الفاء وسكون العين من. هذا الموضع ، ألا ترى أنه يمسك ما تحته من جسم الانسان وغيره من الحيوان. (١٧) • ولولا الجلد لم يتماسك ما فى الجسم من اللحم والشحم والدم وبقية الامشاج وغيرها •

فقولهم اذا : مسك يلاقى مغناه معنى الصوار ، وان كانا من أصلين مختلفين ، وبناءين متباينين أحدهما : مسك ـ والآخر صور كمان الخليقة من خلق والسجية من سجو والطبيعة من طبع والنحيتة من نحت والغريزة من غرز والسليقة من سلق والضريبة من ضرب والسجيحة من سجح والسرجوجة من سرج والنجار من نجر ، والمرن من مرن فالاصول مختلفة والأمثلة متعادية ـ • والمعانى من ذينك متلاقية •

(فاين هى المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى ؟)

ومن ذلك قولهم : صبى وصبية ، وطفل وطفلة ، وغلام وجارية ، وكله للين والانجذاب ، وترك الشدة والاعتياص وذلك ان صبيا من صبوت الى الشيء اذا ملت له ، ولم تستعصم دونه ، وكذلك الطفل هو من لفظ ، طفلت الشمس للغروب : أى مالت اليه ، وانجذبت نحوه ـ ألا ترى الى قول العجاج :

والشمس قد كادت تكون دنفا (١٨) .

يصف ضعفها واكبابها ، وقد جاء به بعض المولدين فقال (١٩).

وقد وضعت خدا الى الأرض أضرعا

ومنه قيل : فلان طفيلى ، وذلك أنه يميل الى الطعام (٢٠) ـ

---

(١٧) جاء فى كتاب حضارة مصر القديمة ، أن حلب الحيوان باللغة المصرية القديمة : مسكا ـ وهو بالأكادية مشكو • والآرامية ماشكا •

(١٨) وبعده : •••• ادفعها بالراح كى تزحلفا • وانظر اللسان مادة : دنف

(١٩) ابن الرومى : فى وصف غروب الشمس : وتمامه :

ولاحظت النوار وهى مريضة   وقد وضعت خدا الى الارض أضرعا •

(٢٠) قيل انه نسبة الى رجل اسمه طفيل بن زلال من أهل الكوفة كان يأتى الولائم من غير دعوة •

وعلى هذا قالوا له : غلام لأنه من الغلمة ، وهى اللين ، وضعفة العصمة ــ وكذلك قالوا : جارية - فهى فاعلة من جرى الماء وغيره ، ألا ترى أنهم يقولون : انها غصة بضة رطبة ، ولذلك قالوا : قد علاها ماء الشباب ؟ ــ قال عمر (٢١) :

وهى مكنونة تحير منها　　فى أديم الخدين ماء الشباب (٢٢)

وذلك أن الطفل والصبى والغلام والجارية ليست لهم عصمة الشيوخ ، ولا جساة (٢٣) الكهول ، وسألت بعض بنى عقيل • عن قول الحمصى (٢٤)

لم تبل جدة سمرهم سمر ولم　　تسم السموم لأدمهن أديما •

فقال : هن بمائهن كما خلقنه

فاذا اشتد الغلام شيئا قيل له : حزور وهو : فعول ــ من اللبن الحازر اذا اشتد للحموضة قال العجلى (٢٥) :

وارضو باحلابه •• وطب قد حزر (٢٦) •

وقال (٢٧)　　نزع الحزور بالرشاء المحصد (٢٨)

---

(٢١) يقصد : عمر بن أبى ربيعة •

(٢٢) تحير الماء : اجتمع ــ واستحار شباب المراة وتحير : امتلا وبلغ الغاية ــ اللسان (مادة : حير) •

(٢٣) الجساة : الصلابة •

(٢٤) ديك الجن : وهو عبد السلام بن رغبان ــ وقد لقى اباتمام وتوفى سنة ٢٣٥ ــ انظر وفيات الاعيان ٢/٣٥٦

(٢٥) هو : الاغلب بن عمرو العجلى من بكر بن وائل ، جـاهلى ادرك الاسلام وحسن اسلامه واستشهد فى معركة نهاوند قال : الآمدى فى المؤتلف والمختلف : هو ارجز الرجاز وأرصنهم كلاما وأصحهم معانى ترجمته فى الخزانة ١/٣٣٣ •

(٢٦) هو فى اللسان : مادةحزر •

(٢٧) النابغة ، من قصيدته المشهورة فى المتجردة :

من آل ميه رائح أو مغتد　　عجلان ذا زاد وغير مزود •

وكانهم زادو الواو وشددوها لتشديد معنى القوة (٢٩) ٠

كما قالوا لسيء الخلق : عذور ٠ فضاعفوا الواو الزائدة لذلك : قال (٣٠)

اذا نزل الاضياف كان عذورا على الحى حتى تستقل مراجله (٣١) ٠

ومنه : رجل كروس : للصلب الرأس ، وسفر عطود ، للشديد قال :

اذا جشمن قذفا عطودا رمين بالطرف مداه الأبعدا (٣٢) ٠

ومثل الأول : قولهم : غلام رطل ، وجارية رطلة للينها ــ وهو من قولهم : رطل شعره : اذا اطاله فاسترخى ــ ومنه عندى : الرطل الذى يوزن به ــ وذلك ان الغرض فى الأوزان ان تميل أبدا الى أن يعادلها الموزون بها : ولهذا قيل لها مثاقيل فهى مفاعيل من الثقل ٠ والشيء اذا ثقل استرسل وارجحن فكان ضد الطائش الخفيف ٠

فهذا ونحوه من خصائص هذه اللغة الشريفة اللطيفة ، وأنما يسمع الناس هذه الالفاظ فتكون الفائدة عندهم منها انما هى علم معنياتها ٠ فأما كيف ؟ ومن أين؟ فهو ما نحن عليه ٠ وأحج به أن يكون عن كثير منهم نيفا لا يحتاج اليه ، وفضلا غيره أولى منه ٠

ومن ذلك أيضا قالوا : ناقة ــ كما قالوا : جمل ٠ وقالوا مابها دبيج ــ

---

(٢٩) الحزور من الأضداد : فمن معناه : الضعيف غير البالغ ــ جاء فى اللسان قال أبو حاتم فى الاضداد : الحزور : الغلام اذا اشتد وقوى ٠
والحزور : الضعيف من الرجال وأنشد :
ان أحق الناس بالمنية حزور ليست له ذرية
(٣٠) أنظر الأمالى ٢ / ٨٣ ــ من أبيات مختلطة لزينب الطثرية فى رثاء أخيها يزيد ــ وللعجير السلولى ٠
(٣١) والمعنى : انه كريم يتعب أهله بأضيافه ، فهو مع أهله سيء الخلق حتى يرحل ضيوفه ٠
(٣٢) فى اللسان : فلاة قذف وقذف : أى بعيدة تقاذف بمن يسلكها ــ وهو فى وصف الابل ٠

كما قالوا : تناسل عليه الوشاء ، والتقاء معانيهما أن الناقة كانت عندهم مما يتحسنون به ويتباهون بملكه فهى (فعله) من قولهم : تنـوقت فى الشيء اذا أحكمته وتخيرته ـ قال ذو الرمة:

... تنوقت بيه بحضرميات الأكف الحوائك (٣٣)

وعلى هذا قالوا : جمل لأن هذا فعل من الجمال كما أن تلك فعلة من تنوقت وأجود اللغتين تأنقت ـ قال الله سبحانه : « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » (٣٤) .

وقولهم مابها دبيج . هو فعيل : من لفظ الديباج ومعناه . وذلك أن الناس بهم العمارة وحسن الآثار وعلى أيديهم يتم الانس وطيب الديار ، ولذلك قيل لهم : ناس لانه فى الاصل اناس فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال فهو فعـال من الانس ، قال (٣٥) :

أناس لا يملون المنايا اذا دارت رحى الحرب الزبون (٣٦)

وقال :

أناس عدا علقت فيهم وليتنى طلبت الهوى فى رأس ذى زلق اشم (٣٧)

وكما اشتقوا دبيجا من الديباج ، كذلك اشتقوا الوشاء من الوشى : فهو (**فعال**) منه وذلك أن المال يشى الأرض ويحسنها . وعلى ذلك قالوا : الغنـم لأنه من الغنيمة ، كما قالوا لها : الخيل ، لأنها (**فعـل**) من الاختيال . وكل ذلك مستحب .

أفلا ترى الى تتالى هذه المعانى وتلاحظها ، وتقابلها وتناظرها ؟ وهى :

---

(٣٣) صدره : كان عليها سحق لفق تنـوقت ... والسحق : البـالى ـ واللفق : أحد شقى الملاءة ـ وانظر ديوا نذى الرمة : ٤١٦ .
(٣٤) الأنعام : ٥ / ٦ .
(٣٥) البيت لأبى الغول الطهوى ..
(٣٦) الزبن : الدفع ـ والحرب زبون لأنها تصدم الناس وتدفعهم .
(٣٧) هواه لدى قوم متباعدين غرباء وليته كان فى رأس جبل وعر كثير المزالق ـ اذا لكان أيسر وأهون .

التنــوق ـ والجمــال ، والأنس ، والديبــاج ، والوشى ، والغنيمــة ، والاختيال .

ولذلك قالوا : البقر من بقرت بطنه أى شتقته فهو الى السعة والفسحة : وضد الضيق والضغطة .

فان قلت : فان الشاة من قولهم : رجل أشوه ، وامرأة شوهاء ، للقبيحين ، وهذا ضد الأول ففيه جوابان : أحدهما أن تكون الشاه جرت مجرى القلب لدفع العين عنها لحسنها ، كما يقال فى استحسان الشىء قاتله الله . كقوله (٣٨) .

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى وفى الشنب من أنيابها بالقوادح (٣٩)

وهو كثـــير .

والآخر : ان تكون من باب السلب ، كانه سلب القبح منهـا كما قيل للحرم نالة (٤٠) ولخشبة الصرار (٤١) تودية (٤٢) ولجو السماء السكاك (٤٣) ومنه تحوب وتاثم أى ترك الحوب والاثم .

---

(٣٨) جميـل بثينة .

(٣٩) الشنب : رقة وعذوبة وبرد فى الفم وفى الاسنان ـ قال ذو الرمة :
لمياء فى شفتيها حوة لعس وفى اللثاث وفى أنيابها شنب .
والقوادح : جمع قادح وهو ســواد يظهر فى الاسنان .
وانظر ديوان جميل تحقيــق د. حســين نصــار ص : ٥٣ ـ وروايته : وفى الغر من أنيابهـا .

(٤٠) نالة : النال : مصدر نلت انال ، مثل : المنال والمنالة . والنالة : ما حول الحرم ، وهى عند **ابن سيدة من النول** ـ وعند ابن جنى من النيل ـ وانظر اللسان : مادة نول .

(٤١) خشبة الصرار : خيط تشد به التوادى على أطراف الناقة ـ وتذيل الاطباء بالبعر الرطب لئلا يؤثر الصرار فيهــا .
وصررت الناقة : شدد تعليها الصرار ـ وفى الحديث : لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحل صرار ناقة بغير اذن صاحبها فانه خاتم أهلها - كناية عن حلبها ـ (انظر اللسان : مادة صرر) .

(٤٢) والتــودية : خشبة تشد على أطباء الناقة لئــلا يسيل حليبهــا ، والتزدى : السيلان ـ ودى : سال ـ فالتودية : تسمية على السلب لأنهــا تحول بين الفصيل واللبن .

(٤٣) السكاك : الضيق ، ، واستكت مسامعه ضاقت .

وهو باب واسع وقد كتبنا منه فى هذا الكتاب ما ستراه باذن الله تعالى

وأهل اللغة يسمعون هذا فيرونه ساذجا غفلا ، ولا يحسنون لما نحن فيه من حديثه فرعا ولا أصلا (٤٤) ٠

ومن ذلك قولهم : الفضة سميت بذلك لانفضاض أجزائها ، وتفرقها فى تراب معدنها ، كذا أصلها وان كانت فيما بعد قد تصفى وتهذب وتسبك ٠ وقيل لها فضة كما قيل لها لجين : وذلك لأنها ما دامت فى تراب معدنها فهى ملتزقة فى التراب ملتجنة (٤٥) به ٠

قال الشماخ :

وماء قد وردت أميم طام   عليه الطير كالورق اللجين (٤٦)

أى الملتزق الملتجن ، وينبغى أن يكونوا انما الزموا هذا الاسم التحقير لاستصغار معناه مادام فى تراب معدنه ٠ ويشهد عندك بهذا المعنى قولهم فى مراسلة : الذهب : وذلك لأنه مادام غير مصفى فهو كالذاهب ــ لأن مافيه من التراب كالمستهلك له ــ أو لأنه لما قل فى الدنيا فلم يوجد الا عزيزا صار كأنه مفقود ذاهب ، الا ترى أن الشىء اذا قل قارب الانتفاء ٠ وعلى ذلك قال العرب : قل رجل يقول ذلك الا زيد ، بالرفع لأنهم أجروه مجرى : ما يقول ذلك أحد الا زيد ، وعلى نحو من هذا قالوا : قلما يقوم زيد ــ فكفوا (قل) بـ (ما) عن اقتضائها الفاعل ، وجاز عندهم اخلاء الفعل من الفاعل لما دخله من مشابهة حرف النفى كما بقوا المبتدأ بلا خبر فى نحو هذا من قولهم : أقل امرأتين تقولان ذلك لما ضارع المبتدأ حرف النفى ــ أفلا ترى الى أنسهم باستعمال القلة مقارنة للانتفاء ٠ فكذلك لما قل هذا الجوهر فى الدنيا أخذوا له اسما من الذهاب الذى هو الهلاك ٠

---

(٤٤) سبق علاج هذا الباب ٠ وينبه ابن جنى هنا الى شىء هام غفل عنه اللغويون ٠

(٤٥) أى ملتزجة ٠

(٤٦) الشماخ : معقل بن ضرار ، شاعر صحابى ، والبيت من أبيات قالها فى مدح عرابة ابن أوس كما فى الخزانة ح / ٢٢٢ والرواية فيها : وماء قد وردت لوصل أروى ــ والقصيدة فى الديوان : ٩٠ (طبع فى مصر سنة ١٣٢٧ هـ شرح الشنقيطى ٠

ولأجل هذا أيضا سموه تبرا لأنه (فعل) من التبـار ـ ولا يقال له (تبر) حتى يكون فى تراب معدنه أو مكسورا ٠

ولهذا قالوا للجام من الفضة (الغرب) وهو (فعـل) من الشىء الغريب وذلك أنه ليس في العادة والعرف استعمال الآنية من الفضة ، فلمـا استعمـل ذلك فى بعض الاحوال كان عزيزا غريبا ـ هذا قول أبى اسحق (٤٧) ٠

وان شئت جذبته الى ما كنا عليه فقلت : ان هذا الجوهر غريب من بين الجواهر لنفاسته وشرفه، ألا تراهم اذا أثنوا على انسان قالوا : هو وحيد وقته ، وغريب فزمانه ، ومنقطع النظـير ، ونسيج وحده ومنه قول الطـائى الكبير :

غريبـة العـــلا عـلى كـــثرة النــا س فاضحى فى الأقربـين جنيبا (٤٨)

فليطـل عمـــره فـلو مـات فى مـــر و مقيمـــا بهـــا لمـــات غريبـــا

وقول شـاعرنا (٤٩) :

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرنى ولا أعـــاتبه صفحـــا واهــوانا

وهـكذا كنت فى أهـــلى وفى وطنـــى ان النفيســ عـــزيز حيثمـــا كانا

ويدلك على أنهم قد تصوروا هذا الموضع من امتزاجه (٥٠) بترابمعـدنه أنهم اذا صفوه وهذبوه أخذوا له اسمـا من ذلك المعنى فقـالوا له : الخلاص ، والابريز ، والعقيان فعـلان من عقى الصبى يعقى وهو أول ما ينجيه عنـد سقوطه من بطن أمه قبل أن يأكل ، وهو العقى ٠ فقيل له ذلك لبروزه ، كمـا قيل له البراز ٠

---

(٤٧) أبو اسحق الزجاج ٠

(٤٨) الجنيب : الغريب ـ والبيتان فى مديح أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى ـ انظر الديوان ١ / ٢٦٢ ٠

(٤٩) يقصد المتنبى وقد كانت بينهما مودة وتقدير ـ والبيـان فى شرح العكبرى ٤٦٩ ٠

(٥٠) أى امتزاج التبر ٠

فالتانى والتلطف فى جمع هذه الأشياء وضمها ، وملاءمة ذات بينهيا هو خاص اللغة وسرها ، وطلاوتهيا الرائية وجوهرها • فاما حفظهيا سانجة ، وقمشها (٥١) محطوبة هرجة (٥٢) فنعود بالله منه ، ونرغب بما آتاناه سبحانه عنه •

وقال أبو على رحمه الله ـ قيل له حبى ، كما قيل له سحاب تفسيره ان حبيا (فعيل) من حبا يحبو وكان السحاب لثقله يحبو حبوا ـ كما قيل له سحاب وهو (فعال) من سحب لأنه يسحب أهدابة وقد جاء بكليهما شعر العرب قالت امرأة :

وأقبل يزحف زحف الكسير سياق الرعاء البطاء العشارا (٥٣)

وقال أوس :

دان مسف فويق الارض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح (٥٤)

وقالت صبية منهم لأبيها فتجاوزت ذلك :

أناخ بذى نفر بركه كأن على عضديه كتافا (٥٥)

---

(٥١) التقميش : الجمع على غير هدى وبدون انتقاء •

(٥٢) الهرج ، والهرج بفتح الهاء وكسرها : « هرج البعير : سدر من شدة الحر وكثرة الطلاء بالقطران فكأنه يريد أن تكون ضعيفة • وفى اللغة العربية • الهرج بكسر الهاء : الضعيف »

(٤٣) مادة (حبا) فى اللسان : الرواية : زحف الكبير ••• / ••• والعشار من الابل التى أتى عليها عشرة أشهر وبه فسر قوله تعالى : « واذا العشار عطلت » والمفرد : ناقة عشراء • يقال : عشرت الناقة تعشيرا أوعشرت ـ (انظر اللسان مادة عشر) •

(٥٤) أوس بن حجر ـ والقصيدة فى ديوانى اوس وعبيد بن الأبرص ديوان عبيد : ٣٣ تحقيق د• حسين نصار ـ وفى اللسان مادة حبا منسوب الى أوس •

(٥/٥) ذو نفر : اسم موضع وبه وردت رواية اللسان (مادة حبا) ـ وبرك الجمل : صدره ـ والكتاف : ما يشد به ـ وكتفه : شد يديه منخلفه بالكتاف •

• وقال أبو هم ت (٥٦) .

وألقى بصحراء الغبيط بعاعه — تزول اليماني ذى العياب المخمل (٥٧)

قال ومن ذلك قولهم فى أسماء الحاجة :

الحاجة ، والحوجاء ، واللوجاء ، والارب ، والاربة ، والماربة ، واللبانة ، والتلاوة — بقية الحاجة — والتلية أيضا — والشهلاء .

قال الشاعر :

لم أقض حين ارتحلوا شهلائى — من الكعاب الطفلة الغيداء (٥٨)

وأنت تجد مع ذلك من اختلاف أصولها ومبانيها جميعها راجعا الى موضع واحد ، ومخطوما بمعنى لا يختلف وهو الاقامة على الشيء والتشبث به — وذلك أن صاحب الحاجة كلف بها ملازم للفكر فيها مقيم على تنجزها واستجثاثها قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « حبك الشيء يعمى ويصم (٦١) » — وقال المولد :

صاحب الحاجة أعمى — لا يرى الا قضاءها

وتفسير ذلك أن الحاج : شجر له شوك ، وما كانت هذه سبيله فهو متشبث بالاشياء ، فأى شيء مر عليه اعتاقه وتشبث به — فسميت الحاجة

---

(٥٦) أبو هم : يعنى امرؤ القيس وهو من خير وصاف السحاب .

(٥٧) البيت من معلقة امرىء القيس — صحراء الغبيط : موضع . البعاع السحاب المثقل بالماء — العياب : جمع عيبة : وهى وعاء من أدم يكون فيه المتاع — ويريد باليمانى المحمل : الجمل — ومن روى المحمل : اراد التاجر اليمانى ينزل ويقيم حتى يبيع بضاعته — وفى الديوان : المخول : أى الكثير المتاع والخول — (انظر الديوان ٣٥ تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم — دار المعارف) .

(٥٨) اللسان : مادة (شهل) — روايته : من العروب الكاعب الحسناء .

(٥٩) أى تجد جميعها راجعا .

(٦٠) خطمت البعير : جعلت فيه الخطام وهو حبل ربط به ليقاد — والخطم من الطائر منقاره ، ومن الدابة : مقدم الانف والفم .

(٦١) فى الجامع الصغير (حرف الحاء) وفى شرح الجامع أن اسناده ضعيف .

فتشبيها بالشجر ذات الشوك ، أي لنا مقيم عليها ، متمسك بقضائها كهذه الشجرة في اجتذابها ما مر بها ، وقرب منها ، والحوجاء مثلها ، وعنها تصرف الفعل : احتاج يحتاج احتياجا ، وأحوج يحوج - وحاج يحوج فهو حائج .

واللوجاء من قولهم : لجت الشيء الوجه لوجا : اذا أدرته في فيك .

والتقاؤهما أن الحاجة مترددة على الفكر ، ذاهبة جائية الى أن تقضى ، كما أن الشيء : اذا تردد في الفم فانه لا يزال كذلك الى أن يسيغه الانسان أو يلفظه .

والارب ، والاربة والمأربة ، كله من الأربة وهي العقدة - وعقد مؤرب ، اذا اشتد ، وأنشد أبو العباس (٦٢) لكناز بن نفيع (٦٣) يقوله لجرير:

غضبت علينا أن علاك ابن غالب فهلا على جديك اذ ذاك تغضب
هما حين يسعى المرء مسعاة جده أناخا فشداك العقال المؤرب (٦٤)

والحاجة معقودة بنفس الانسان مترددة على فكره .

واللبانة من قولهم : تلبن بالمكان اذا اقام به ولزمه - وهذا هو المعنى عينه .

والتلاوة والتلية من تلوت الشيء اذا قفوته واتبعته لتدركه . ومنه قوله:

الله بيني وبين قيمها يفر مني بها واتبع (٦٥)

والاشكلة كذلك ؛ كانها من الشكال (٦٦) اى طالب الحاجة مقيم عليها ، كانها شكال له ، ومانعة من تصرفه وانصرافه عنها ، ومنه : الأشكل من

---

(٦٢) اللسان : مادة أرب : يعني : ثعلبا .

(٦٣) من شعراء تميم .

(٦٤) ابن غالب : الفرزدق : يريد أن الفرزون سعى كجدية على حين قعد بك جداك ، وذاك هو العقال المؤرب حقا - ورفع العقال على أنه خبر لمبتدأ محذوف - ويرى المبرد : أنها بدل اشتمال من ضمير شداك - انظر الخصائص ح ٢ ص ١٢٨ حاشية ٦

(٦٥) البيت للأحوص . والضمير في قيمها يعود على لبنى المذكورة سابقا - انظر الشعر والشعراء ٢٠٤ / والاغاني ٤ / ٢٤٧ .

(٦٦) الشكال : حبل تربط به الدابة من يدها ورجلها لئلا تغادر مكانها .

الألوان الذى خالطت حمرته بياضه ، فكان لكل واحد من اللونين اعتاق صاحبه أن يصح ويصفو له • .

والشهلاء كذلك لأنها من المشاهلة وهى مراجعة القول قال (٦٧) •

قد كان فيما بيننا مشاهلة   ثم تولت وهى تمشى البادلة

البادلة : أن تحرك فى مشيتها بآدلها ، وهى لحم صدرها – وهى مشية القصار من النساء •

فقد ترى الى ترامى هذه الأصول والميل بمعانيها الى موضع واحد •

ومن ذلك ما جاء عنهم فى الرجل الحافظ للمال : الحسن الرعية له ، والقيام عليه ، يقال : هو خال مال – وخائل مال ، وصدى مال ، وسرسور مال ، وشؤبان مال ، ومحجن مال ، وازاء مال ، وبلو مال ، وحبل مال ، وعسل مال ، وزر مال وجميع ذلك راجع الى الحفظ لها (٦٩) ، والمعرفة بها •

فخال مال (٧٠) يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون صفة على (فعل) كبطل وحسن » أو (فعل) ككبش صاف : ورجل مال ، ويجوز أن يكون محذوفا من فاعل ، كقوله (٧١) •

« لاث به الآشاء والعبرى (٧٢)

فأما خائل مال ففعال لا محالة ، وكلاهما من قوله : كان رسول الله (صلى

---

(٦٧) أبو الاسود العجلى اللسان : مادة : شهل وبازل – وفى اللسان أن الصواب : البازلة •

(٦٩) المال يؤنث ويذكر – (المال : ثروة) •

(٧٠) الخائل : الحافظ للشىء ، الرجل يخول على عياله ، وخال المال يخوله : اذا ساسه وأحسن القيام عليه – والخولى : القائم بأمر الناس ، الخول : الرعاة – والخولى : الراعى الحسن القيام على المال والغنم •

(٧١) العجاج – من أرجوزة له •

(٧٢) فى وصف أيك • لاث أصله لائث من لاث يلوث ووزنه فالع والأشاء : صغار النخل – والعبرى : ما ينبت من شجر الضال على الشطوط ، أى أنه كثير النبات والماء •

الله عليه وسلم) يتخولنا بالموعظة ، أى يتعهدنا بها شيئا فشيئا ويراعينا(٧٣) قال أبو على : هو من قولهم تساقطوا أخول أخول : أى شيئا فشيئا بعد شىء - وأنشدنا : (٧٤) .

يساقط عنه روقه ضارياتها   سقاط حديد القين أخول أخولا

فكان هذا الرجل رعى ماله وتعهده حفظا له وشحا عليه .

وأما صدى مال فانه يعارضها من هامنا وهامنا ولا يهملها ولا يضيع أمرها ، ومنه الصدى لما يعارض الصوت ، ومنه قراءة الحسن رضى الله عنه : « صاد والقرآن » وكان يفسره : عارض القرآن بعملك أى قابل كل واحد منهما بصاحبه - قال العجلى (٧٦) « يأتى لها من أيمن وأشمل » (٧٧) .

وكذلك سر سور مال : أى عارف بأسرار المال ، فلا يخفى عنه شىء من أمره ، ولست أقول كما يقول الكوفيون ، وأبو بكر معهم (٧٨) .

ان سرسورا من لفظ السر ، لكنه قريب من لفظه ومعناه - بمنزلة عين ثرة وثرثارة وقد تقدم ذكر ذلك (٧٩) .

وكذلك سوبان مال ، هو (فعلان) من الساب ، وهو الزق للشراب .

قال الشاعر :

اذا ذقت فاها قلت علق مدمس   أريد به قيل فغودر فى ساب (٨٠)

---

(٧٣) اللسان : التخول : التعهد - والحديث نفسه .

(٧٤) ضابى بن الحارث البرجمى (اللسان - مادة خول) .

(٧٥) وهو فى وصف الثور - ومدافعته للكلاب - والروق : القرن .

(٧٦) أبو النجم العجلى - ومن أرجوزة له .

(٧٧) والبيت فى وصف الراعى .

(٧٨) أبو بكر : يقصد محمد بن السرى السراج .

(٧٩) الخصائص ح ٢ ص ٤٤ - تداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية - وفيه أن أبا بكر قال فى نحو ثرة وثرثارة : أن الأصل فيها ثرارة فابدل من الراء الثانية ثاء فقالوا ثرثارة - وكذلك طرد هذا الطرد . وهذا وأن كان عندنا غلط لابدال الحرف مما ليس من مخرجه ولا مقاربا فى المخرج له ، فانه شق آخر من القول ح ٢ ص ٥٥ .

والتقاؤهما أن الزق انما وضع لحفظ ما فيه . فكذلك هذا الراعي يحفظ المال ويحتاط عليه احتياط الزق على ما فيه .

وكذلك محجن مال : هو (مفعل) من احتجنت الشيء اذا حفظته وادخرته .
وكذلك ازاء مال : هو (فعال) من أزى الشيء يأزى اذا تقبض واجتمع .
قال (٨١)

« ظل لها يوم من الشعرى أزى » (٨٢) .

أى يغم الانفاس ويضيقها لشدة الحر ـ وكذلك هذا الراعي يشح عليها ويمنع من تسربها وأنشد أبو على عن أبي بكر لعمارة :

هذا الزمان مول خيره آزى ... صارت رؤوس به أذناب أعجاز

وكذلك بلومال ، أى هو بمعرفته به قد بلاه واختبره ـ قال الله سبحانه : ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » (٨٣) .

قال عمر بن لجا (٨٤) .

فصادفت أعصل من أبلائها ... يعجبه النزع على ظمائها (٨٥)

وكذلك حبل مال ، كأنه يضبطها ، كما يضبطها الحبل يشد به ، ومنه

---

(٨٠) انظر اللسان : مادة ساب ، وفى المحيط : النفيس من كل شيء والعتيق. من الخمر علق ـ والعلق الخمر لنفاستها ـ والمدسى : المخبوء .
(٨١) قائل الرجز من باهلة ـ وتتمته : نعوذ منه بزرن انيق الركى .
(٨٢) يوم أز : يغم الأنفاس من شدة حره ، والشعرى : كوكب يطلع فى شدة الحر والزرانيق : جمع زرنوق وهو دعامة البئر ويجعل على كل زرنوقين خشبة تعلق فيها البكرة ـ والركى : جمع ركية : وهى البئر ـ انظر مادة أزى ومجالس ثعلب ح ٢ ص ٦١٤ .
(٨٣) سورة محمد ٤٧ / ٣١ .
(٨٤) ويقال عمر بن لحا بالحاء المهلة وهو بالمعجمة أشهر قال فيه جرير :
أنت ابن برزةمنسوب الى لحأ ... عند العصارة والعيدان تعصر
وبرزة : أمة ـ ولحاء الشجر لا عصارة له انظر الخزانة ١ / ٣٦٠ ، وتاج العروس : ١ / ١١٥ .
(٨٥) الأعصل : اليابس البدن ، وهو قوة له ، والنزع : نزع الدلو من البئر .

الحيل: الداهية من الرجال ، لانه يضبط للأمور ويحيط بها (٨٦)

وكذلك عسل مال : لانه ياتيها ويعسل اليها من كل مكان ، ومنه الذئب العسول ، ألا ترى أنه انما سمى ذئبا لتذاؤبه (٨٧) وخبثه ومجيئه تارة من هنا ومرة من هنا .

وكذلك زرمال أى يجمعه ويضبطه كما يضبط الزر الشيء المزرور .

فهذه الأصول وهذه الصيغ على اختلاف الجميع مرتمية الى وضع واحد على ما ترى .

ومن ذلك قولهم للدم : الجدية (٨٨) والبصيرة : فالدم من الدمية لفظا ومعنى وذلك أن الدمية انما هى للعين والبصر ـ واذا شوهدت فكان ما هى صورته مشاهد بها وغير غائب مع حضورها • فهى تصف حال ما بعد عنك ـ وهذا هو الغرض فى هذه الصورة المرسومة المشاهدة .

وتلك عندهم حال الدم ، ألا ترى أن الرمية اذا غابت عن الرامى استدل عليها بدمها فاتبعه حتى يؤديه اليها • ويؤكد ذلك لك قولهم فيه : (البصيرة) وذلك أنها اذا أبصرت أدت الى الرمى الجريح ـ وكذلك أيضا قالوا : (الجدية) لانه يجدى على الطالب الرمية ما يبغيه منها ، ولو لم ير الدم لم يستدل عليها

---

(٨٦) عسل الذئب عسيلا وعسلانا : أعنق وأسرع والعسل فى السير الخبب .

(٨٧) ذؤب الرجل وذئب : خبث ـ ومما يروى عن سيبوية أنه كان ذات يوم فى حلقة ، فهبت ريح أطارت الورق ، فقال لبعض جلسائه أنظر أى ريح هى ؟ وكان على منارة المسجد تمثال فرس من صفر ـ فخرج الرجل فنظر التمثال ثم قال : مايثبت الفرس على شيء • فقال سيبوية : العرب تقول فى مثل هذا : تذاءبت الريح : أى فعلت فعل الذئب ليختل : فيتوهم الناظر أنه عدة ذئاب ، (طبقات اللغويين والنحويين للزبيدى ص ٦٨) .

(٨٨) فى اللسان (مادة جدا) الجدية من الدم مالصق بالجسد ، والبصيرة : ماكان على الأرض • وقال اللحيانى : الجدية : الدم السائل ـ وأما البصيرة فما لم يسل ـ وأجدى الجريح : سالت منه جدية ..

ولاعرف موضعهـا قال (صلى الله عليه وسلم) (كل ما اصميْتَ ودع ما أنميت) (٨٩) ·

وهذا مذهب في هذه اللغة طريف ، غريب لطيف · وهو فقهها ، وجامع معانيها ، وضام نشرها – وقد هممت غير دفعة أن أنشىء في ذلك كتابا أتقصى فيه أكثرها والوقت يضيق دونه ، ولعله لو خرج لما أقنعه الف ورقة الا على اختصار وايماء (اليست تلك دعوة الى دراسة هذا الباب وتتبع البحث في هذا المجال) ·

وكان أبو على رحمه الله يستحسن هذا الموضوع جدا ، وينبه عليه ، ويسر بما يحضره خاطره منه ·

وهذا باب انما يجمع بين بعضـه وبعض من طريق المعـانى مجـردة من الألفاظ ، وليس كالاشتقاق الذى هو من لفظ واحد ، فكأن بعضه منبهة على بعض وهذا أنما يعتنق فيه الفـكر المعانى غير منبهته عليهـا الألفاظ – فهو اشرف الصنعتين ، واعلى المأخذين فتفطن له ، وتأن لجمعه ، فانه يؤنقك ويضىء عليك ، ويبسط ما تجعد من خاطرك ، ويريك من حكم البارىء – عـز اسمه – ما تقف تحته – وتسلم لعظم الصنعة فيه وما أودعته أحضانه ونواحيه ·

بدأ ابن جنى حديثه بتحليل نماذج من ظاهرة الترادف وما يتصل بها ،ومن خلالها تعرض تعرضا سريعا لظاهة المشترك اللفظى كما أنه عرج في سرعة وخفة على ظاهرة التضاد ، وكان في كل لفتة من لفتاته يعطى بعدا جديدا نحن اليوم في حاجة الى متابعته لا سيما بعد أن تباعد العهد بيننـا وبين الناطقين الأولـين للعربية وبعد أن تغيرت البيئة اجتماعيا وحضاريا تغيرا بعيدا وتغيرت معها المدلولات وأخذت الدلالات ابعادها المتطورة نحو التغير واستقرت بعض النماذج وارتبطت بمفهومات جديدة مستقلة عما انبثقت عنه ·

واذا كان ابن جنى يرى أن هذا هو فقه اللغة ·· ، وأنه هم غير دفعة أن

---

(٨٩) أصميت : ما أصبته فمات بين يديك – وأنميت : ما أصبته وغاب عنك ثم مات ·

(٩٠) النشر : المنتشر : المتفرق ·

ينشىء فيه كتابا يتقصاه فيه ، غير أن وقته كان يضيــق دونه ، وانه يرى أن هذا الكتاب لو كان قد خرج لعله ما كان قد أقنعه أو كفاه ألف ورقة الاعلى اختصار وايماء ٠٠٠ / ٠٠٠ واذا كان ابن جنى يذكر أن أبا على الفارسى كان يستحسن هذا الموضوع جدا ، وينبه عليه ويسر بما يحضره خاطره منه ٠ فكيف لا نقف نحن أمام هذا البحث على أهميته تلك وكيف لا تستوعبه وتفهم أبعــاده ٠٠ لاسيما وأن ابن جنى يرى أن هذا الباب وباب الاشتقاق (٩١) متكاملان غير أن هذا الباب عنده أهم من صاحبه أو هو على حــد قوله : أشرف الصنعتين، وأعلى المأخذين ـ وفوق هذا وذاك فان ابن جنى يحضنا على أن « نتفطن له » ٠ فالأفكار تعتنق فيه المعانى غير منيبته عليها الألفاظ ٠

ومن عجب أن هذا الباب لم يتفطن له أحــد من الباحثــين على الرغم من أهميته غير أن الدكتور مازن المبارك جعله فى كتابه ضمن النصوص اللغــوية التى اختارها من كتابى الخصائص والمزهر ولكنه أخذ يغض من عمل ابن جنى فى هذا الباب فى مواضع متعددة من تعليقاته فى حواشيه فهو مثلا يقول :

« ولسنا ندرى هل ركب ابن جنى متن الشطط لاثبات رأيه ولو أدى بــه ذلك الى جعل الفارسى عربيا » ٠

وذلك راجع بالطبع الى أن منهج ابن جنى فى هذا الباب لم يكن يتفق مع منهج الدراسات اللغوية الحديثة التى كانت سائدة آنذاك (٩٢) وقــد جعل بعض المحدثين من علمائنا أقوال الغربيين مبادىء منزله (٩٣) ٠

وهذا ما دفع الدكتور ابراهيــم أنيس الى أن يغفل النظر فيه أو التعليق

---

(٩١) المقصود الاشتقاق بنوعيه الاشتقاق الأصغر والاشتقاق الاكبر ٠

(٩٢) كتابه : النصوص اللغوية دار الفكر ٠ حاشية (٤) ص ٣٣ ٠
وانظر كذلك ص ٣٤ حاشية (٢) وحاشية (٣) ـ وص ٣٥ حاشية (٣) وص ٣٧ حاشية (١) وص ٣٨ حاشية (٣) ٠٠٠ / ٠٠٠

(٩٣) تغيرت مناهج الدراسات اللغوية ولم يعــد المنهج الوصفى هو كل المناهج ، فاخذت المدارس اللغوية الغربية اليوم يعارض بعضها بعضا وتعددت مناهجها ٠

عليه مع العلم بأن فيه كل الاجابات التى طلبها وتعرض لها ، توضيح ذلك أن الدكتور ابراهيم أنيس يقول :

« والا ترتب على هذا أن نتصور نوعا من الارتباط بين حروف الفعل (أدرك) وحروف الفعل فهم لان لكل منهما نفس الدلالة ، وهو ما لا يقبله اللغوي الحديث كما يترتب على هذا أن ننكر من اللغة تلك المئات من الكلمات التى اشتركت لفظا واختلفت معانيها اختلافا بينا (٩٥) ·

وفى الباب الذى بين أيدينا يرد ابن جنى على مثل ما أثاره الدكتور أنيس من اعتراضات فى هذا الصدد ·

ويهمنا أن نلتفت فيما قاله ابن جنى الى عدة نقاط منها :

– · أن ابن جنى يتحدث عن صيغ وأوزان صرفيه عامة ·

– هذا بالاضافة الى أن حديثه جاء عن بنيات شكلية ومعناه أن هذه البنيات تستغرق كل ما يصلح أن يتضمنه النموذج الذى يتحدث عنه وما يتصل به من دلالات ··· بصرف النظر عن الرمز الصوتى الذى ينخرج تحت تلك البنية الشكلية غير أنها هنا تجمع ما هو خاص بصفة واحدة ·

فعيلة
طبيعة
ضريبة
غريزة
نقيبة
سليقة

– · أضف الى ما سبق أن علماء اللغة المحدثين يرون أن من أهم جوانبه

(٩٥) اقرأ هذا الرأى فى كتابه من أسرار اللغة ص ٤٦ ·

اللغة جانب التبليغ وينظرون فى عملية التبليغ (Destination) الى ضرورة وجود اتفاق بين التبليغ واللغة .

وأن الانسان بفضل تكوينه الفيزيولوجى ، وتجاربه الماضية ، ومدركاته الحسية والعقلية يجعل عملية التبليغ دائما على مرحلتين هما :

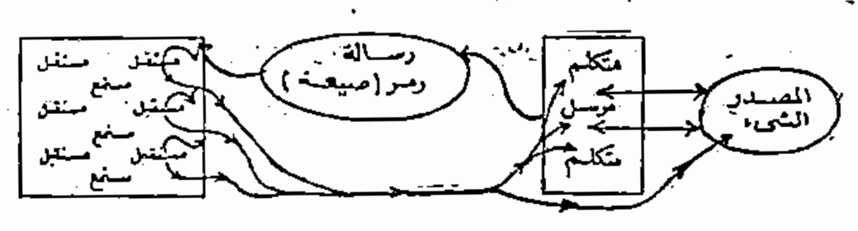
١ ـ وضع الصياغة (Codage) .

٢ ـ كشف الصياغة (Dé codage)

وأن لكل لغة من اللغات نظام (Système) من الرموز المتعارف عليها ، ولذا لابد من صحة الرموز أى اعتبار جانب المشابهة أو المطابقة أو المقاربة ... (أى وجوب الصدق فى الخبر .. بمعنى المطابقة والربط بين الحسى والمعنوى ويقوم ابن جنى بتوضيح مثل هذا فى هذا الباب) .

مع ملاحظة أن المتكلم والمخاطب يتبادلان الأدوار ما بين استماع وتكلم أو ارسال واستقبال (٩٧) .

أنه اذا وجد فى بيئة ما بين جماعة من المتكلمين (شىء) ما ـ وتطلب هذا الشىء رمزا لغويا ـ وأطلق (متكلم) رمزا على هذا الشىء ـ وتلقته جماعة المتكلمين بالقبول فان الرمز يعود الى مرسله بالقول ، كما أنه يعود الى مصدره (الى الشىء) بالقبول أيضا أى تتم عملية الصياغة . وكشف الصياغة طبقا لنظام الرموز المتعارف عليها : وذلك على النحو الآتى :



---

(٩٧) وكل متكلم قادر على القيام بالعمليتين الارسال والتلقى فى الوقت نفسه ، فانا أتكلم واسمع كلامى والاحظ أثره الذى يمكن أن يحدثه فى السامعين ـ أى ما يمكن أن يسمى بالأثر الرجعى أو رد الفعل . (Rétro action).

والخلاصة أن اللغة تقوم على خمسة أمور : ـ

١ ـ مصدر Source ٢ ـ منتهى Destination ٣ ـ جهاز ارسال Transmetter

٤ ـ ممر Canal ٥ ـ جهاز التقاط • Récepteur

مع لاحظة أن الادراك يحصل عن طريق الحواس ، وأن الشيء الذى ندركه قد ينقطع عند انقطاعنا عن ادراكه •• وبفهم من عمل ابن جنى الربط بين هذه الامور الخمسة فى تسلسل بارع مبعثة معايشته اللغة وأبنائها وفهمة الجيد لاعماقها وأغوارها وهذا من المباحث الهامة التى تشغل بال المتخصصين فقد ربط الفيلسوف الانجليزى جون لوك John Locke مشكلة المعرفة بقضايا اللغة حيث يقول : أننا اذا أردنا أن نفهم طبيعة التفكير والمعرفة فلا بد قبل ذلك من أن نفهم طبيعة اللغة التى بها نفكر ونوصل أفكارنا الى الغير •• والكلمات اشارات أصطلح عليها ولكنها لاتنوب عن الأشياء بصورة مباشرة ولكنها تنوب عن الافكار القائمة مقام الأشياء ـ فالكلمة تنوب عن الفكرة ، والفكرة تنوب عن الشيء (٩٩) وقد أوضح ابن جنى هذا البعد اللغوى الخاص بالعربية مع تفقه تام وعرضه من خلال فهمه فى اطار ، وضع من خلاله منهج التفكير والتطبيق معا رابطا بنية اللغة ببنية الفكر وبنية الوجود معا من خلال تعامل العربى مع المدركات الحسية التى يعايشها واذا كانت بنية Structure اللغة قائمة على بنية الوجود من جهة وعلى بنية الفكر من جهة أخرى •••• فمعناه أن بنية اللغة قائمة على بنية الوجود وعلى بنية الفكر البشرى معا ••• / ••• وهذا يمثله المثلث المعروف لدى الدراسين فى هذا المجال ••• ولكن على ألا نفهم أن مجموع ما فى اللغة من كلمات لايحصى مجموع ما فى الكون من موجودات لأن هذا لايمكن أن يكون •

كما أن ما نحسه بين الكلمات والمدلولات انما هو أمر اعتمد على التجربة اليومية فعملية التعرف على الدال والمدلول فى كل لحظة من لحظات الاستعمال اللغوى تقرب بينهما عى حين أنه ليس هناك مطابقة بين الاسم والمسمى أو بين

---

(٩٨) ١٩٣٢ / ١٧٠٤ فى الجزء الثالث من كتابة المقالة

(٩٩) انظر : محاضرات فى علم النفس اللغوى • د• حنفى بن عيسى ـ واقرأ : الفصل الثانى اللغة ومشكلة المعرفة •• من ص ٣١ وما بعدها •

الدال والمدلول ومعنى ذلك أن كل ما قيل بعيد عن الرمزية الصوتية وان كانت هناك محاولة لايجاد المطابقة بين الدال والمدلول من وجهة نظر الناطقين باللغة ـ فان بنية اللغة لا تطابق بنية الوجود ، كما أن بنية اللغة لا تطابق الخبرة الذاتية أو التجربة وهذا أمر واضح أمام المتخصصين فكثيرا ما تكون الكلمات بعيدة عن المحسوس أو عاجزة عن التعبير عنه ـ أو عما فى الذهن ٠٠ والأمثلة على ذلك كثيرة فى اللغة ومما ذكره ابن جنى ومعناه أن الرمزية الصوتية شىء مرفوض لعدم امكانه ٠

وأن دراسة هذا الموضوع تؤكد ذلك ٠

وأن نظرية ابن جنى فيما نحن بصدده بعيدة عنه هى الأخرى ٠

وابن جنى فى دراسته هذه أسبق وأعمق من العالم النمساوى «بوهلر» الذى يقول : ان الكلام دليل على الحالة العقلية للمتكلم ورمز للرسالة ، وتنبيه للسامع فابن جنى من خلال دراسته العملية التطبيقية لهذا الباب أرسى دعائم هذا المبدأ وأكده ٠

واذا كان ستيفن اولمان يرى أن من وظائف الكلام الاساسية : أنه معبر ، وموصل ومؤثرفقد قدم ابن جنى من خلال دراسته لهذا الباب هذا المبدأ أيضا على دعائم نظرية تؤكدها الدراسة التطبيقية العملية ٠

واذا وضعنا امامنا تحليل الأستاذين « أوجدن » وريتشاردز فى كتابهمامعنى المعنى (١٠٠) والذى يمثله مثلثهما المشهور ـ حيث يذهبان الى وجود عوامل ثلاثة تتضمنها اية علاقة رمزية وذلك على نحو ما سبق أو أوضحنا فى الحديث عما قدمه ابن جنى من خلال بابه هذا فاننا نلمح فى أعمال ابن جنى هذه العوامل الثلاثة وهى على نحو ما أوضحاه :

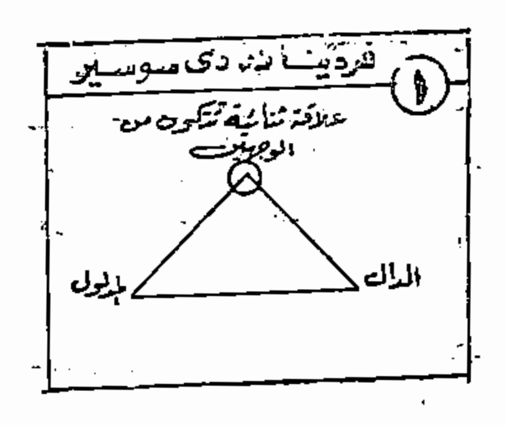
١ ـ الرمز نفسه ٠

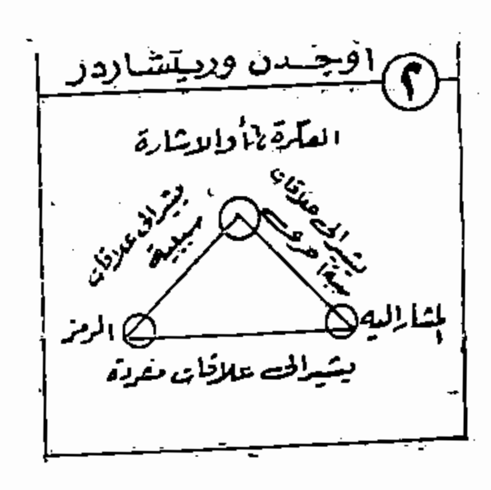
٢ ـ المحتوى العقلى الذى يحضر فى ذهن السامع حين يسمع الكلمة ؟ وهذا المحتوى قد يكون صورة بصرية أو حتى مجرد عملية من عمليات الربط الذهنى ـ

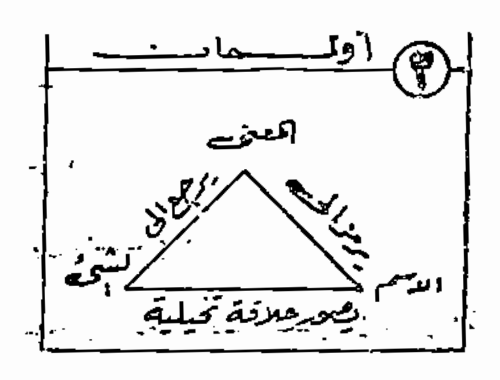
(١٠٠) Odgen & Richard; The Meaning of meaning

وهذا ما تسميه العالمان « بالفكرة » أو الربط الذهنى Reference وهذا مما دار من حوله تحليل ابن جنى فى الأمثلة السابقة .

٣ ـ الشىء نفسه الذى ارتبط ذهنيا بشىء آخر ـ وهذا الشىء قد يسمياه المرتبط ذهنيا أو Reference وتتضح العلاقة بين هذه المصطلحات الثلاثة على على النحـو الآتى :







معنى ذلك أن تعدد الرموز التى وضعت للشيء الواحد تدل على عدم فرض رمز صوتى معين لشيء معين ـ وأن العقل يقبل أن يتحرك من رمز صوتى الى آخر دون أن يجد فى ذلك حرجا أو غضاضة ـ الضريبة والفريضة التحيزة . . ثم ادخال عنصر الزمن وطبيعة المتكلمين هذه النقاط التى تناولها ابن جنى فى تحليله هى ما تدور من حولها دراسات اللغويين اليوم على نحو ما هو واضح :

ومدار البحث فى علم اللغة هو الكلمة أو الدال Le Signifaint ويقوم الدال أو الكلمة أو الاسم مقام الشيء أو المدلول Le Signifié أو المسمى .

وتتصف الكلمة التى هى مدار التخاطب بأمرين وهما :

١ ـ التعسف ، ٢ والتحرك . أى أعتباطية الحدث اللغوى وقابليته للتطور . .

والمقصود بالتعسف هو تعسف العلاقة بين الدال والمدلول أي أن العلاقة علاقة اعتباطية ، ولكنها مع ذلك صارت مستقرة فى عرف الجماعة اللغوية ، مع قابليتها للتطور أو التغير أو احلال غيرها بجوارها أو محلها أو تنحيتها عن بعض صفاتها

ويمكن للقول بان الكلمات تمر فى حياتها باربع مراحل :

● ـ مرحلة الوضـع ٠

● ـ مرحلة التقبل ٠

● ـ مرحلة التداول والشيوع ٠

● ـ مرحلة الاضمحلال عندما يحدث التخلى عن بعض الكلمات أو احلال غيرها معها أو محلها أو تطوير جانب من جوانبها سواء من الناحية الشكلية أو الدلالية ـ واذا كان كل هذا يحدث وهو ما أشار اليه ابن جنى بطريقة تجريبية تحليلية وأقره المحدثون فاين هى المناسبة عند ابن جنى ٠

وفى ضوء تحليل ابن جنى لما سبق يتضح لنا مايشير اليه فردينانددى سوسير من مبدأى التعسف أو الاعتباطية والتحرك حيث يقول : « أن العلامة اللغوية تختص بامرين أساسيين ٠٠٠ وبتحديدهما نكون قد وضعنا الاسس التى تقوم عليها الدراسات اللغوية » (١٠١) ـ وهذان المبدأن موجودان فى تراثنا وأشارت اليهما دراسات عديدة وقد أوضحنا ذلك ٠

فمبادىء الدراسات اللغوية الحديثه مسطرة فى كتب السلف من علمائنا وينهل علماء الغرب منها ما شاءوا ـ وليس ببعيد أن الدراسات الحديثة استفادت بلا حدود من تراث سلفنا ٠ فقد درس علماؤنا كل مايتصل بالأداء اللغـوى وأوفوه حقه من التعمق ووسعوا مجال البحث فيه ٠

ويتم الأداء اللغوى على خطوات حتى يحقق الغرض منه وهو الاتصال بين أفراد المجتمع وذلك على النحو الآتى :

١ ـ خطوة حركية عضوية وهى مجموعة الحركات التى تقـوم بهـا أعضاء النطق فيصدر الرمز الصوتى الذى يعبر عن الفـكرة أو الصـورة الذهنية عند المتكلم ٠

---

(١٠١) F. de Saussure : «Cours de linguistique Générale — Paris Edition Payot, 1965. P. 100

٢ ـ خطوة عضوية حسية وهى عملية احساس السامع باللغة المنطوقة وما يصحبها من حركة ـ أو أشارة وتقوم بهذه العملية الأذن والعين وأعصاب الحس الموصلة منها الى المخ ٠

٣ ـ خطوة حسية عقلية تقوم على الادراك الحسى للغة المنطوقة أو عملية تفسير الرموز الصوتية التى وصلت الى المخ Interpretative Process ونلمح الخطوات الثلاث فى تحليل ابن جنى ٠

ويفهم من عمل ابن جنى أنه اعتبر التعمق فى فهم هذه الخطوات الثلاث ولا سيما الخطوة الثالثة وما يتصل بها من تحليل هى فقة اللغة « فالتأتى والتلطف فى جميع هذه الأشياء وضمها وملاءمة ذات بينها هو خاص اللغة وسرها »

فاللغة وسيلة الاتصال والتفاهم بين الافراد وهى من أهم العناصر التى يتكون منها النظام الاجتماعى والتى تتحكم فى السلوك اللغوى وغير اللغوى لافراد المجتمع ٠ لذا فهى جديرة بأن تدرس فى دقة يتفقه فيها ما هو خاص بها ـ وذلك يتم عن طريق دراسة الكلمات وتتبع حركتها وهذا ما دعا له ابن جنى دعوة صريحة ٠

فعن طريق الكلمة تثار الفكرة وهذه الفكرة تأتى من الاشياء التى يدركها الفرد عن طريق حواسه سواء كانت لشىء محسوس Concrete أو لشىء مجرد Abstract وهذا ما حاول ابن جنى أن يربطنا به وأن يتعمقه فى تحليله من خلال تقديمه هذا الباب ، وتتكون الفكرة idea عند الانسان عن طريق ما يراه أو ما يدركه بحاسة البصر أو بغيرها من الحواس ، واللفظ هو الذى يساعد على تكوين الصور الذهنية باستخدامها فى تسمية العناصر المختلفة التى يحلل اليها المدرك الحسى وفى تركيبها أيضا ويتضح هذا بجلاء من العملية التى جال بنا ابن جنى فيها خلال تتبعه اختلاف الاصول والمبانى وتلاقيها حول المعانى فان اللفظ هو المحور الذى دار عليه التحليل ٠

فللسلوك اللغوى (Verbal Behaviour) شقان :

ـ ما يختص بالمتحدث أى بعملية النطق بالكلام ٠

ـ ما يختص بالمخاطب أى بعملية السمع والفهم ٠ وكلاهما متعاونان ويتبادلان الدور وكذلك النطق والادراك أمران متحدان ووجهان لشىء واحد ٠

وقد عنى علماء النفس حديثا بتاكيد الفرق بين الفكرة التى تدل عليها الكلمة (معنى الكلمة) ومجرد الصورة المتخيلة (Image) لمدلول الكلمة — فالصورة المتخيلة المثارة هى فى الواقع ليست الا جزءا فقط من المعنى الذى يقوم فى ذهن الفرد عندما يفكر فى مدلول الكلمة التى أحدثت هذه الاثارة — ودارت من حولها كثير من الدراسات تولاها متخصصون ·

والصورة الذهنية (Evoked Image) جزء صغير مما يحدث عندما يفكر الانسان أو عندما تثير كلمة معنى فى ذهنه — وذلك لانه يحدث فى الذهن مستويات مختلفة لادراك أنواع من الكلمات ما بين محسوسات ومجردات — وخلال مرحلة التجريد تعمل قوانين لغوية متعددة منها مايتصل بالمقاربه والمشابهة ·

وبالنسبة للادراك فهو يبدأ بمرحلة التجريد التى يمكن فيها ادراك المماثلة والمشابهة فى خصائص معينة ومن هذه المرحلة تقوم القوانين اللغوية المختلفة باداء دورها ·

ثم تحدث مرحلة التعميم Generalization وفيها يصل الفرد الى معنى عام مشترك بين أفراد الكل وهذا المدرك الكلى يقسم من الناحية النفسية الى نوعين :

- عام وهو الذى يشمل مدلوله جميع الأفراد
- وخاص وهو المعنى الذى يختص بفرد بذاته أو شىء بذاته ·

ومرحلة ادراك المعانى مرحلة أعلى وتأخذ مستويات ·

وتتكون عندما أفكارنا عن أسماء المعانى Abstract Ideas مثل الطول والقصر والخوف والغضب وأسماء الصفات مثل الاسود والطويل والقصير والبعيد : وهذا يوضح تفسير ابن جنى بالتدريج من المحسوسات الى المعنويات الى المجردات وتدرك اسماء المعانى عن طريق ادراك الصفات المشتقة منها أولا أو التى هى خاصة من خصائص أسماء الذوات (١٠٢) ·
Cancrete Objects

---

(١٠٢) أقرأ علم اللغة النفسى د· عبد المجيد سيد أحمد منصور من الفصل السابع موضوع اللغة فى الدراسات النفسية ص ٩٧ / ١٢٩ ·
فى علم النحو والصرف تقسم الاسماء الى ذات كشجرة ودابة واسم معنى كعلم وعدل وسلام ·

والواقع أن ما قام به ابن جنى فى هذا الباب امره مجهد فتتبع العلاقات على هذا النحو وتكوين فكرة عنها أمرها أدق فالصفة ملاصقة عـادة للشـىء المدرك أما العلاقة فهى تحتاج الى انتقال الانتباه من شىء الى شىء وهـذا الانتقال هو الآخر فى حاجة الى أدراك مبنى على أسس وهو ماسماه ابز جنى فقه اللغة العربية ـ والعلاقات ليست شيئا محسوسا يدرك مستقلا وانمـا هى مجرد صلة بين شيئيين أو أشياء ومن الممكن أن يستحضر الفرد فى ذهنه صورة لمعنى ما دون حاجة الى تصور الموصوف ولكنه من الصعب التفكير فى العلاقة بين شيئين تفكيرا مجردا عن هذين الشيئين اللذين تربط بينهما هذه الملاقة ـ فعمل ابن جنى هنا عمل خلاق جدير بعناية الدراسين ـ والحاجة العلمـية لـه ماسـة فمن خـلاله يمكـن أعـادة تصـور العلاقة التى تمت بين الدال والمدلول والتى عن طريقها تـم المخزون اللغـوى فى العقل العربى وهذا يضع يد الباحث على نقطة لها أهميتها فى الدراسة اللغوية العامة وهى مرحلة تطـور الفكر اللغـوى من المحسوس الى المعقـول والعكس وتكوين الفكرة عن العلاقات يحتاج الى نفس الخطوات التى تتبع فى تـكوين أى معنى من المعانى الكلية ـ أى يحتاج الى الملاحظة لادراك التشابه وعدم التشابه ثم التجريد والتعميم أما التسمية فليس لها ترتيب خاص فقد تاتى مع الملاحظة وهذا ما وضع يدنا ابن جنى عليه فقد أنتقل بنا من تسمية لأخرى مع وجود علاقة ذات جانبين أحدهما خاص بالمضمون والآخر خاص بالصيغة والشكل وبينهما معا تحاور وتطور ، وظل ابن جنى ينتقل بنا من تسمية الى تسمية مع ربط بين المسميات وتتبع الحركة الذهنية والمخزون العقلى وفق منهج له حدوده وخطواته ويرى بعض علماء النفس أن الكلمة تدل على :

ا ـ الفكرة التى تمد المتكلم أى المدلول الذاتى ٠

ب ـ الشىء المحسوس الواقعى فى الخارج أى على المدلول الواقعى الموضوعى

الذى يشير دائما الى مقابل خارجى فى الحياة الواقعية ، والمعنى الخارجى يحدد دائرة الكلمة المستعملة ويعرف بأنه المعنى المتفق عليه ٠

ويحدد بعض العلماء اربعة عاصر اساسية تكون معنى الكلمة هى :

١ ــ العنصر الأول : المدلول عليــــه Sense وهو الشىء المقـابل للكلمة فى عالم الواقع سواء كان ماديا أو معنويا ٠

٢ ــ العنصر الثانى : الناحية الانفعالية : وتمثل شعور المتكلم نحو هذا الشىء عندما يتذكر الكلمة الدالة على هذا الشىء وعندما يتعـامل مع هذا الشىء وهذا العنصر وثيق ومؤثر فعال فى العنصر الثالث ٠

٣ ــ العنصر الثالث : النغـم Tone فعنـدما يتكلم الفـرد يعطى الكلمة

نغمة خاصة ــ وهذا ما نحسه فى نطق كثير من الكلمات عندما تختلف حالات نطق الكلمة الواحدة تبعا للحالات والمواقف المختلفة ٠

٤ ــ العنصر الرابع : القصد Intention

فقد يقول الانسان شيئا وهو يقصد شيئا آخر وقد يقصد ضده فليس المقصود نطق الصيغ فحسب وانما المهم المقصود بها وفى ضوء هذا نستطيع أن نضع أمام أنفسنا تلك النماذج المتعددة التى يتعرض لها ابن جنى بالتحليل العملى وتتبع حركة الفكر وانتقا له من صيغة لاخرى حيث تتلاقى المعانى على اختلاف الاصول والمبانى وعن العنصر الرابط بين المبنى والمعنى وعن درو العنصر الشكلى فى الربط مع استحضار العناصر الأربعة الأساسية فى تكوين معنى الكلمة ٠

النموذج الأول من النماذج التى عرضها ابن جنى فى هذا الباب عن ظاهرة الترادف يقول عنه انك تجد للمعنى الواحد اسماء كثيرة ، فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضى المعنى الى معنى صاحبه ٠٠٠ / ٠٠٠

ثم يعطى صيغا وبنيات شكلية يفضى مدلول كل واحـدة منها الى مدلول صاحبتها ٠٠ فمثلا كلمة (خلق) على وزن (فعل) بضم الفاء والعين كثيرة منه (فعيلة) فى هذا الموضوع وذلك على النحو الآتى :

خُلُق بضم الخاء واللام = خليقة = فعيلة

طبيعة = فعيلة

نحيته = نعيلة

غريزة = نعيلة

نقيبة = نعيلة

ضريبة = نعيله

نحيزة = نعيلة

سجية = نعيلة

طريقة = فعيلة

سجيحة = نعيلة

سليقة = نعيلة

سرجيحة = فعليلة

ثم يقول ابن جنى : « هذه كلها صفات تؤذن بالمشابهة والمقاربة » فالمشابهة والمقاربة بين مدلولات هذه الصيغ جعلت كل واحدة تفضى المعنى الى معنى صاحبتها ... فالعلاقة ذات جانبين علاقة مشابهة فى الصيغة ـ واتصال فى المعنى .

ومعنى قوله بمفهومنا أن عملية التبليغ Destination فى هذه البيئة اللغوية ـ أوجدت اتفاقا بين التبليغ واللغة ـ فمن واقع البيئة والتجارب والمدركات الحسية والعقلية تم اختيار الصيغة (Codage) المناسبة للمضمون ـ ثم تعقب ذلك بمرحلة كشف الصياغة (Décodage) وتم ذلك وفق نظام الرموز المتعارف عليها بين جماعة المتكلمين فتجمعت العناصر الاربعة : المدلول عليه ـ والناحية الانفعالية والنغم ومن مظاهره الصيغة وعنصر القصد فالعلاقة جاءت اصطلاحية ـ ولكنها أخذت مراحلها فى عرف الجماعة اللغوية مابين مرحلة : وضع ـ ومرحلة تقبل ـ ومرحلة شيوع وتداول . ثم استقر ذلك نتيجة لعملية حسية

عقلية قامت على الادراك الحسى للغة المنطوقة وعلى عملية تفسير الرموز الصوتية التى وصلت المخ . Interpretative Process

وتقبلها المتكلمون باللغة فمن الاشياء والمدركات التى يتعامل معها الفرد فى هذه البيئة عن طريق حواسه يأتى بمحسوسات Concrete ويجعلها مجردات (Abstract) يساعده على ذلك اللفظ الذى اختاره والصيغة الشكلية التى ضمنها ما أراد .

ومن مرحلة التجريد يرتقى الى مرحلة أعلى وهى المرحلة التى يدرك فيها المماثلة والمشابهة حيث ينتهى منها الى المعنى العام المشترك بين أفراد المجموعة أو الكل .

والعلاقات أو الصلات الموجودة بين هذه الاشياء المتشابهة تساعد الفرد على أن يستحضر فى ذهنه صورة المعنى العام فتأتى أفراده تباعا ـ وهذا ما ساعد العربى فى بيئته الامية على الطلاقة وزرابة اللسان وفصاحته فعندما يستدعى الموقف من العربى أن يتكلم خطيبا أو شاعرا تأتيه الكلمات نتيجة لعلاقة المشابهة والمقاربة فى تداع فى بيئة تفاخرت بطلاقة اللسان وفصاحته . وهو غاية ما يعتز به العربى ، فاذا وضعنا أمامنا الامثلة التى أوضح بها ابن جنى نموذجه الاول واستحضرنا ما يقوله علماء علم النفس اللغوى ان الكلمة تدل على الفكرة التى عند المتكلم وتدل على الشىء المحسوس الواقعى فى الخارج أى أن المعنى النفسى له مقابل خارجى فى الحياة الواقعية ـ والمقابل الخارجى يحدد دائرة الكلمة المستعملة ـ لوجدنا ما يقوله ابن جنى هو تطبيق عملى لهذا المفهوم ـ فابن جنى يقول :-

خلق الانسان هو فعل من خلقت الشىء أى ملسته والصخرة الخلقاء أى الملساء والخليقة فعيلة منه .

والطبيعة من طبعت الشىء أى قررته على أمر ثبت عليه ومنه طبع الدرهم والدينار

والنحيته من نحت الشىء أى ملسته .

فالنحيته كالخليقة هذا من نحت وهذا من خلق .

والغريزة هى فعيلة من غرزت تغريزة بالآله طبعت الدرهم وغرزته بالآلة التى تثبت عليه الصورة .

والنقيبة فعيلة من نقبت الشيء وهو نحو من الغريزة ·
والضريبة فعيلة من ضربت لأن الطبع لابد معه من الضرب لتثبت الصورة -
والنحيزة فعيلة من نحزت أى دققت ومنه المنحاز الهاون ·
والسجية فعيلة من سجا اذا سكن لأن خلق الانسان أمر قد سكن اليـه
واستقر عليه ·

والطريقة فعيلـة من طرقت أى وطئت وذللت وهو معنى ضربتـه
ونقبته وغرزته ونحته كليا رياضيات وتدريب ·

والسجيحة فعيلة من سجح خلقه وذلك أن الطبيعة قد قرت واطمأنت فسجحت
وتذللت ·

وسرجيحة فعليلة وسرجوحة فعلولة من لفظ السرج والراكب يزيـل
اعتلال السرج وميأه ويعدله فهو تقويم ·

ثم يعقب ابن جنى تحليلة بقوله الآتى :

« فهو بالمعنى عائد الى النحيته والخليقة لأن هذه كلها صفات تؤذن بالمشابهة
والمقاربة » ·

فابن جنى يتحدث فى مجال الدراسات النفسية اللغوية التحليليـة
وفقا لقوانين معروفة فى هذا المجال ومدركة لنا اليوم وان لم ينص هو عليها ·
ثم يقول ابن جنى
« والمرن مُصدر كالحلف ، والكذب

والفعل منه مرن على الشيء اذا ألفه فلان له »

ثم يضيف مؤكدا ما نراه : وهو عندى من مارن الانف لما لان منـه فهو
أيضا عائد الى أصل الباب ·

ألا ترى أن :

الخليقة ، والنحيتة ، والطبيعة ، والسجية ، وجميع هذه المعـانى
التى تقدمت تؤذن بالالف والملاينة ، والاصحاب ، والمتابعة ·

فعملية تفسير الرموز الصوتية عند ابن جنى بناها على خطوات قامت
على الادراك الحسى للغة المنطوقة مع ادخال العناصر التى يتكون منهـا

النظام الاجتماعى والتى تتحكم فى السلوك اللغوى وغير اللغوى لافـــراد المجتمع فيقول المرن كالحلف مصدر ويقول هو عندى من مارن الانف وان كله يعود الى أصل الباب فالخليقة والنحيته ـ تؤذن بالملاينة ويوضح رأيه بقوله :

والسليقة = فعيلة ، والسليق ما تحات من صغار الشجر ، فاذا تحُات لان وزالت شدته ، والحت كالنحت ـ وهما فى غاية القرب .

فعناصر البيئة لها دورها فى وضع الصياغة أى الاشياء الموجودة فى البيئة ثم تقوم الصيغة أو الدال مقام الشىء أو المدلول فينشأ المحتوى العقلى أو الفكرة أو الدلالة أو ما يعرف بالربط الذهنى ثم يربط بين العناصر الأربعة وأما قوله : « كريم النجار ـ والنجر = أى الاصل

والنجر والنحت ـ والحت والضرب ، والدق ، والنحز ، والطبع ، والخلق والغزر ، والسلق ، كله التمرين على الشىء ، وتليين القوى ليصحب وينجذب.

فانظر مدى مايراه ابن جنى من تفاعل بين العناصر الاربعة على نحو مامر ـ او كما تخيلها اوجدن وريتشاردز فالعلاقة الرمزية فى مفهوم ابن جنى تضمنت الرمز الصوتى أو الصيغة والشىء نفسه التى قامت العلاقـة بينهما علاقة نيابية والمحتوى العقلى وعلاقته بهما علاقة دلالة وتعلـــم . ثم ينهى حديثه عن هذا النموذج بتعقيبه الآتى :

« فاعجب للطف صنع البارى سبحانه فى أن طبع الناس على هذا وأمكنهم من ترتيبه وتنزيله وهداهم للتواضع عليـــه وتقريره » .(١)

فهو تحليل يقوم به العقل البشرى دون أن يدرى بتفصيلاته فاذا كان ابن جنى يقول ان الله هداهم للتواضع على هذا وتقريره فأين هى المناسبة الطبيعية التى يقول بها ابن جنى اليس وراء فكر ابن جنى ماهو أعظم منها

---

(١) السابق ص ٥٨ .

بكثير مما يجهد فيه المتخصصون انفسهم ويضع ابن جنى يدنا عليه فى يسر وسهولة -

ثم هو يقول :

« كما ان الخليقة من خلق ، والسجية من سجو ، والطبيعة من طبع ، والنحيته من نحت ، والغريزة من غرز ، والسليقة من سلق ، والضريبة من ضرب ، والسجيحة من سجح ، والسرجوجة من سرج ، والنجار من نجر ، والمرن من مرن ، فالاصول مختلفة ، والامثلة متعادية والمعانى من ذينــك متلاقية » .

أى فالاصول مختلفة لاختلاف الاشياء المأخوذة عنها والامثلة متقاربة لأن الرموز الصوتية تؤدى وظائف متقاربة والمعانى متلاقيــة اى الربط الذهنى Referent أو المحتوى العقلى الذى يحضر فى ذهن السامع حين يسمع الكلمة أو الرمز الصوتى .

* * *

ونعرض متونا أخرى مثل بها جلال الدين السيوطى

وآخر من مثل بهم - هو الامام أبو منصور اسماعيل الثعالبى فى كتابه فقه اللغة وسر العربية - ونرجع الى الموضوع الذى ذكره السيوطى فنجد الآتى :

الفصل التاسع والعشرون :

« يناسبه فى ترتيب النقاب » .

اذا أدنت المرأة نقابها الى عينيها فتلك الوصوصة .

فاذ أنزلته دون ذلك الى المحجر فهو النقاب .

فاذا كان على طرف الأنف فهو اللفام .

فاذا كان على طرف الشفة فهو اللثام (١) .

---

(١) ص ١٩ فقه اللغة وسر العربية للامام أبى منصور اسماعيل الثعالبى النيسابورى ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م .

وذكر أنه عن الفراء ـ ولم يذكر الثعالبى أكثر مما جاء عن الفراء ، معنى ذلك أن الثعالبى يروى اللغة بأمانة كما استعملها أبناؤها وأن هذا هو مصدره فيما يرويه وما زاد على ذلك مما ذكره السيوطى لم يقل به الثعالبى ولم يقل به الفراء وهو يمثل وجهة نظر السيوطى ـ والكلمات التى أمامنا لا تمثل المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى :

الوصوصة

النقاب

اللفام

اللثام .

فكل كلمة تشير الى دلالة خاصة بها فاذا تقاربت كلمة اللفام من اللثام فى النطق والمعنى فهذا هو قانون التقارب وهو ما سماه ابن جنى تصاقب اللفظ لتصاقب المعنى ولكن بقيت الثاء والفاء فونيمين يتغير بموجب كل واحد منهما المعنى ولكن كيف تجىء المناسبة وقد تباعدت حروف الوصوصة عنهما وكذلك حروف النقاب .

من يتصفح كتاب الثعالبى يجد أنه كان حريصا على أن يقدم مجموعات من مفردات اللغة العربية تكشف عن سر العربية وسر الناطقين بها ـ وقد كان هدفه من وراء ذلك تيسير حفظ اللغة العربية والالمام بمفرداتها ومعرفة الفروق بينها ولا سيما بين أبناء الأمم الأخرى الداخلين فى الاسلام والذين هم حريصون على تعلم العربية وعاء القرآن الكريم .

ان الثعالبى وغيره من علماء العربية يستخدمون قوانين علمية تتصل بقوى الادراك عند الانسان ـ وهذا يكشف عن فهمهم روح اللغة بسبب المامهم بها ومعرفة أسرارها ـ والبيئة البدوية الأمية تعتمد على الذاكرة الحادة الحافظة اللاقطة فهى تربط الأشياء بعضها ببعض فيسهل التداعى ـ وتعتمد على التقارب والتتابع والتشابه ... / ... فوجد الثعالبى من أسرار العربية وأبنائها ما يتناسب مع الداخلين فيها من غير أبنائها فى عصور ازدهارها الأولى .. فقدمها وفق قوانين يكشف أبعادها المتخصصون .

وجاء بعد الفصل السابق مباشرة : الفصل الثلاثون تحت عنوان ·
« فى هيئات الدفع والقود والجر » (عن الائمة) أى أن هذا هو مصدره فقد
رواه أئمة اللغة العربية) :

قاده اذا جرهَ الى أمامه ·

ساقه : اذا دفعه من ورائه ·

جـذبه : اذا جره الى نفسه ·

سحبه : اذا جره على الارض ·

دعه : اذا دفعه بعنف ·

بهزَه ونخزه وزبنه اذا دفعه بشدة وجفاء ·

لببه : اذا جمع عليه ثوبه عند صدره وقبض عليه بحـدة ·

عتله : اذا ألقى فى عنقه شيئا وأخذ يقوده بعنف شديد ·

نهره : اذا زجـره بغلظ ·

طـرده : اذا نفـاه بشخط ·

صده : اذا منعـه برفق ·

زخهوصكه ولكمه : اذا دفعه وهو يضربه (١) ·

صار الأمر من الوضوح بحيث أنه لم يعد فى حاجة الى توضيح غير أننا نقول اذا كانت الكلمات الثلاث : بهزه ـ ونخره ـوزنبه تؤدى ذفس المعنى فأين هى المناسبة هل هناك ما يرجح استعمال واحدة على الأخرى ؟ أليست هذه على هذه الهيئة فأين هى المناسبة بين اللفظ وما يدل عليه ·

واذا كان الفصل كله يتحدث عن معنى عام واحد وتعددت مفرداته وتنوعت على هذه الهيئة فأين هى المناسبة بين اللفظ وما يدل عليه ·

ويأتى بعد السابق مباشرة الفصل الحادى والثلاثون وبه مسم استشهد السيوطى : وعنوانه : فى ضروب ضرب الأعضاء :

---

(١) فقه اللغة (السابق) ص ١٩٥ / ١٩٦ ·

الضرب بالراحة على مقدم الراس صقع ، وعلى القفا صفع ، وعلى الوجه صك (وبه نطق القرآن) وعلى الخد ببسط الكف لطم ــ وبقبض الكف لكم ــ وبكلتا اليدين لدم وبالاصبع وخز ــ وعلى الصدر والبطن بالركبة زبن ــ وبالرجل ــ وعلى الجنت بالاصبغ وخز ــ وعلى الصدر والبطن بالركبة زبن ــ وبالرجل ركل ورفس ــ وعلى الضرع كسع ــ وعلى العجز بالكف نخس ــ وبالرجل صفن (١) •

اليست الصك واللكم استعملت كل واحدة منهما بمعنى مخالف لما استعمل فى الباب السابق مباشرة فاين هى المناسبة الطبيعية ، لم يجىء أكثر من ذلك عند الثعالبى •

فاذا ذهبنا نبحث عن هدف الثعالبى من تجميع هذه القائمة من ضروب ضرب الأعضاء فى كتابة فقة اللغة وسر العربية وجدنا الجواب من العنوانين عنوان الكتاب وعنوان الفصل فقة اللغة وسر العربية : ضروب ضرب الاعضاء:

ان للناطقين بالعربية طبيعة سيكلوجية فرضتها عليهم بيئتهم الأمية وطلاقتهم فى العربية التى حرصوا عليها •

وجعلتهم يحرصون على تقارب الالفاظ وتقارب المعانى حتى تستدعى المعانى بعضها بعضا فلا يتلجلج المتكلم ولا يتلعثم الخطيب وتاتى القوافى للشاعر فى سهولة نتيجة لهذا ــ وقد كان من أهم صناعة العربى الكلام وبه افتخر •

يتحقق هذا مما أمامنا :

صقع	لطم	وهز ولهز	رفس ــ ركل
صفع	لكم	وكز ولكز	كسع
صك	لدم	وخز	نخس
صفن		زبن	

كلمات متقاربة يدعو بعضها بعضا •

واذا اثبتت الدراسة أن بين الوهر واللهز ــ وبين الوكز واللكز تطور صوتى

(١) السابق ص ١٩٦ •

حدث نتيجة للابدال فهذا أيضا يخضع لقانون التطور الصوتى ولكن يحتاج الى دراسة ونحكم به بعد أن تثبته الدراسة ويؤكده البحث ـ فقد يكون تطورا تاريخيا أو تطورا نتيجة للخطأ فى السماع أو نتيجة للبيئات المختلفة والقبائل المتباعدة ـ الى آخرة ٠

وتطالع عنده على سبيل التمثيل الفصل الحادى عشر وعنوانه فى ترتيب

أوصـــــاف البخيـــــل

رجل بخيل : ثم مسيك اذا كان شديد الامساك (عن أبى زيد)

ثم لحـــز : اذا كان ضيق النفس شديد البخل (عن أبى عمرو)

ثم شحيح : اذا كان مع شدة بخله حريصا (عن الأصمعى)

ثم فاحش : اذا كان متشددا فى بخله (عن أبى عبيدة)

ثـم حلـز : اذا كان فى نهاية البخل (عن ابن الأعرابى) (١)

جمع طائفة من الكلمات التى جمعها غرض واحد وتتفاوت فى حالات الاستعمال وصحيحه فى روايتها عن أئمة اللغة وقدمها صحيحة سهلة الاستعمال ٠

بخيـــل
لحـــز
شحيـــح
فاحش
حـلز

كلمات متباعدة وهذا أيضا يسير وفقا لقانون تتم به عملية الادراك ٠

وقد فهـم الثعالبى من معايشته للغة أن هـذا يساعد فى تعلم البلاغة وهذا الطريق الى الفصاحة فكانت النتيجة أنه قدم مؤلفه : «سحر البلاغة وسر البراعة» ونعرض نماذج منه بعد هذه النمـاذج التى نعرضها مـن كتابه فقه اللغة وسر العربية وما تنطوى عليه من خصائص وكلها وفق قوانين توصل اليها المحدثون ويكشف عن بعضها الآتى :

---

(١) السابق ص ١٤٢ ٠

قسم الثعالبى كتابه فقه اللغة وسر العربية أبوابا ٠

الباب الأول : فى الكليات ، وهى ما أطلق أئمة اللغة فى تفسيره لفظه كل ٠٠ ونأخذ الفصل الأول تمثيلا له :

« فيما نطق به القرآن من ذلك وجاء تفسيره عن ثقات الأئمة » ٠

كل ما علاك فأظلك فهو سماء ـ كل أرض مستوية فهى صعيد ، كل حاجز بين الشيئين فهو موبق ـ كل بناء مربع فهو كعبة ـ كل بناء عال فهو صرح ـ كل شىء دب على وجه الأرض فهو دابة ـ كل ما غاب عن العيون وكان محصلا فى القلوب فهو غيب ـ كل ما يستحيا من كشفه فهو عورة ـ كل ما امتير عليه من الابل والخيل والحمير فهو عير ـ كل ما يستعار من قدوم أو شفرة أو قدر أو قصعة فهو ماعون ـ كل حرام قبيح يلزم منه العار كثمن الكلب فهو سحت ـ كل شىء من متاع الدنيا فهو عرض ، كل أمر لايكون موافقا للحق فهو فاحشة ـ كل شىء تصير عاقبته الى الهلاك فهو تهلكة كل ما هيجت بـه النـار اذا اوقدتها فهو حطب ـ كل نازلة شديدة بالانسان فهى قارعة ، كل ما كان على ساق من نبات الأرض فهو شجر ـ كل شىء من النخل سوى العجوة فهـو اللين (واحده لينة) كل بستان عليه حائط فهو حديقة (والجمع حدائق) كل ما يصيد من السباع والطير فهو جارحة (والجمع جوارح) ٠

جمع هذا الباب أشياء متعددة يستعمل لها لفظ واحـد كل ما علاك فأظلك فهو سماء سقف الخيمة سماء ـ سقف البيت سماء سقف البيت الـذى صنع من خشب والذى صنع من جريد والذى صنع من غاب والسقف المسلح ـ كله سماء ـ والمظلة سماء لفظ واحد يستعمل لأشياء متعددة أين هى المناسبة وهكذا بقية الامثلة ٠٠٠ / ٠٠٠ أن كل ما فى العربية من أسرار جاء وفق قوانين تطلبتها الطبيعة البدوية والبيئة الأمية والاعتماد على الذاكرة الحافظة رغبة فى الطلاقة وفصاحة اللسان وزرابة القول يكفيك أن تقرأ هذا ولو مرة ـ ومنها تعرف خاصة من خصائص العربية تعينك على استعمالها فى طلاقة وفصاحة ٠٠٠ هل مثل هذا جاء عفو الخاطر ؟ أليس هذا خاضعا لقانون خاص بالادراك ويمثل خاصة من خصائص العربية ٠٠

أليس هذا من فقه اللغة العربية • ومن هنا فقد سمى الثعالبى كتابه : فقه اللغة وسر العربية ـ هل جاءت التسمية عفـوا •
أعمال الـلغويين القدماء فى حاجة الى وقفة متانية تتعمق من خلالها أعمالهم •

* * *

الباب الثانى ـ فى التنزيل والتمثيل ـ والفصل الأول منه ـ فى طبقـات الناس وذكر الحيوانات وأحوالها وما يتصل بهـا ـ (عن الأئمة) وهذا أول ما جاء فيهكتمثيل عليه :

الأسباط فى ولد اسحق بمنزلة القبائل فى ولد اسماعيـل •

أرداف الملوك فى الجاهلية بمنزلة الوزراء فى الاسـلام الردافة كالوزارة ـ قال لبيـد :

وشهـدت أنجيه الافاقة عاليـا   كعبى وأرادف الملوك شهود

الأقيال لحمير كالبطارق للروم •
المراهق من الغلمان بمنزلة المعصر من الجوارى •
والكاعب منهن بمنزلة الحزور منهم ـ
القارح من الخيل بمـــزلة البـــازل من الابل ـ
الكهل من الرجال بمنـــزلة النصف من النساء
الطرف من الخيل بمنزلة الكريم من الرجـال

البذج من أولاد الضأن مثل العتود من أولاد المعـز •
ألا يعتمد هـذا على المقـابلة •••• الشىء وما يقابله (بضدها تتميـز الاشياء) الا يخضع هذا لقانون ؟ لم تتحد الألفاظ وقد اتحدت الدلالات أليس الهدف من بيان هذا توضيح السر الذى اعتمد عليه العربى فى حفظ لغته •

ونسأل لماذا لم تتحد الألفاظ وقد اتحدت الدلالات أو تقاربت : الاسباط فى ولد اسحق بمنزلة القبائل فى ولد اسماعيل •

أرادف الملوك فى الجـاهلية بمنزلة الوزراء فى الاسلام ـ الرّدافة تسـاوى الوزارة ••• الى آخره •••

اذن أين هى المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعانى ..

انترك ما هو جدير بالدرس والبحث ونتعلق بما لا نفع فيه ولا رجاء من ورائه .

الباب الثالث : فى أشياء تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها :

الفصل الاول – فيما روى عن أبى عبيدة :

لا يقال كأس الا اذا كان فيها شراب ، والا فهى زجاجة – ولا يقال مائدة الا اذا كان عليها طعام والا فهى خوان ، ولا يقال كوز الا اذا كانت له عروة والا فهو كوب ولا يقال قلم الا اذا كان مبريا والا فهو أنبوبة – ولا يقال خاتم الا اذا كان فيه فص والا فهو فتخة ولا يقال فرو الا اذا كان عليه صوف والا فهو جلد ولا يقال ريطة الا اذا لم تكن لفقين والا فهى ملاءة ولايقال أريكة الا اذا كانت عليها حجلة والا فهو سرير – ولا يقال لطيمة الا اذا كان طيب والا فهى عير

أليس الشىء هو الشىء لماذا اختلف الاسم فى كل حالة عن الاخرى .

لماذا لم تتقارب الألفاظ .. كأس – زجاجة – مائدة – خوان .. الى آخره اين تقارب الالفاظ لتقارب المعانى هنا .

هل القاعدة أختلت .

هل اختلف أبناؤها واختلفت أخلاقهم وعاداتهم – لا .. انها اعتباطية الحدث اللغوى والمسألة فى حاجة الى وتئة والى دراسة انها خصائص وأسرار فى العربية تسير على قوانين يجب الالمام بها والكشف عن أبعادها – والمادة مجموعة .

الباب الرابع – فى أوائل الاشياء وأواخرها :

الفصل الأول فى سياقة الاوائل (١) .

الصبح أول النهار – الغسق اول الليل – الوسمى اول المطر ، البارض أول النبت – اللعاع أول الزرع (وهذا عن الليث) .

---

(١) السابق ص ١٧ .

اللباء أول اللبن ـ السلاف أول العصير ، الباكورة أول الفاكهة ، البكر أول الولد ـ الطليعة أول الجيش ـ النهل أول الشرب ـ النشوة أول السكر ـ الوخط أول الشيب ـ النعاس أول النوم ٠

الصبح
الغسق
الوسمى
البارض
اللعاع
اللباء
السلاف
الباكورة
الطليعة
البكر
النهل
الوخط
النشوة
النعاس ٠

اليست هذه كلها أوائل

لم تباعدت الكلمات كل هذا التباعد على حين يجمع بينها كلها معنى واحد وأن كان من جانب واحد ٠٠ فأين هى المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى ؟ ألا يوجب ذلك وجود أى تقارب ؟

فضلا عن أنها اعتباطية الحـــدث اللغوى ـ ألا يوجب ذلك نوعا من ـ الدراسة يكشف من خلالها عن سيكولوجية اللغة العربية وطبيعة أبنائها وعن القوانين الخاصة بالادراك الذهنى وكيف سخر العربى بفطرته هذه القوانين فى خدمة لغته مما جعلها تتمتع بخصائص جعلها الله سبحانه وتعالى من أجلها وعاء لكتابه الكريم ٠

الباب الخامس ـ فى صغار الأشياء وكبارها وعظامها وضخامها :

الفصل الأول فى تفسير الصغار :

الحصا : صغار الحجارة ـ الفسيل صغار الشجر ـ الآشاء صغار النخل ـ الفرش صغار الابل ـ (وقد نطق به القرآن) النقد صغار الغنم ـ الجفان صغار النعام (عن الاصمعى) ٠

الجبلق صغار المعز ـ ابهم صغار اولاد الضان والمعز ـ الدردق صغار الناس والابل ـ (عن الليث عن الخليل) الحشرات صغار دواب الأرض ـ الدخل صغار الطير ـ الغوغاء صغار الجراد ـ الذر صغار النمل ـ الزغب صغار ريش الطير ـ القطقط : صغار المطر ـ (عن الأصمعى)

الوقش والوقص : صغار الحطب التى تشيع بها النار ـ (عن أبى تراب اللمم : صغار الذنوب (وقد نطق به القرآن) الضغابيس : صغار القثاء (وفى الخبر : أهدى اليه ضغابيس فتبلها وأكلها ـ بنات الأرض : الأنبار الصغار عن ثعلب عن ابن الأعرابى ٠ (١)

مثل السابق هذه كلها صغار :

الحصا	الجبلق	الزغب	الوقش والوقص
الفسيل	البهم	القطقط	اللمم
الآشاء	الدردق		الضغابيس
الفرش	الحشرات		
النقد	الدخل		
الجفان	الغوغاء		
	الذر		

اليست كلها تدل على صغار لماذا تباعدت كلماتها كل هذا التباعد أدرك علماء العربية الأوائل وهم يجمعون اللغة هذا التقارب وهذا التباعد

---

(١) السابق ص ٣٢ / ٣٣

وما عليه العربية من أسرار مختلفة ملفتت أنظارهم ظواهر لغوية متنوعة تتصل بالعربية فسجلوها ودرسوها وقدموها نظريات متنوعة فى المجال النظرى ـ ونماذج تطبيقية فى المجال العلمى ليسهل حفظ العربية والاحاطة بها ليسهل فهم القرآن ومعرفة ماجاء فيه فتتبين دلائل عظمته واعجازة ٠٠/٠٠

لذا وجدنا كثيرين من غير أبناء العرب يبرعون فى العربية براعة العرب ـ ويحيطون باسرارها ـ وماذلك كله الانتيجة لدراسة واعية كشفت عما ينطوى عليه العقل العربى واللغة العربية من أسرار ، أليست هذه وفق قوانين ، الا توجب على الدارس المحدث أن يقف أمامها وأن يكتشف أبعادها وأن تخرج فى هذا المجال دراسات لها طابعها العلمى الجاد المميز ؟ !

يؤكد ذلك ماصنعه الثعالبى وقدمه فى كتابه سحر البلاغة وسر البراعة • فقد قدم الثعالبى فى كتابه هذا نماذج للاستعمال اللغوى فى مجالات الحياة المتنوعة يحفظها ابناء غير العرب فينطلقون باللغة انطلاق ابنائها ؟

ونضرب مثلا مما جاء فى هذا الكتاب ـ تحت عنوان : « استحكام الشيب وبلوغ الشيخوخة » ـ (١) الشيب زبدة مخضتها الأيام ـ وفضة سبكتها التجارب ـ فى الشيب استحكام الوقار ، وتناهى الجلال وميسم التجربة • وشاهد الحنكة ، الشيب مقدمة الهرم ، والمؤذن بالخرف ، والقائد الى الموت ـ الشيب رسول المنية ـ الشيب عنوان الفساد ـ الشيب ساحل الحياة ، الشيب سفينة تقترب من الساحل ، صفا فلان على طول العمر صفاء التبر على مثقب الحجر ، من عرف الستين انكر نفسه ، فلان تناهت به الايام تحليما وتهذيبا ، وتناهت به السن تحكيما وتجريبا ، قد وعظة الشيب بوخطه وخبطه ، والسن بنابه وسيطه ، قد تضاعفت وفود عمره ، وأخذت الايام من جسمه ، وجد مس الكبر ، ولحته ضعف الشيخوخة ، ساء عليه أثر علو السن ، واعتراض الوهن ، فلان من ذوى الاسنان العالية ، والصحبة للايام الخالية •

---

(١) سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبى ـ ص ٣٥
(٢) السابق ص ٣٥

ومثال آخر :

جاء بعد السابق مباشرة تحت عنوان : فى الهرم ومشارفة الفناء جاء فيه الآتى :

هم هرم قد أخذ الزمان من عقلة • كما أخذ من عمره ثلمة الدهر ثلم الاناء ـ تركه كذى الغارب المنكوب ـ خالقوسه الكبر ، هريق ماء شبابه ، استشن أديمة ، كسر الزمان جناحه ـ نقض الدهر مرته ، طوى مانشر منه ، قيده الكبر ـ رسف رسفان المقيد ـ مجتث الجثة كانه عثة ـ ثقلت عليه الحركة ، واختلفت اليه رسل المنية ـ ماهو الا شمس العصر ، على القصر ، أركانه قد وهت ـ ومدته قد تناهت هل بعد الغاية منزلة ؟ أو بعد الشيب سوى الموت مرحلة ، ما الذى يرجى ممن كان مثلة فى تقاصر الخطى ـ وتخاذل القوى ـ وتدانى المدى ، والتوجه الى الدار الأخرى ؟ أبعد دقة العظم ـ ورقة الجلد وضعف الجسم ، وتخاذل الأعضاء ، وتفاوت الاعتدل والقرب من الزوآل ؟ ـ ان الذى بقى منه نماء ترقبة المنون بمرصد ، وشلشة هى هامة اليوم أوغد ، قد خلق عمره ، وانطوى عيشه ، وبلغ ساحل الحياة ، ووقف على ثنية الوداع ، وأشرف على دار المقام •

ـ وقد جاء فى نهاية هذا المبحث قوله : آخر كتاب آحوال الانسان من لدن صغره الى كبره ولله الحمد •

وهذا ثمرة فهم الثعالبى لسيكلوجية اللغة العربية ولسيكلوجية الناطقين بيا •

ومن يحفظ كتابه هذا يكون بليغا فى العربية بارعا فيها وفى مجالات استعمالاتها المتعددة وتلك القوانين لم يتوصل لها اللغويون المحدثون الا تريبا ولا استبعد أنهم أستفادوها من تراثنا •

وقد قسم هذا الكتاب أقساما وابوابا ومباحث وفصولا ـ وهذا آخر كتاب أحوال الانسان من لدن صغره الى كبره ولله الحمد ـ وبعده جاء كتاب الطعام والشراب ـ وهكذا بقية الاقسام تتناول شئون الحياة وشئون الانسان ومجموع كل مايتصل بها من تعبيرات تسهل على من يريد التحدث أن يكون طلقا ••••••• الخ ••

وقد كانت حياة البدوى تستثيرها مجموعة كلمات ... / ... نقد ارتبطت حياتهم بما يثيره تداعى الكلمات من معان ... فالخطيب ينطلق بنسق من الكلمات فى بناء لغوى محكم فيتم الصلح بين المتخاصمين .. أو يحضهم على مكارم الأخلاق فيستجيبون ... او يستثير فيهم الحمية والنخوة ـ او يسيرهم الى الحرب .. / .. وهكذا .

وهذا كله يخضع لقوانين علمية يحيط بابعادها علماء علم النفس اللغوى .. ويطبقونها على مختلف المجتمعات . والبيئات .. / ..

فمن المعلوم لدى النفسيين أن لتداعى الأفكار تاثيرا فى الانفعال والتفكير والارادة .. / .. وأن لتداعى الافكار تاثيره ، فى الحياة الأنفعالية .. وتاثيره فى الحياة العقلية .. وتاثيره فى الارادة (١) .

وأن الصور المقترنة بعضها ببعض تؤلف مجموعات خاصة فاذا استرجعت احدى الصور استرجعت معها جميع الصور الأخرى التى تؤلف معها كلا لايتجزأ

ويرجع علماء النفس ذلك الى انه لايوجد فى النفس عنصر شعورى مستقل عن غيره من العناصر بل العناصر الشعوريه داخلة بعضها فى بعض ـ وتتألف من اتصالها وتداخلها مجموعات نفسية منشقة الاجزاء (٢)

وهذا يخضع لما يعرف فى الدراسة النفسية بقانون اعادة التكامل أو عودة المجموع الشعورى ... Loi de rédintegration

ومما يراه علماء النفس أن تداعى الأفكار يخضع للانتباه الارادى لأن الصور النفسية العفوية لاتتبع نظاما مطردا بل يتسلسل بعضها وراء بعض من غير هدف ثابت فاذا سيرها الانتباه الارادى اتبعت غاية معينة وأعانت النفس على التفكير .

---

(١) اقرأ ذلك مفصلا فى علم النفس لجميل صليبا ص ٤٢٨ / ٤٢٩ .
(٢) السابق ص ٤٢٩ ـ

فالتداعى يبعث المعانى ، والفكر يتصرف فيها وينظمها ٠٠

وقد أجرى العلماء تجارب متعددة لمعرفة حقيقة التداعى ، واعتمدوا فى تجاربهم على ماتثيره الالفاظ من تداع : ٠٠

وهناك تجارب تداعى حر ٠٠

وتجارب تداعى مقيد ٠٠

وقد كان المجرب يلقى على الشخص كلمة من الكلمات ويطلب منه أن يجيب عنها بكلمة تخطر على باله وهذا هو التداعى الحر ٠٠

وفى حالة التداعى الحر عندما يتلفظ المجـــرب أمام الشخص بكلمـــة ويطلب منه أن يذكر الكلمات أو الكلمة التى تخطر بباله ٠٠ أو يطلب منـــه الاستسلام الى خواطره ٠٠ تنساب الخواطر انسيابا حـرا مستمدة امتداد حركتها من الأصل ٠٠ / ٠٠ وهذا ماتخضع له المجموعات السابقة عنـــد الثعالبى فى كتابيه ٠

ويستطيع المجرب بعد ذلك أن يضيف الألفاظ التى حصل عليها فيجد منها مجموعات متشابهة ترجع رابطتها فى كثير من الاحيان الى قوانين التداعى الاساسية وهذا مااعتمد عليه العربى فى باديته ٠

ومـا توصل اليه علمـاء العربية الاوائل ٠٠ وقدموا مايعين عليه فى مصنفاتهم ممـا يخدم حفظ العربية وتعلمها ٠٠ ويمد المتكلم بالعربية فى مجال حديثة بثراء لغوى يعينة على صنع مايشاء من فواصل ـ أو قواف أو اوزان متخيرة ٠٠ وغير ذلك مع طلاقة اعتزبها العربى وتفاخر ٠

أما بخصوص التداعى المقيد فان المجرب يتلفظ أمام الشخص بكلمة معينة ويطلب منه أن يجيب عنها بكلمة موافقة لقاعدة يصنعها ٠

وهذه أيضا يمكن الاستفادة منها فى تعلم اللغة العربية وحفظها ممـا يتلاءم مع مانحن عليه الآن من تطور لاسيما وأن للاهتمام اثره فى التفكير وفى التامل ٠٠ وان طبيعة الحياة اختلفت وطبيعة الاستعمال اللغوى تنوعت والعربية صالحة لكل العصور والبيئات زمانيا ومكانيا وفكريا واجتماعيـا، وثقافيا ٠٠٠٠ وهكذا

. فمما يراه علماء النفس ان التداعى يختلف باختلاف الحالات وأنه تابع لقانون الاهتمام ..

وخلاصة هذا القانون :

لاتصطفى حالة نفسية ولا ترجح على غيرها من الحالات المكنة الا اذا كانت متناسبة مع الاهتمام الحاضر ـ فكما أن الاهتمام وفاعلية النفس يؤثران فى التداعى .. كذلك يؤثر الاهتمام فى الحياة العضوية وفى حياة التفكير والتأمل .. ، وفى التفكير التلقائى ..

وعوامل الاهتمام ثلاثة هى :

● الشـدة ..

● والنزعات الغريزية والميول المكتسبة ..

● والمشاغل الحاضرة ، وهذا يمكن ان يستفاد منه وفق دراسة مخطط لها على أسس ذات أهداف مرسومة .. وعلى سبيل التمثيل ففى أثناء الحديث أو القراءة فاننا لانفكر الا فى معنى العبارة وما يتصل بها .. أو الحوار ـ الى آخره كما اننا لاندرك من معانى الالفاظ الا مايناسب سياق الكلام نندرك من معانى اللفظ مايناسب الموقف ومشاغل الفكر ونهمل مايخالف ذلك من معانيه وقد تتعدد المعانى نحو ماهو معروف فى المشترك اللفظى وغيره .

وكل هذه الحالات استفاد منها العربى وتنبه علماء العربية الأوائل لقوانينها وان لم ينصوا عليها صراحة ... ولا سيما مايتصل بالتداعى ..

ـ سواء تداعى **الأفكار الحادثة معا** : وذلك عندما تجتمع عدة حالات يتكون منها كلا واحدا وعندما تبعث احداها تجذب اليها غيرها من أمثالها المتممة لها ...

ـ أما **التداعى المتتالى** : وهو استدعاء حالة أخرى مخالفة عنها واستدعاء ثانية لثالثة ... وهكذا بحيث يتألف من المجموع سلسلة متصلة الحلقات ... ولا تتوقف هذه السلسلة عن الجريان .. / .. وكل هذا

يجب أن يسخر في دراسة يستفاد منه بما يتواءم مع طبيعة العصر وفق تخطيط ودراسة يجب أن يلزم بها المتخصصون أنفسهم ٠

ويتضح للدارس الاستفادة التامة من قوانين التداعى الثلاثة وقد استفاد منها العربى بالفطرة واللغوى القديم وهى :

(١) **قانون الاقتران** : وذلك عندما يتم ارتباط اقترانى بين حالتين فاذا خطرت احداهما بالبال اقترنت بها الثانية ٠٠ وهكذا ٠٠٠٠

(٢) **وقانون المشابهة** : وقد وضحته أمثلة كثيرة مما مر فالأحوال المتشابهة وكذلك الأشياء المتشابهة ومثلها الكلمات وغيرها ٠٠ يدعو بعضها بعضا ٠٠٠٠٠

(٣) **وقانون التضاد** : فالأشياء المتضادة أو المتقابلة وكذلك الكلمات وغيرها يدعو بعضها بعضا ٠٠٠

وقد يرجع التضاد اما الى المشابهة أو الى الاقتران

كما أن المشابهة ترجع الى الاقتران ٠٠٠ ٠٠
وكل هذه القوانين تمت الاستفادة منها بطريقة فطرية عفوية أما الآن ونحن فى عصر العلم فيجب الاستفادة وفق دارسة وتخطيط مع تسخير بقية القوانين والاستفادة منها فى العمليات الذهنية المختلفة ٠

وان عملية الاسترجاع Recall نفسها هى الأخرى تخضع لقوانين وقدم العلماء فى ذلك نظريات : (٢)

فهناك نظرية العناصر التى قدمها ثورنديك
وملخصها أن انتقال اثر التدريب يحدث بين موقف وموقف آخر على أساس مايوجد من عناصر متماثلة فى الموقفين ٠٠٠ وكلما زادت هذه العناصر زاد انتقال اثر التعلم ٠٠٠ وكلما قلت قل هذا الانتقال

---

(١) أنظر سيكلوجية التعليم ونظريات التعلم ص ١٨٠
(٢) السابق ٢٠٧

وهناك كذلك **نظرية الانماط المتماثلة** التى فسربها لصحابمدرسة الجشطلت سبب انتقال التعلم بين موقف وموقف ولو لم تكن المكونات واحدة وذلك اذا حدث تشابه بين النمطين أو الصيغتين الكليتين ... ويسند هذا الراى الى انتقال أثر التدريب وفقا لنظرية تشابة الأنماط . .

وان اكتساب البنيات المعرفية Acquisition of Cognitive Structures مثل اكتساب العادات Acquisition of habits خاضع لقوانين يدرك الباحث بسهولة أن العربى استفاد منها بفطرته وأن علماء العربية القدماء توصلوا الى معرفتها وان لم ينصو عليها فقد استفادوا منها واثرها فى مصنفاتهم :

ومن أمثلة ذلك :

قانون العناصر السائدة : Law of Prepetency

ومفاده أن الفرد قادر على أن ينتقى العنصر الهام فى الموقف وأن يوجه استجابته اليه .. وهنا تكمن القدرة على معالجة أجزاء الموقف الهامة ....

وكذلك قانون الاستجابة بالمماثلة Law of Assimilation or Analogy

ومفاده أن الانسان يستجيب للمواقف الجديدة على أساس خبرته فى المواقف المماثلة .

وكذلك قانون نقل الارتباط Law of Associative Shifting

وقانون الانتماء Law of Belongingness فاذا انتمت الاستجابة الى الموقف سهل تعلم الارتباط وتكون الآثار اللاحقة للارتباط أقوى تاثيرا اذا انتمت الى الارتباط الذى تقوية .... ففى مجال المفردات الكلمة تبحث عما يرتبط بها .... مثلا البدل عن المبدل منه ـ الصفة عن الموصوف ـ المبتدأ عن الخبر ـ الجار عن المجرور ...

وكذلك قانون التجمع ومفاده أنهيسهل على الارتباطات ان تسلك الاتجاه الذى تكونت فيه أو سلكته من قبل

ومثله قانون التعرف Recognition فالعناصر التى يتعرف عليهـــا الانسان فى موقف يسهل عليه التعرف عليها وادراكها نتيجة لخبراته السابقة

وكذلك قانون اليسر : فيسر الاستجابة تسهل تكوين الارتباطات ـ ويمكن ضبط تكوين الارتباطات ضبطا علميا متى أمكن تمييز الموقف والتعرف عليه

ويقارن ثورندايك بين الحالات العقلية وبين التعود البسيط فمثــلا اذا قلنا كلمة لشخص واستجاب لنا بكلمة مباشرة فقد ينظر الى هذه على أنها عادة بسيطة أما اذا استجاب لنا بكلمة غير مباشرة فقد تدل هذه الاستجابة على حالة عقلية خاصة ..

وتميل تجارب تورندايك حول هذه النقطة الى أن تبين أن الغالبية من الارتبطات التى نحصل عليها عن طريق التداعى الطليق تبدو صادرة عن حالات عقلية .

ولا يكفى فى تفسيرها أن تقول ارتباطات بين مثير واستجابة ..

وهكذا نخلص من العرض التحليلى التطبيقى لاعمال علماء العـــربية القدماء بحقائق من أهمها :

انهم كانوا روادا وان مباحثهم اصطبغت بالعمـــق والاصـــالة وان اللغة بالنسبة لهم كانت كالهواء الذى يتنسون والماء الذى يشربون فقــد جرت فى دمائهم وتمثلوها فى عقولهم وعروقهم وانهم فقهوها كاعمق مايكــون فقــه اللغة وبنوا على فقههم لها نظريات هى اليوم من احدث ماوصل اليه اللغويون وكل ما قدموا من اعمال يكمن وراء كل عمل بعد لظاهرة لغوية يمثــل نظريـــة تكشف عن خاصة من خصائص العربية وتسهم فى اثراء علم اللغة من ناحية أخرى ـ ولا سيما ماجاء فى كتاب الخصائص لابن جنى فقد خبىء داخل صفحات هذا الكتاب كنوز من المعرفة اللغوية الرائدة والتى ستبقى لهـــا الريادة والاصالة والسبق فى كل عصور التقدم العلمى اللغوى لذا أكرر الدعوة التى سطرتها فى خاتمة هذا الكتاب وهى الدعوة الى الدراسة المتانية لمـــا أشتمل عليه كتاب الخصائص لابن جنى وكذلك دراسة غيره من النفائس اللغوية التى انتجها العقل الواعى المخلص من اسلاف هذه الامة ، والحمـد لله رب العالمين ـ

الخاتمــــــة

أمران اثنان صفوة ماانتهى اليه هذا البحث وخلاصته

أولهما : نظريات لغوية وحقائق علمية عند أسلافنا كشف عنها من خــلال معايشة التراث ومعاناته :

وثانيهما : مايقدمه من توصيات ويراه من مقترحات ..

وأما بخصوص الأمر الأول ، فان أبرز الحقائق العلمية ماكشف عنــــه اسلافنا من نظريات لغوية وتوصلوا اليه من حقائق علمية هى اليوم عنـــد الغربيين من أحدث ماانتهى اليه الدرس اللغوى فى هذا الصدد ..

ومن ذلك على سبيل التمثيل :

● نظريــــة الفــــونيم Phoneme فان أصول هــذه النظرية وأسسها فى تراثنا وهى فيه ذات أبعاد ومراحل ومستويات لم يتوصل الغربيون حتى اليوم اليها بل أن البحث قد توقف بهم عند المرحلة الأولى منها فقط ، وهى تلك المرحلة التى تختص بدراسة الوحدة اللغوية الصوتية الصغرى التى يتغير بموجب تغيرها معنى الكلمة عن بقية معانى الكلمات الأخرى التى اشتركت معها فى كل مكونات البنية واختلفت فى هذه الوحدة الصغرى فقط ... حقا قد توصلت الدراسة اليوم الى تفريعات لها من العمق والدقة ماجعل النظرية تقوم على أسس ومبادىء تشهد بعمق الفكر اللغوى الحديث وحصافته .

وان عدم توصل الدراسات اللغوية الحديثة الى بقية المراحل والمستويات الخاصة بهذه النظريات على نحو ماهو موجود عند اسلافنا فى التراث راجــع الى انبثاق هذه النظرية عن اللغة العربية وارتباطها بخصائصهما .. على نحو ماظهر ذلك من دراسة باب فى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى من كتاب الخصائص لابن جنى ، فقد تبين منه أن هذه النظرية عنـد ابن جنى ذات مراحل ومستويات .

المرحلة الأولى : هى مرحلة الوحدة الصوتية الصغرى Unit التى بموجب تغيرها يتغير معنى الكلمة عن معنى غيرها من الكلمات التى اتحدت معها فى كل المكونات وهى التى سبقت الاشارة اليها .. وقد تأتى هذه الوحدة المغيرة فى البداية وقد تكون فى الوسط وقد يكون موقعها فى النهاية فيتغير بموجب تغيرها المعنى ..

وعند هذا المستوى أمدت خصائص العربية ابن جنى بنظرات استفاد منها بقوانين متنوعة على جانب كبير من الأهمية أفرزتها دراسته المتمعنة فى العربية وان لم يذكر اسم هذه القوانين صراحة أو ينص عليها ..

ومن هذه القوانين على سبيل التمثيل قانون التشابه Low of Similarity وقانون التقارب Law of Proximity وقانون التبعية Low of Belongingness فتوظيف هذه القوانين فى العربية عند هذا المستوى من مستويات تلك النظرية يكشف عن سيكلوجية الناطقين بالعربية وعبقرية العربية فى استجابتها لهذه السيكلوجية .. / وهذا ماكشفت عنه دراسة ابن جنى فى فهم تام للغة ومعايشة كاملة لها .

وأمدت خصائص العربية هذه النظرية بمرحلة ثانية تختص بدراسة وحدتين صوتيتين يتغير بموجب تغيرهما معنى الكلمة عن بقية الكلمات التى اتحدت معها فى وحدة واحدة من وحدات البنية واختلفت فى هاتين الوحدتين على أن يكون بين هاتين الوحدتين المغيرتين المختلفتين تقارب فى الخصائص الصوتية أو المخرج أو الصفات أو غير ذلك مما تودى بناء عليه القوانين السابقة دورها الوظيفى فى التقريب بين دلالات تلك الكلمات وهو ماأسماه ابن جنى « تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى » ـ وكذلك عند المرحلة الثالثة حيث تؤدى هذه القوانين وظائفها ويظل التقارب بين الحروف فى الخصائص والصفات الصوتية أو فى المخرج يقرب بينها فى الدلالات على الرغم من كون الوحدات الصوتية الصغرى كلها وحدات مختلفة مغيرة للمعنى ـ وتعد هذه من خصائص العربية المميزة لها لذا لم تصل الدراسات اللغوية عند الغربيين فى هذه النظرية الى هذه المراحل .. وقد يحدث أن تتوصل لها فى يوم ما وعندها يظل للدراسة اللغوية العربية دورها الريادى

كما قدم باب السلب عند ابن جنى بعدا خاصا باللغة العربية داخل هذه النظرية أيضا « نظرية الفونيم » لم تتوصل له الدراسة لدى المحدثين حتى الآن

وخلاصته ان زيادة تطرأ على الكلمة فتكسبها معنى مضادا لما عليه معانى أصل المادة ٠٠ وقد تكون هذه الزيادة (الوحدة الصوتية الزائدة) حرفا أو تضعيفا أو حركة قصيرة قد تطول مثلا ٠٠٠ / ٠٠٠ فيتحول المعنى بواحدة من هذه مثلا الى المعنى المضاد ـ وأطلق على هذه اسم ظاهرة السلب من قبل أن السلب معنى حادث على اثبات الاصل الذى هو الايجاب ـ ويعلل لذلك بقوله ، « فلما كان السلب معنى زائدا حادثا لاق به من الفعل ماكان ذا زيادة من حيث كانت الزيادة حادثة طارئة على الأصل الذى هو الفاء والعين واللام ـ فالسلب تحدثه عنده وحدات لغوية تزاد على الكلمة فتكسبها معنى مضادا • فتلاقت هذه الوظيفة مع وظيفة الفونيم ـ فكما أن وظيفة الفونيم التمييز بين الكلمات واعطاؤها فيما لغوية مختلفة أهمها القيمة الدلالية وقد تكون لها قيمة صرفية أو نحوية ـ فان وظيفة السلب اعطاء قيمة دلالية للكلمة ـ وهى قيمة الضدية •

فهذا الباب عند ابن جنى لصيق بنظرية الفونيم لأن الذى تحدثه أنواع من الوحدات اللغوية الصغرى على اختلاف أنواعها مابين حرف أو صوت أو زيادة فى الكمية بتضعيف الصحيح أو اطالة حركة (العلة) أو صفات صوتية أخرى ٠٠ /٠٠

ومن خلال دراسة ابن جنى لهذا الباب وضع بين أيدينا منهجا وقدم نماذج تحتذى فى الدرس اللغوى فضلا عن أنه كشف خاصة من خصائص اللغة تسهم فى النظرية اللغوية العامة ٠٠ / ٠٠

أما عند باب تلاقى المعانى على اختلاف الاصول والمبانى فقد قدم أبن جنى فى وعى علمى نظريات تثبت استفادته من معايشة البيئة اللغوية زمانيا ومكانيا فى احاطة واعية بسكلوجية العربية والمتحدثين بها ٠٠ / ٠٠ فمن خلال ظاهرة الترادف ومايتصل بها أعطى فى نظرات بارعة أبعادا

جديدة نحن اليوم فى حاجة الى متابعتها لاسيما وقد تباعد العهد بيننا وبين الناطقين الأولين للغة العربية وتغيرت البيئة اجتماعيا وحضاريا وتغيرت معها المدلولات وارتبطت بمفهومات جديدة مستقلة عما انبثقت عنه ..

ويرى ابن جنى أن هذا الباب وباب الاشتقاق عنده (الصغير والكبير) متكاملان غير ان هذا الباب اهم من صاحبه وهو على حد عبارته اشـــرف الصنعتين وأعلى المآخذين .

وقد اتضح من خلال دراسة هذا الباب عند ابن جنى أنه تتبع فى وعى وبصيرة مرحلة وضع الصياغة ومرحلة الكشف عنها واعتبر ان هذا العمـــل وما يتصل به هو فقه اللغة ويجب أن تشخذهم البـــاحثين من أجله وان الكشف عن جانب المشابهة والمطابقة من خلال الرمز الصوتى الخاص بالنظام اللغوى هو من أهم مايجب أن يشغل بال اللغوى ... / ...

فقد تتبع فى هذا الباب عملية وضع الصياغة والكشف عنها طبقا لنظام الرموز المتعارف عليها فى اللغة العربية .. وعرضه من خلال فهمه التام لتعامل العربى مع المدركات الحسية والمعنوية التى يعايشها .. وهكذا استطاع أن يبين فى وعى كيف أن بنية اللغة تقوم على بنية الوجود المحيط بها وعلى بنية الفكر البشرى المستعمل لها ..

وتستوعب نظريته فى هذا مايراه المحدثون من نظريات خاصة بالحالة العقلية للكلام ووظائفه من حيث الرمز والمحتوى العقلى والشىء نفسه مع مايتصل بذلك من مراحل وينبثق عنها سواء مرحلة الوضع أو النقل أو التداول أو الشيوع او الاضمحلال أو التطور ... الخ .

وعلى الادراك الحى للغة المنطوقة ... أو على تفسير الرموز الصوتية ... ويتضح عند ابن جنى أن الكلمة تدل على الفكرة أى على المدلول النفسى الذاتى وعلى الشىء المحسوس الواقعى فى الخارج وأن المعنى الداخلى يشير الى مقابل خارجى فى الحياة الواقعية وأن المعنى الخارجى يحدد دائرة الكلمة المستعملة ....

ويفهم من عمل ابن جنى أنه يميز بين العناصر المكونة للمعنى سواء عنصر المدلول وهو المقابل للكلمة فى عالم الواقع ماديا كان أو معنويا ـ وكذلك عنصر الانفعال الوجدانى وهو شعور المتكلم نحو الشىء وكذلك العنصر المنبثق عن السابقين ٠٠٠ وعنصر القصد ٠٠٠ الخ ٠

ومن عباراته أن الاصول مختلفة والامثلة متقاربة والمعانى من ذينك متلاقية ٠٠ فالاصول مختلفة باختلاف الاشياء المأخوذة عنها ـ والأمثلة متقاربة لأن رموزها الصوتية تؤدى وظائف متحدة أو متقاربة والمعانى متلاقية عن طريق الربط الذهنى والمحتوى العقلى ٠٠ / ٠٠

أما مايتصل بنظرية ابن جنى وراء الاشتقاق بنوعية (الصغير والكبير) فان ابن جنى يعرض من خلال هذا الباب كشفا ويقدم منهجا يحدد أبعاد الاشتقاق ووظيفته سواء على مستوى الصيغ أو مستوى الدلالة ويبين أمكانية الاستفادة منه وأبعاد منفعته ـ ويقول عنه أنه يرفدك عند الحاجة ـ وأنك تستطيع أن تسترفده فى بعض الحاجة اليه فيعينك ويأخذ بيدك فوراء فكرة الاشتقاق عند ابن جنى نظرية منبثقة هى الاخرى عن خصائص العربية ولايقف عند الحد الذى يعرفه اللغويون المحدثون بالايتمولوجى Etymology ووظيفته فى ذلك ٠

كما أن ابن جنى سبق المحدثين وهو بصدد دراسة هذا الباب عندما استخدم الاحصاء فجعل الاحصاء من أركان دراسة الظواهر اللغوية فبين أن الحكم على الظاهرة اللغوية يكون من خلال تتبعها وعمل الاحصائية اللازمة بها وبيـان ثمرة دراستها ٠٠

كما بينت أيضا أن العربية تتفرد بخصائص بين اللغات ـ ومن هنا وجب على الدارسين اللغويين المحدثين الا يكتفوا بتطبيق النظريات اللغوية الحديثة على العربية وانما يجب التعمق فيما تتفرد به العربية من خصائص داخل هذه النظريات

وقدم ابن جنى كذلك فى ضوء البحث التحليلى التطبيقى الذى عرض له القسم الثانى من هذا الكتاب نظرية لغوية عامة وقد اعانه على صياغتها والتمثيل لها ورسم حدودها الطبيعة التصريفية الاعرابية للغة العربية وذلك

من خلال باب فى اساس الالفاظ أشباه المعانى ـ وباب فى قوة اللفظ لقوة المعنى.
ـ فقد قدم نظرية البنيات الشكلية التى تنطوى على دلالات معنوية وقد احتذى
ابن جنى سمت ماحده الخليل وسيبويه فى ذلك ومنهاج مامثلا فابرز الـدور
الوظيفى الذى يمكن أن تؤديه البنيات الشكليه القابلة لان تصب أى مادة
لغوية داخلها فتتشكل على هيئتها ـ فمثلا المصادر الرباعية المضعفة توضع فى
أى مادة داخل بنيتها تفيد تكرير مادة البنية ـ كما أن وزن الفعلى فى المصادر
والصفات كقالب شكلى معين تصب داخلة المادة فتفيد السرعة ـ فهو يعطيك
صيغا شكلية قابلة لأن تستجيب لأى أصل وليست وقفا على أصل واحد لمادة
واحدة .. وقدم فى ضوء هذه النظرية عشرة نماذج للغة العربية فى باب اساس
الألفاظ اشباه المعانى وبذلك أوضح معالم منهج ورسم طريقا يحتذى فى البحث
العلمى له نماذجه وأمثلته منها مايتصل بالصنعة أى التصريف واشتقاق الصيغ
ومينا مايتصل بالدلالة والمعنى ـ وميز الطريقين الصنعة وطريق المعنى ـ وترك
منيجا واضح المعالم أو على حـد عبارته « فهذا طريق المثـل واحتياطاتهم فيها
بالصنعة ودلالاتهم على الارادة والبغية » .

وفى باب قوة اللفظ لقوة المعنى ابرز بعداً آخر من ابعـاد هذه النظرية
وأعطى أمثلة لنماذج أخرى متعددة داخل أنواع أخرى من الصيغ الشكلية
التى يتغير بموجبها معنى أى مادة توضع بداخلها ـ وتشير عبارته الآتية
الى أحد أبعاد هذا الباب وان لم تغن عما جاء بخصوصه من دراسة وتحليل
يقول : فاذا كانت الاوزان أدلة المعانى ثم زيد فيها شىء أو جبت القسمة له
زيادة المعنى به ، وكذلك أن انحرف به عن سمته وهديته كان ذلك دليلا على
حادث متجدد له وأكثر ذلك أن يكون ماحدث له زائدا فيه لامنتقصا منه ـ

ويعتبرا ابن جنى رائدا فى القوالب اللغوية العامة والبنيات الشكلية التى
تستجيب لها الدلالة وتتغير بمقتضاها المعانى ـ من خلال صيغ صرفية ذات
أوزان صالحة لأن تستجيب لمـا تتضمنه من معان .

ويعدم ابن حنى مايعرف اليوم فى علم اللغة باسم نظرية La morphonologie ou la morpho-phonologie ومكنتة العربية بطبيعتها التصريفية الاعرابية
على صياغتها والتمثيل لها واعطاء للنماذج المتعددة لكل بعد من أبعادها .

ومن خلال النماذج التطبيقية التحليلية التى جاءت من كتاب فقة اللغة للثعالبى كشفت عن نظريات لغوية تعليمية ، أى أسهمت فى النظرية التعليمية اللغوية وكشفت عن قوانين علمية يستفيد منها المتخصصون اليوم فى هذا المجال ..

وثبت كذلك أن استخدام كلمة فقة اللغة عند علماء العربية على نحو ماجاء فى التراث على قلتها لها دلالة عميقة ذات طابع تنظيرى لايقدم عليه الا من وصل الى مرحلة أعلى من مرحلة حفظ اللغة أو جمعها أو التأليف فيها .

أنها أعلى مرحلة فى الدراسة اللغوية أنها المرحلة التى يثق فيها اللغوى بأن لديه المقدرة على أن يغوص فى أعماق اللغة وفيما هو أبعد ليقدم نظريات تكشف عن أغوار وابعاد عميقة فى اللغة غير بادية للمتخصص العادى - أو يقدم نظريات تسهل امتلاك زمام اللغة ومعرفة دخائلها واسرارها على نحو مايتضح ذلك من النص الذى جاء من خلاله عبارة فقة اللغة عند ابن جنى ، ومن كتاب الصاحبى فى فقة اللغة لابن فارس ، ومن كتاب فقة اللغة وسر العربية للثعالبى ، وتلك هى الكتب التى تعرضت لهذا المصطلح وكشفت عن دلالته لديها ...

وخرجت هذه الحقائق من خلال البناء الذى جاء عليه الكتاب على النحو القائم حيث قدم القسم الاول من الكتاب العرض العام لقضية الرمزية وما اتصل بها فقد عرض عرضا عاما لطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول منذ عصر اليونان وما اتصل به - ثم عرض بعد ذلك للقضية فى الفكر الغربى المحدث ومساراتها وماانتهت اليه ثم عرض القضية بعد ذلك فى الفكر العربى الاسلامى فى القديم والحديث وناقش من خلال هذا العرض ماعن لنا من قضايا وما أثير بخصوصها من آراء على المستوى اللغوى والفلسفى .

وانتهى الى مقترحات وتوصيات من أهمها :

- وجوب اتباع المناهج العلمية فى الدراسة فقد قدم علماؤنا الأوائل أعمالهم من خلال مناهج علمية تسير على أسس صحيحة ضمنت لهم الوصول الى حقائق ونتائج خلدت عبر الزمن ومن أسف أننا مازلنا نجد كثيرين من المحدثين بيننا لايتبعون المناهج العلمية فيجب على بعض المعاصرين من

علمائنا البعد عن الجانب العاطفى والتخفيف من حدة الانفعال فى مجال البحث العلمى فانه بالرغم من الانطباع الذى يتركه مثل هذا على القارىء والذى بسببه تصنيع هيبة الباحث ووقت القارىء وجهده فانه يضيع بسببه كذلك الطريق الصحيح فى البحث وتتوه الحقائق على الباحث نفسه ‥ وتجعلنا نظهر أمام الآخرين فى صورة المصوبين المتعصبين وأخطر ما فى ذلك كله أننا نضيع جهد السلف وهذا هو غاية مايرجوه اعداؤنا ٠

ـ ومن أهم مانوصى به دراسة ماجاء فى كتاب الخصائص لابن جنى دراسة واعية متأنية يبذل فى سبيلها الجهد والوقت فالذى اشتمل عليه هذا السفر الجليل يرخص فى سبيلة كل جهد ومال ووقت فقد خبئت فيه كنوز من النظريات اللغوية تكفل لنا التقدم فى هذا الحقل لعدة أجيال وتحفظ لنا الريادة وأن مافيها من عمق وأصالة يصنع أسسا متينة لاقامة دراسة لغوية تخدم علم اللغة العام وعلم اللغة النفسى وعلم فلسفة اللغة فهذا السفر منبع أصيل للدراسة اللغوية الحديثة ولانظريات تضمن لنا الريادة فى مجال التقدم العلمى ‥

وفوق كل هذا فانه من خلال نظريات هذا الكتاب يتم الربط الوثيق بمنابع اللغة العربية وبيئتها الأولى وخصائصها المميزة التى من خلالها تتكشف عبقرية اللغة العربية التى تكشف عن عظمة الاعجاز اللغوى فى القرآن الكريم وهو مايهون فى سبيلة كل غال ‥

ونوصى كذلك بدراسة ماجاء فى كتاب فقة اللغة وسر العربية للثعالبى واستنباط كل مااحتوى عليه من نظريات تعليمية وحقائق علمية والاستنادة من المادة التى اشتمل عليها وتسخيرها ليتم النفع بها وتقديمها فى ثوب مفيد نافع لاجيال الامة الحاضرة والمقبلة ـ

وكذلك الاستفادة بما جاء فى كتاب الصاحبى فى فقة اللغة لابن فارس فقد اشتمل هذا الكتاب على نظريات لغوية ذات نفع وأهمية وأبناء الأمة وأجيالها فى المستقبل فى حاجة لها ولان يقدم لهم فى ثوب يسهل عليهم تناولها

والاستفادة منها فما أحرانا الى أن نهتم بتثقيف أبنــاء امتنا الثقافة الأصيلة التى تعينهم على مواجهة تلك التيــارات الثقافية المختلفة الوافــدة عليهم والعاصفة بهم من كل جانب ..

ونوصى بالاضافة لمــا سبق باحياء تراث ابن فارس ولاسيما كتابه مقاييس اللغة ومجمل اللغة فما أحوجنا الى دراسات لغوية تتام حول كل واحد منهما نحيي من خلالها فى العربية أعظم ماالشتملت عليه ونقدم النفع لنا ولها ونحيى فى الامة تراثها ونعمق فى ابنائها الاصالة ونجعلهم على ذكر دائم بكنوز العربية وعاء القرآن فيعم النفع وتتعمق الصلة ويروج الاستعمال اللغوى الأصيل وتتفتح معانى القرآن فى النفوس والاذهان فيصلح آخــر الأمة بما صلح أولها -

ولله الحمد فى الأولى والآخر وهو حسبى

عليه توكلت واليه أنيب



من مراجــع الكتاب ومصـــادره

أولا : المراجع العربية : ـ

١ ـ ابراهيم أنيس (الدكتــور) ٠

ـ من اسرار اللغة ـ مكتبة الانجلو المصرية ٠

ـ فى اللهجات العربية ـ مكتبة الانجلو المصرية ٠

ـ دلالة الألفاظ ٠

ـ الأصوات اللغوية ـ مكتبة الانجلو المصرية ٠

٢ ـ **ابن الأثير** (ضياء الدين محمود بن محمد عبد الكريم الشيبانى) : المثــل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ٠ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ٠ مطبعة البابى الحلبى مصر ١٣٥٨ هـ ٠

٣ ـ ابن جنى (أبو الفتح عثمان)

ـ الخصائص (ثلاثة أجزاء تحقيق محمد على النجار دار الكتب المصرية ١٩٥٢ / ١٩٥٧ ـط ٢ دار الهدى للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان ٠

ـ سر صناعة الاعراب : تحقيق مصطفى السقا ـ ومحمد الزفزاف وابراهيم مصطفى وعبد الله أمين ط ١ دار نشر ادارة الثقافة العامة بوزارة المعارف ـ دائرة أحياء التراث القديم ـ مصطفى البابى الحلبى بمصر ح ١ ١٣٧٤ / هـ ١٩٥٤ م ٠

ـ الاحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها تحقيق : على النجدى ناصف ، د٠ عبد الفتاح شلبى ٠٠ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ القاهرة ١٣٩٨ ٠

٤ ـ ابن فارس (أبو الحسن أحمد : ت ٣٩٥ هـ) ٠

ـ الصاحبى فى فقة اللغة وسنن العرب فى كلامها (بيروت لبنان ١٩٦٤ م)،
ـ مجمل اللغة ـ دراسة وتحقيق : زهير عبد المحسن سلطان (ط ١ ـ ببيروت ـ ١٩٨٣) ٠

ـ مقاييس اللغة ـ تحقيق الأستاذ عبــد السلام هارون ـ ط دار الكتب العربية (عيسى الحلبى ١٣٨٦ هـ) ٠

ـ مجمل اللغة ـ دراسة وتحقيق : زهير عبد المحسن سلطان (١ ـ بيروت ـ ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ٠

٥ ـ ابن دريد (محمد بن الحسن) ٠
ـ جمهرة اللغــة ٠

٦ ـ ابن سيدة (أبو الحسن على بن اسماعيل) ٠
ـ المحكم فى اللغة ـ المطبعة الاميرية بالقاهرة ـ
ـ المخصص ط بولاق ١٣١٦ هـ / ١٣٢١ هـ ٠

٧ ـ أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر (سيبوبة) ت ١٨٠ هـ تقريبا ٠
ـ الكتاب ـ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ٠،
٨ ـ أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادى المتوفى سنة ٥١٧ هـ : قانون البلاغة ـ فى نقد النثر والشعر تحقيق د٠ محسن عجيل مؤسسة الرسالة ٠

٩ ـ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقى المصرى) ٠
ـ لســان العــرب ٠

ـ التنبيه والايضاح ـ المعروف بحواشى ابن برى على الصحاح الاصل الخامس من أصول اللسان ـ نشر مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠ ـ تحقيق الاستاذ مصطفى حجازى ـ ومراجعة الاستاذ على النجدى ناصف ٠

١٠ ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد) المقدمة تحقيق د٠ على عبد الواحد واق ط ١ لجنة البيان العربى ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م ٠

١١ ـ ابن مجـاهد ٠

ـ كتاب السـبعة فى القـراءات ـ تحقيق ٠ د٠ شوقى ضيف نشر دار المعـارف بمصر ١٩٧٢ ٠

١٢ ـ ابن هاشم (أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصارى) ٠

ـ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ـ الطبعة الاولى ٠

ـ وطبعة ثانية ـ حققه فيها وفصله وضبط غرائبه ـ الأستاذ محمد محى الدين عبد الحميد ـ جزءان ـ القاهرة ٠

١٣ ـ أبو الحسن الهنائى ـ ت ٣١٠ هـ ٠

ـ المنجد فى اللغة ٠ أقدم معجم شامل للمشترك اللفظى ـ تحقيق د٠ احمد مختار عمر ـ ود٠ ضاحى عبد الباقى ٠

١٤ ـ ابن الجزرى (شمس الدين محمد بن محمـد) ٠

ـ النشر فى القراءات العشر ـ المكتبة التجارية ٠

١٥ ـ أبو الحيـان التوحيـدى ٠

ـ الامتـاع والمؤانسة ٠

ـ المقابسات

١٦ ـ أبو هلال العسكرى : الفروق فى اللغة ـ دار الآفاق الجديدة بيروت ط ٤ ١٤٠٠ / ١٩٨٠ م

١٧ ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف ـ الخوارزمى

ـ كتاب مفاتيح العلوم ـ تحقيق فان فولتن بريل ١٩٨٥ م ٠

١٨ ـ أبو منصور عبد الله بن محمد بن اسماعيل (الثعالبى) ٠

ـ فقه اللغة وأسرار العربية ـ ط الحلبى بمصر ١٣١٨ هـ ٠

ـ فقه اللغة وسر العربية للامام أبى منصور اسماعيل النيسابورى ٤٢٩ هـ تحقيق مصطفى السقا ، وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى ط ١٣٩٢هـ ١٩٧٢ م ٠

ـ فقة اللغة العربية للامام ابى منصــور اسماعيل النيسابورى ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م غير محدد الناشر ولا سنة النشر ٠

ـ سحر البلاغة وسر البراعة ٠

٢٠ ـ **أبو منصور موهوب بن أحمد (الجواليقى)** ٠

ـ المعرب من الكلام الاعجمى ـ طبع دار الكتب المصرية ـ الاستاذ أحمــد محمــد شاكر ٠

٢١ ـ **أبو الطيب اللغوى ، عبد الواحد بن على الحلبى** : الإضداد فى كلام العرب تحقيق د٠ عزة حسن ٠ دمشق مطبوعات المجمع العلمى العربى ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ٠

٢٢ ـ **أبو القاسم محمود (الزمخشرى)** ٠

ـ أساس البلاغة ـ طبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٣٤١ هـ ٠

٢٣ ـ أ٠أ ٠ أيفانز ـ بريتشارد : الأنثروبولوجية الاجتماعية ـ علم الانسان الاجتمــاعى ٠ ترجمة ٠ د٠ أحمــد أبو زيد الخشاب ـ منشــاة المعــارف الاسكندرية ١٩٦٠ ٠

٢٤ ـ **الأزهرى ـ محمد بن أحمد بن الأزهرى** ٠

ـ تهــذيب اللغــة ٠

٢٥ ـ **أحمد أبو زيد (الدكتور)** البناء الاجتماعى ـ مدخل لدراسة المجتمع ـ الجزء الأول (المفهومات) الدار القومية ١٩٦٥ ٠

٢٦ ـ **أحمد الخشاب (الدكتور)** : التفكير الاجتماعى ٠ دراسات تكاملية فى النظرية الاجتماعية ـ النهضة المصرية ١٩٧٠ ٠

دراسات انثروبولوجية ـ وأنثوجرافية ـ الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٥٩

٢٧ ـ أحمد مختار عمر (الدكتور) ٠

ـ أسس علم اللغة لماريو باى ـ ترجمة ٠

٢٨ ـ أحمد فارس الشدياق : سر الليال فى القلب والابدال ـ المطبعة السلطانية ـ الأستانة ١٢٨٤ هـ ٠

ـ الساق على الساق فيما هو الفارياق ، المكتبة التجارية : مطبعة الفنون الوطنية ـ مصر ٠

٢٩ ـ الاصمعى (عبد الملك بن قريب) ٠

ـ رسائله فى طوائف خاصة من الألفاظ والمعانى ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٤٥ م ٠

٣٠ ـ البغدادى ـ عبد القادر بن عمر البغدادى (١٠٣٠ ـ ١٠٩٣) ٠

ـ خزانة الأدب ـ تحقيق الاستاذ عبد السلام محمد هارون ٠

٣١ ـ الاسكافى (محمد بن عبد الله) ٠

ـ مبادىء اللغة ٠

٣٢ ـ التهانوى ـ محمد على بن على ٠

ـ كشاف اصطلاحات الفنون ٠

٣٣ ـ الزبيدى ـ السيد محمد مرتضى الحسينى ٠

تاج العروس فى شرح القاموس سنة ١٣٠٧ هـ المطبعة الخيرية ٠

٣٤ ـ الجوهرى اسماعيل بن حماد ٠

ـ الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربية ٠٠

٣٥ ـ حنفى بن عيسى (الدكتور) محاضرات فى علم النفس اللغـوى ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ٠

٣٦ ـ الخفاجى شهاب الدين أحمد بن محمـد ٠

ـ شفاء الطليل فيما ورد فى كلام العرب من الدخيل ٠

٣٧ ـ الخليل بن أحمد (الخليل) ٠

ـ العـــين ٠

الجزء الأول حققه وقدم له الدكتور عبد الله درويش ٠

ـ الاجزاء الثانى والثالث والرابع والخامس والسادسو السابع تحقيـق د٠ مهدى المخزومى ، ود٠ ابراعيم السامرائى ٠

٣٨ ـ أنور محمد الشرقاوى (الدكتور)سيكلوجية التعلم ٠٠ أبحاث ودراسات دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٨ م ٠

٣٩ ـ السيوطى جلال الدين عبد الرحمن ٠

ـ الاتقان فى علوم القرآن ـ مطبعة حجازى بالقاهرة ١٩٦٨ ٠

ـ الاقتراح فى أصول النحـــو ٠

ـ همع الهوامع مع شرح جمع الجوامع فى علم العربية ٠

ـ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ـ تحقيـــق احمـد جاد المولى وآخريـن. دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٨ ٠

٤٠ ـ العسكرى أبو هلال بن عبد الله بن سهل ٠

ـ المعجم فى بقية الأشياء ٠

ـ الصناعتين ، تعليق محمد أمين الخانجى ط ٢ طبعة محمد على صبيح ٠

٤١ ـ الفيروز بادى ٠

ـ القاوس المحيط ٠

٤٣ ـ المبرد ـ أبو العباس محمد بن يزيد .

المقتضب ـ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة .

المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٦٣ / ١٩٦٨ م .

٤٤ ـ البدراوى زهران (الدكتور) .

ـ مقدمة فى علوم اللغة ـ نشر دار المعارف بمصر ١٩٨١ .

ـ عالم اللغة عبد القاهر الجرجانى المفتن فى العربية ونحوها دار المعارف بمصر .

ـ من مصنفات الثروة اللفظية ـ كتاب ألفاظ الاشباه والنظائر لعبد الرحمن بن عيسى الهذانى ـ نسخة عبد الرحمن الانبارى ـ ط ٢ نشر دار المعارف بمصر حققه وعلق عليه وقدم له .

٤٥ ـ البستانى ـ المعلم بطرس .

ـ محيط المحيط ـ جزءان ـ بيروت ١٨٦٧ / ١٨٧٠ م

٤٦ ـ تمام حسان (الدكتور) .

ـ اللغة العربية معناها ومبناها .

ـ اللغة فى المجتمع تاليف . م . م ـ لويس ترجمة د. تمام حسان ـ مراجعة د. ابراهيم أنيس ـ دار احياء الكتب المصرية عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٩٥٩ م .

٤٧ ـ حسن شحاتة سعفان (الدكتور) :

الموجز فى تاريخ الحضارة والثقافة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ م .

٤٨ ـ حسن عون (الدكتور) .

ـ اللغة والنحو ـ دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة ط اولى سنة ١٩٥٢ .

٤٩ ـ حسن ظاظا (الدكتور) ٠

ـ اللسان والانسان ـ الاسكندرية مطبعة المصرى ١٩٧١ م ٠

ـ كلام العرب ـ من قضايا اللغة العربية ١٩٧١ م ٠

٥٠ ـ جميل صليبا (الدكتور) : علم النفس ـ دار الكتاب اللبنانى بيروت ـ دار الكتاب المصرى القاهرة ٠

٥١ ـ حسين نصار (الدكتور) ٠

ـ المعجم اعربى نشاته وتطوره جزءان ـ مكتبة مصر ٠

ـ معجم تيمور ـ اعداده وتحقيقة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

٥٢ ـ جابر عبد الحميد جابر (الدكتور)

ـ سيكلوجية التعلم ـ ونظريات التعليم ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ٠

٥٣ ـ صالح الشماع (الدكتور) :

ـ ارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد الى السادسة تقديم د٠ يوسف مراد ـ دار المعارف بمصر ٠

٥٤ ـ رمضان عبد التواب (الدكتور) ٠

ـ اللغات السامية ـ ترجمه عن الالمانية ـ تخطيط عام للمستشرقين الألمانى **الكبير تيودور نولدكة ـ دار النهضة العربية بالقاهرة ٠**

ـ فصول فى فقه اللغة العربية ٠

٥٥ ـ يوهان فـك (Johan Fuck)

العربية ـ دراسات فى اللغة (اللهجات والاساليب) ٠

ترجمة دكتور رمضان عبد التواب ٠

٥٦ ـ رمزية الغريب (الدكتورة) : التعلم دراسة نفسية ـ تفسيرية ـ توجيهية الانجلو المصرية ٠

٥٧ ـ صبحى الصالح (الدكتور) ٠

دراسات فى فقه اللغة ٠

٥٨ ـ **عبد الحميد الدواخلي ـ محمد القصاص (الدكتور)** •
اللغـة ـ تاليف فندريس ـ القـاهرة ـ مكتبة الأنجـلو المصرية ١٩٥٠ ترجماه وقدما له ـ (مطبعة لجنة البيان)

٥٩ ـ **عبد الرحمن أيوب (الدكتـور)** •
أصوات اللغـة ط أولى ـ ١٩٦٣ ـ مطبعة دار التاليف على بن يعقوب بالمالية بمصر •

ـ اللغة بين الفرد والمجتمع ـ تاليف أوتويسبرسن ـ ترجمة بتصرف وعلق عليه ـ مكتبة الانجلو المصرية •

٦٠ ـ عائشة عبد الرحمن (الدكتورة بنت الشاطىء) •
ـ لغتنا والحياة ـ دار المعارف بمصر •

٦١ ـ **ستيـورات ه هولس ـ و ـ هـواردجث ـ و جميـس ديـزة : سيكلوجية** التعلم ـ دار ماكجروهيل للنشر ـ السعودية ـ الرياض •

٦٢ ـ **عبد الصبور شاهين (الدكتور)**
القراءات القرآنية ـ فى ضوء علم اللغة الحديث ـ دار الكاتب العربى
ـ بالقاهرة دراسات لغوية ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م
ـ فى التطور اللغوى ـ المطبعة العالمية بالقاهرة
ـ فى علم اللغة العام ـ مطبعة المدنى العباسية ـ

٦٣ ـ **عبد السميع محمد أحمد** (الدكتور)
المعاجم العربية دراسة تحليلية .

٦٤ ـ **عبد الكريم مجاهد** (الدكتور) : الدلالة اللغوية عنـــد العـرب ـ دار الضياء ـ الاردن

٦٥ ـ **عبد الوهاب حمودة** (الاستاذ)
القراءات واللهجـات ـ ط أولى مكتبة النهضـة المصرية ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٨ م

٦٦ ـ علي محمد مزيد (الدكتور) : علم اللغة العـــام ـ في الفكر الغربي ١٩٧٨ م

٦٧ ـ عبده الراجحي (الدكتور) فقه اللغة ـ في الكتب العربية •

٦٨ ـ علي عبد الواحد وافي (الدكتور) .
ـ علم اللغة • دار نهضة مصر ط ٧ فقة اللغة ـ دار نهضة مصر ط ٧ •

٦٩ ـ عبد العزيز شرف (الدكتور)
ـ الاعلام ولغة الحضارة ـ كتابك دار المعارف •

٧٠ ـ عبد القاهر الجرجاني (الشيخ الامام)
دلائل الاعجاز
أسرار البلاغة

٧١ ـ عبد المجيد سيد أحمد منصور (الدكتور) : علم اللغـــة النفسي ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض

٧٢ ـ فاطمة محجوب (الدكتورة)
ـ دراسات في علم اللغة ـ القاهرة ـ دار النهضة العربية ١٩٧٦ م

٧٣ ـ كمال بشر (الدكتور)
الاصوات ـ علم اللغة العام ـ القسم الثاني
قضايا لغوية
دراسات في علم اللغة قسم أول
دراسات في علم اللغة القسم الثاني
دور الكلمة في اللغة
ترجمه وقدم له وعلق عليه

٧٤ ـ **محمد احمد أبو الفرج** (الدكتور)

مقدمة لدراسة فقه اللغة ط أولى بيروت ١٩٦٦

٧٥ ـ **محمد الانطاكى** (الأستاذ)

ـ الوجيز فى فقه اللغة ط ٣ مكتبة دار الشرق بيروت

٧٦ ـ **محمد المبارك** (الاستاذ)

فقه اللغة وخصائص العربية ـ دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الاصيل فى التجديد والتوليد دار القلم بيروت ١٩٦٨ م

٧٧ ـ **محمود السعران** (الدكتور)

اللغة والمجتمع ـ رأى ومنهج

علم اللغة مقدمة للقارىء العربى ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٢

٧٨ ـ **محمود محمود عالى** : أئمة النجاة فى التاريخ

٧٩ ـ **محمود فهمى حجازى** (الدكتور)

علم اللغة العربية ـ مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية وكالة المطبوعات ـ الكويت ١٩٧٣

مدخل الى علم اللغة ـ القاهرة ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٨ م

٨٠ ـ **مصطفى مندور** (الدكتور)

اللغة بين العقل والمغامرة ـ منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٤

٨١ ـ **لندا · ل دافيدوف** : مدخل علم النفس ط ٢ دار ماكجوهيل للنشر ـ السعودية ـ الرياض

٨٢ ـ **نوال محمد عطية** (الدكتورة) علم النفس اللغـــوى ط ١ ١٣٩٥ / ١٩٧٥ ـ مكتبة الانجلو المصرية

٨٣ ـ **نايف خرما** (الدكتور) أضواء على الدراسات اللغويـــــة المعاصرة الكويت ـ المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب سلسلـــة عالم المعرفة (٩) ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٨٤ ـ **عثمان أمين (الدكتور)** ٠

ـ فى اللغة والفكر ـ معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧ ٠

الدوريات

مجلة فصول فى أعدادها المختلفة

مجلة مجمع اللغة العربية فى أعدادها المختلفة

مجلة معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى فى أعدادها المختلفة

دائرة المعارف الاسلامية

- Arles E. Osgood — George J. Suei — Percy H. Tannenbaum; The Measurement of Meaning — University of Illindis Press — Urbana, Chicago and London.

- G., Homans : Structural, Functional and Psychological theories (in) N.J. Demerath III & R.P. (ed) system change and conflict, London 1968

- G. W. Turner; Stylistics (A Pelican Book)

- Language and Culture — Edited by Patrick Gleason — Naney WakeField San Francisco State College.

- BloomField; Leonard; Language,

- J.R. Firth; Papers in Linguistics, Oxford University Press, 1957.

- J.L. Austin; How to do things with words — The William Fames Lectures delivered at Harvard University in 1955.

- Ferdinand De Saussure; Course in General Linguistics Introduction by Jonathan Culler

- Philosophies of Language in Eighteenth — Century France — by Pierre Juliard — 1970 Mouton The Hague — Paris

- Plato; The Dialogues of Plato, translated by Benjamin Jowett, Encyclopedia Britanniea U.S.A. 1952

- Otto Jespersen; Language its nature, Development & Origin.

- John B. Caroll; The Study of Language, Harvard University Press, 1959.

- Historical Linguistics; Theodora Bynon

- Fromkin . Rodman; An Introduction to Language
- H.A. Gleason; An Introduction to Descriptive Linguistics
- R.H. Robins ; A Short History of Linguistics
- Peter Herriot ; An introduction to the Psychology of Language
- Wilga M. Rivers; The Psychologist and the Foreign — Language teacher — The University of Chicago Press — Chicago & London
- Philip S. dale; Language Development Structure and Function.
- Stephen Ullmann; Semantics An introduction to the Science of meaning
- Stephen Ullmann; The Principles of Semantics, Basil Blackwell, Oxford, 1975.
- David Crystal; Linguistics (A Pelican Original)
- Edward Sapir; Language. An introduction to the Study of Speech
- Edward T. Hall; The Silent Language. An Anthropologist reveals how we comunicate by our manners and behavior.
  A Doubleday Anchor Book.
- The use and misuse of language — Edited by S. I. Hayakawa — Selected essayo from Ets : A Review of General Semantics Previously Published in «Language, Meaning and Maturity» and our language and our world.
- Margaret Shlauch; The Gift of Tongues, George Allen & Unwin. Ltd. London 1943.

● Richard Trench; On the Study of Words, J.M. Dent & Sons. Ltd — London 1930.

● Whitney — William — ; The Life and Growth of Language, Henry Kiny & Co. London — 1975.

● W.S. Allen; The Linguistic Study of Language. Cambridge University Press 1957



فهـــرس المحتـــوى

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة
عـرض ما جاء فى المجمـل لابن فارس ممـا استشهد بـه الدكتور صبحى الصالح فى ضوء الدرس التحليلى التطبيقى	١٧٤
عرض ما استشهد به الاستاذ محمد المبارك فى ضوء الدرس التحليـلى التطبيقـى	١٩٧
عرض باب فى امساس الألفاظ اشباه المعانى فى ضوء الدرس التحليلى التطبيقى وما انبثق عن ذلك من نظريات وقوانين لغـويه تبرز خصائص العربيـة	٢٠٣
عرض باب فى قوة اللفظ لقوة المعنى فى ضوء الدرس التحليلى التطبيقى وما انبثق عن ذلك من نظريات وقوانين خاصةبها	٢١٥
عرض باب فى السلب لابن جنى فى ضوء الدرس التحليلى التطبيقى وما انبثق عنه من نظريات	٢٢١
عرض باب فى تلاقى المعانى على اختلاف الاصول والمبانى وما انبثـق عن ذلك من نظريات لغوية ومبـادىء وقوانين متصـــلة بهـــا	٢٢٩
عرض متون من كتـاب الثعالبى وما انبثـق عـن ذلك من نظـريات ومبادى وقوانين خاصة بها	٢٦٥
ترتيب النقـــاب	٢٦٥
فى ضروب ضرب الاعضـــاء	٢٦٧
فى أوصـــاف البخـل	٢٦٩
فى أشياء تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها	٢٧٢
فيما روى عن أبى عبيدة	٢٧٢
فى أوائل الأشياء وأواخرها	٢٧٣
فى سياقة الأوائل	٢٧٣
فى صغار الاشيـاء وكبارها وعظامها وضخامها	٢٧٤
فى تفسير الصغـار	٢٧٤
من سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبى	٢٧٥
ـ استحكام الشيب وبلوغ الشيخوخة	٢٧٥
ـ فى الهرم ومشارفة الفنـــاء	٢٧٦
ـ عـوامل الاهتمـام	
تداعى الافكار الحادثة معا	٢٧٩
التداعى المتتـــالى	٢٧٩
قانون الاقتـــران	٢٨٠
قانون المشابهـــة	٢٨٠
قانون التضاد	٢٨٠
نظرية الانماط المتماثلة	٢٨١
قانون العناصر السائدة	٢٨١

رقم الإيداع ٢٧٥٤ / ٩٣

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 02 - 3987 - 9

٤٢ / ٩٢ / ٣

طبع بمطابع دار روتابرينت للطباعة